



غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية ،
تاليف ابن عباد ، محمد بن ابراهيم -
٧٩٢ هـ • كتبت فى القرن الثانى عشرالهجرى
تقديرا •

١٤٢ ق ٢٦ س ١٨x٢٧ سم
نسخة وسط ، بآخرها نقص ، خطها مغربى
حسن ، طبع •
الاعلام ٦ : ١٩٠ الخزانة العامة بالرباط ١ : ١٧٨
أ - الشعائر والتقاليد و الاخلاق الاسلامية
أ - المولف ب - تاريخ النسخ ج - شرح الحكم
العطائية •



مكتبة جامعة الملك سعود قسم المخطوطات
لا اله الا الله محمد رسول الله
لا اله الا الله محمد رسول الله
431 و
431 ب

... النفزي الرندي ...

... ورحمه بفضله

الحمد لله المنفرد بالعظمة والجلال المتوحد باستحقاق نعوت
الكمال المنزه عن الشركاء والنظراء والامثال المقدس عن سمات الحدوث من التغير
والانتقال والاتصال والانفصال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال والصلاة
على سيدنا محمد الهادي من الضلال وعلى اله واصحابه الذين خلصت لهم الاعـ
مال وصفت منهم الاحوال وعلى جميع من اتبعهم فيما اتسم من محامد الخصال
ومحاسن الخلال وسلم كثيرا اما بعد فانا لما راينا كتاب الحكم المنسوب الى
الشيخ المحقق الامام العارف المكاشف الولي ابي الفضل تاج الدين احمد
بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري رضي الله عنه ونفعنا به من
افضل ما صنف في علوم التوحيد واجل ما اعتمده بالتفهم والتحفظ كل سالك
ومريد لكونه صغير الحجم عظيم العلم ذا عبارات رايقة ومعان
فصيحة فيها الى ايضاح طرقات العارفين والموحدين وابانة مناهج السالكين
والمتجردين احببنا في وضع تنبيه يكون كالشرح لبعض معانيه الظاهرة
وكالكشف للمعنى يقتضيه من انواره الباهرة ولا قدرة لنا على استيفاء جميع ما اشتمل عليه
جميع الكتاب وما تضمنه من لباب الالباب لان كلام الاولياء والعلماء منطو على اسرار
مصونة وجواهر حكم مكنونة لا يكشفها الا هم ولا تتبين حقائقها الا
بالتلقي عنهم ونحن في هذه الكلمات التي نوردها والمناحي التي نعتمدها
غير متعرضين لشرح كلام المولف ولا لما نذكره فيه هو حقيقة مراده بحسب ما
يعقله كل مصنف فاذا اراد عيناه لكان منا اساءة ادب يؤول بنا والعياذ
بالله الى العطب ولكن نتعرض للنظر والتفكر في تعاطي ما لا يليق ايرادنا
كلام السادة من اهل الله تعالى من غير خوض منا او احتراز وانما نورد ذلك
على حسب ما فهمناه من كلامهم وما انتهى الينا علمه من مرادهم

فان وافقنا فيه حقيقة الامر وعثرنا على مكنون السر كان ذلك من النعم
التي لا نحصي لها شكرا ولا نقدر لها قدرا وان خالفنا ذلك ولم نهتد الى سلوك
المسالك احلناه على نقصنا وجهلنا واستغفرنا عن التقصير وقوتنا وجعلنا
واقتصر الامر في ذلك علينا وكانوا هم مبرئين مما قلنا ونوينا فلا حرج
اذا كان هذا مقصدنا لوجود السلامة التي جعلناها معتمدنا ينبغي لنا ان نقدم
اولا كلام المولف رحمه الله مستوفى ثم نتبعه كلامنا بصيغة الخبر والدعوى
ونأتي فيه بعبارة ابسط من عبارته واشارة اجلى من اشارته ليفهم بذلك
ما عندنا في تفسير ما ذكره لا انه تفسير حقيقة مقررة ونذكر في اثنايه
كثيرا مما ناسب عندنا في الكلام المنبه عليه لتتم بذلك الفايدة في الغرض
المتوجه اليه وما ظهر لنا في كلامه من تكرار معان وتداخل فروع ومبان رأينا
التنبيه عليه كالفرض واحلنا بعضه على بعض وعلى الناسخ لهذا المجموع
ان يتبع فيه ما رسمناه ويكتب نص كلام المولف بصبغ يخالف لونه
لون ما ياتي به سواه او يكتبهما بقلمين مختلفين في الغلظ والرقة ويوفي
من ذلك كلا منهما حقه ليكون ذلك اقرب الى حصول المرام في استخراج
فايدة ترتيب الكلام والله الموفق لا رب غيره ولا خير الا خيره والذي
حملني على وضعه وتكلف تصنيفه وجمعه بعد تقدم ارادة الله تعالى
التي لا تغلب وتقديره الذي ليس منه منجا ولا مهرب ثم الراي الذي رايناه من
الطالب الحقيقة وتنبهنا عليه في صدر هذه المقدمة الحاح بعض الاصحاب في ذلك
علي وترددهم بالمسئلة الي لكونهم على اعتقاد صحيح في هذه الطريقة
ومحبة خالصة لاهل الحقيقة فاسعفتهم بما طلبوه وحققت لهم الامل
فيما رغبوه كما شاء الله تعالى وحكم فضمن به علينا وختم بفضله

بالانتماء الى مذاهبهم، والانتساب الى كريم مناسبهم، والتعلق باذيالهم
وعداول الشيخ على سوء الفهم، ورزقنا نصيبا من تعظيمهم وحبهم وفسطا من
ذكرهم وتبيينهم، ان لا يحرمنا من شفاعتهم ولا يخرجنا من كنفهم ولا ينفيهم ولا يطردنا
عن ابوابهم الكريمة، ولا يصرفنا عن منهجهم القويم، فهم القوم لا يشقى جليسهم

لي سادة من عزهم اقدامهم فوق الجباه
ان لم اكن منهم فلي في ذكرهم عز وجاه

اللهم انا نتوسل اليك بحبهم فانهم احبوك ولم يحبوك حتى احببتهم
فبحبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لن نصل الى حبهم فيك الا بعطفة منك فهب
لنا ذلك حتى نلقاك يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
خاتم النبيين وعلى اله الطيبين الطاهرين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين
وسلم كثيرا، وهذا حين ابتدا وبالله التوفيق والهداية الى سواء الطريق. عليه

قال المولف رضي الله عنه من علامة الاعتماد على العمل
نقصان الرجاء عند وجود الزلل: اقول الاعتماد على الله تعالى
نعت العارفين الموحدين والاعتماد على غيره وصف الجاهلين الغافلين
كالناس اما كان ذلك الغير حتى علومهم واعمالهم واحوالهم اما العارفون
فانهم على بساط القرب والمشاهدة ناظرون الى ربهم فانون عن انفسهم الموحدون
فاذا وقعوا في زلة او طابتهم غفلة شهدوا تصريف الحق تعالى فيهم وجريان
قضائه عليهم كما انهم اذا صدرت منهم طاعة او لاح عليهم لايح من يقظة
لم يشهدوا في ذلك انفسهم ولم يروا فيها حولهم ولا قوتهم لان السابق الى قلوبهم
ذكر ربهم فانفسهم مطمئنة تحت جريان اقداره وقلوبهم ساكنة بما لاح
لها من انواره ولا فرق عندهم بين الحالين لانهم غرقى في بحار التوحيد قد
استوى خوفهم ورجاؤهم فلا ينقص من خوفهم ما يجتنبونه من العصيان ولا يزيد

اما محبة ...
... طاعة ومحبة لها وان لم يدم عليها فعلا اخرى وسابله
شتعص فرم دوا عرفلم يك عنده عزم ولا فعل ولا
كيف اعزم وانت القاهر وكيف لا اعزم
وانت الامر: اسقط من نفسه وقوع العزم منه وجعل
ذلك شهود القهر لان من شهد قهره بطل عزمه لانه الغالب واستبعد
عدم العزم وجعل مستند ذلك شهود الامر لان من شهد امره بادر الى امتثاله
من غير اعتماد على ماله واهماله الهي **ترددي في الاثار يوجب بعد المزار**
فاجمعني عليك بخدمة توصلني اليك شكى الى مولاه عز وجل
من تردده في الاثار وهي الاكوان واخبر انه يوجب له بعد المزار وهو البعد
عن شهود التوحيد وكمال المعرفة وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا ترحل
من كون الى كون ثم ساله وطلب منه ان يختم له كريق سلوكه ويقربه
عليه ويجمعه من متفرقات الاثار بخدمة تظهر فيها عبوديته ويصل بها الى
مولاه من غير تردد ولا فتول الهي **كيف يستدل عليك بما هو**
في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس
لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج
الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي
توصل اليك هذا تقبيح لاحوال المستدلين على ربهم وهم اصحاب
النظر والاستدلال بالنسبة الى اهل المقام الاخر وهم ارباب الشهود
والعيان قال ابو بكر محمد بن علي الكتاني رضي الله عنه وجود العطاء
من الحق شهود الخلق بالحق لان الحق دليل على كل شيء ولا يكون شيء دونه
دليلا عليه قال في لطايف المنن وارباب الدليل والبرهان عموم عند اهل الشهود
والعيان فرسوا العجز في ظهور كان يحتاج الى دليل يدل عليه وكيف يحتاج الى
الدليل من نصب الدليل وكيف يكون معروفا به وهو المعرف له قال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف ام كيف يعرف بشيء
من وجوده وجود كل شيء وقال مريد لشيخه يا استاذ اين الله قال له

لاراض الشهود

بمراقبة الله تعالى رقيبا عليه يعلم جميع احواله ولا …
منه وهابه ان يراه على ما يكرهه منه وترك معصيته …
لا يراك ومن لم يكن على هذا الوصف وغفل عن نظر الله تعالى عليه …
فبارز الله تعالى بانواع القبائح والفضائح من غير اكتراث ولا استحياء الا …
بعضهم يستعين الرجل على حفظ بصره من المحظور انما قال بعـ…
الحق سبحانه له تسبق نظرك الى تلك المحظور انتهى وقال الله عـ…
في شان وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون
فيه وقال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه خوفهم بما عرفهم من …
عليهم في جميع احوالهم ورؤيته لما يستقبلونه من فنون اعمالهم والعلم بانه
يوجب استحياءهم منه وهو حال المراقبة فالعبد اذا علم ان مولاه يراه
منه وترك متابعة هواه ولا يحوم حول ما نهاه وفي حديث عبادة بن الصا…
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل ايمان المرء ان يعلم
ان الله معه حيث كان وخسرت صفقة عبد لم تجعل له
حبك نصيبا ان حب الله تعالى لعبده هو رحمته له وثناؤه عليه و…
اليه وحب العبد لربه عز وجل طاعته وموافقة امره وتعظيمه وهيبته و…
المضاف الى الكاف في قوله من حبك يحتمل ان يضاف الى الفاعل والى المفعول
والظاهر كونه مضافا الى الفاعل لانه ابلغ في المدح لان محبة الله تعالى لعبده …
محبة العبد له قال الله تعالى يحبهم ويحبونه فمن اعطاه الله تعالى من الحب الذي …
نصيبا فقد حاز ربح الدارين وفاز بزلفة العبيد ومن حرمه ذلك فقد خسر تاجر صفقته
وبان غبنه وخيبته في بعض الكتب المنزلة على بعض الانبياء عليهم السلام يا عبـ…
انا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وحكي عن بعضهم انه قال اشتريت مملوكة
فسمعتها في شطر الليل وهي تقول الهي بحبك اياي الا ما غفرت لي فقلت لها
لا تقولي هكذا ولكن قولي بحبي اياك فقالت يا سيدي بمحبته اياي من علي بالاسلام
وايقظني لعبادته وكثير من عباده نائم … قال …

في الشدة والرخاء قيامهم بالله ونظرهم اليه وخوفهم هيبتهم
ورجاؤهم الانس به انتهى واما غيرهم فيقفوا مع نفوسهم في نسبة
الافعال اليها وطلب الحظ لها عليها فاعتمدوا على اعمالهم وسكنوا
الى احوالهم فاذا وقعوا في زلة نقص بذلك رجاؤهم كما انهم اذا عملوا
طاعة جعلوها من اعظم عددهم واقوى معتمدهم فتعلقوا بالاسباب
وحجبوا بتصريفهم بها عن رب الارباب فمن وجد هذه العلامة في نفسه
فليعرف منزلته وقدره عند الله ولا يتعدى طوره فيدعي مقامات الخاصة
من المقربين وانما هو من عامة اصحاب اليمين وستاتي اشارة الى هذا المعنى في مواضع
من كلام المؤلف وقد ذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي والحافظ
ابو نعيم الاصبهاني عن يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنهم قال عارضني
بعض الناس في كلام وقال لي لا تستدرك مرادك الا ان تتوب فقلت مجيبا
لو ان التوبة تطرق بابي ما اذنت لها على ان انجو بها من ربي ولو ان الصدق والاخلاص
كانا عبدين لي لبعتهما زهدا مني فيهما لاني ان كنت عند الله في علم الغيب سعيدا
مقبولا لم اتخلف باقتراف الذنوب والمآثم وان كنت عنده شقيا مخذولا لم تسعدني
توبتي واخلاصي وصدقي وان الله خلقني انسانا بلا عمل ولا شفيع كان لي اليه
وهدانى لدينه الذي ارتضاه لنفسه فقال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه وهو في الآخرة من الخاسرين فاعتمادي على فضله وكرمه اولى ان كنت حرا
عاقلا من اعتمادي على افعالي المدخولة وصفاتي المعلولة لان مقابلة فضله
وكرمه بافعالنا من قلة المعرفة بالكريم المتفضل قلت وهذه الحكاية
وامثالها ربما تقرع سمع من لا حقيقة عنده من طريق القوم فينكر معناها
ولا يعتقده او ينتحله ويدعيه مقاما لنفسه وكلتا الحالتين مودية بصاحبها
الى ضرر وخطر فليتق الله تعالى عبد لم يشرق له بصر في هذه الطريقة ان ينكر
ما ذكرناه فيقع في الاعتراض على السادات والاولياء وفي ذلك بعده
من الله تعالى او يدعيه مقاما لنفسه من غير ان يستظهر عليها ويتوثق
منها ويزنها بالمعيار الذي نبهنا عليه ومحال وجود ذلك ممن لم يصح مقام

القناعة عن النفس فيتركه حتى يرحمه الله تعالى ويتعرض لخروجه ويجعل ذلك
همه لنفسه علما وجهلا وهذا باب من الرزق فيه والعياذ بالله

إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية. وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية.

الأسباب هاهنا عبارة عما يتوصل به إلى غرض ما ينال في الدنيا والتجريد عبارة عن عدم تشاغله بتلك الأسباب لأجل ذلك فمن أقامه الحق تعالى في الأسباب وأراد هو الخروج منها فذلك من شهوته الخفية وإنما كانت من الشهوة لعدم وقوفه مع مراد الله تعالى به وإرادته هو خلاف ذلك وإنما كانت خفية لأنه لم يقصد بذلك نيل حظ عاجل وإنما قصد بذلك التقرب إلى الله تعالى بكونه على حال هي أعلى عنده الكرامات الأدب بعدم وقوفه مع مراد الله تعالى من إقامته إياه فيما أقامه فيه وتطلعه إلى مقام رفيع لا يليق به في الوقت وعلامة إقامته إياه في الأسباب أن يدوم له ذلك وأن تحصل له ثمرته ونتيجته وذلك بأن يجد عند تشاغله بالأسباب سلامة في دينه وقطعا للطمع عن غيره وحسن نية في صلة رحم أو إعانة فقير معدم إلى غير ذلك من فوائد المال المتعلقة بالدين ومن أقامه الحق تعالى في التجريد وأراد الخروج منه إلى الأسباب فذلك من انحطاط همته وسوء أدبه وكان واقفا مع شهوته الجلية لأن التجريد مقام رفيع أقام الله تعالى فيه خواص عباده من الموحدين والعارفين فإذا أقامه الله تعالى مقام الخواص فلم ينحط عن رتبتهم إلى منازل أهل الانتقاص قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه من رأى فقد من مشاركة الأخوان في الأسباب فهو خسيس الهمة وعلامة إقامته إياه في التجريد ما ذكرنا من الدوام ووجدان الثمرة ومن ثمرات ذلك طيب وقت المتجرد وصفاء قلبه ووجدان راحته من ملابسة الخلق ومخالطتهم. والهمة حالة للقلب وهي قوة إرادة وغلبة انبعاث إلى نيل مقصود ما وتكون عالية إن تعلقت بمعالي الأمور وسافلة إن تعلقت بدانيها قال الشاعر

وقايلة لي علتك الهموم ... وأمرك ممتثل في الأمم
فقلت ذريني على حالتي ... فإن الهموم بقدر الهمم

وقال اخر

وقال اخر

إذا أعطشتك أكف اللئام ... كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا

وما ذكرناه من معاني الإقامة في نوعي الأسباب والتجريد هو شيء فهمته مما يقولونه من علامة إقامة الحق لك في الشيء إدامته إياك فيه مع حصول النتائج والله أعلم وقد ذكر في التنوير هذه المسألة بنصها حاكيا عن هذا الكتاب وقال بإثره وافهم رحمك الله أن من شأن العدو أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيه فيحقره عندك لتطلب غير ما أقامك الله فيه فيشوش عليك قلبك ويتكدر وقتك وذلك أنه يأتي للمتسببين فيقول لو تركتم الأسباب وتجردتم أشرقت لكم الأنوار ولصفت منكم القلوب والأسرار قائلا وكذلك صنع فلان وفلان ويكون هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له به إنما صلاحه في الأسباب فيتركها فيتزلزل إيمانه ويذهب إيقانه ويتوجه إلى الطلب من الخلق وإلى الاهتمام بأمر الرزق فيرمي في بحر القطيعة وذلك قصد العدو منه لأنه إنما يأتيك في صورة ناصح كما أتى أبويك فيما أخبر الله عز وجل عنه وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين كما تقدم بيانه وكذلك يأتي المتجردين فيقول لهم إلى متى تتركون الأسباب ألم تعلموا أن ترك الأسباب تتطلع معه القلوب إلى ما في أيدي الناس ويفتح باب الطمع ولا يمكنك الإسعاف والإيثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون منتظرا ما يفتح به عليك فلو دخلت في الأسباب بقي غيرك منتظرا ما يفتح عليه منك إلى غير ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود إلى الأسباب فتصيبه كدرتها وتغشيه ظلمتها ويعود القائم في سببه أحسن حالا منه لأن ذلك ما سلك طريقا ورجع عنها ولا قصد مقصدا ثم انعطف قافلا واعتصم بالله منه ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم وإنما قصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد الرضى عن الله تعالى فيما هم فيه وأن يخرجهم عن مختار الله لأنفسهم وما أدخلك الله فيه تولى إعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك إليه وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل الصدق أن تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق أيضا كذلك وافهم والذي يقتضيه الحق منك أن تمكث حيثما

فأمكث حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجك كما تولى إدخالك، وليس الشأن أن تترك السبب بل الشأن أن يتركك السبب. **قال بعضهم** تركت السبب كذا وكذا مرة فعدت إليه ثم تركني السبب فلم أعد إليه. **ودخلت** على الشيخ رضي الله عنه وفي نفسي العزم على التجريد قائلا في نفسي إن الوصول إلى الله على هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالظاهر ووجود المخالطة للناس فقال لي من غير أن أسأله صحب إنسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من هذه الطريق شيئا فجاء إلي فقال يا سيدي أخرج عما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذلك ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو إليك واصل ثم قال الشيخ ونظر إلي وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم إلى الله تعالى ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم. انتهى كلامه في التنوير في هذا المعنى وهو كلام حسن وإنما أثبتناه هنا على طوله لأنه تولى فيه بيان مسألة التي ذكرها في هذا الكتاب بنفسه بيانا شافيا فقلناه بلفظه ووددنا أن جميع مسائله نكون هكذا. **سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار** **الهمم** القوابل هي قوى النفس التي ينفعل عنها بعض الموجودات بإذن الله تعالى وتسميها الصوفية همة فيقولون إن فلانا له همة على أمر ما فينفعل له ذلك وهذه الهمم السابقة لا تنفعل أشياء عنها إلا بالقضاء والقدر وهو معنى قولنا بإذن الله تعالى فهي على حال سبقيتها ونفوذها لا تخرق أسوار الأقدار ولا تنفذها وهذه الهمم قد تكون للأولياء كرامات وقد تكون لغيرهم استدراجا ومكرا كما يكون للعائن والساحر وقد ثبت أن العين حق والسحر حق ومعناه ما ذكرناه وحاصل ذلك أنه يجب أن يعتقد أنها أسباب لا تأثير لها ولا فاعلية وأن الفاعل هو الله تعالى وحده عندها لا بها **وكان المؤلف** رحمه الله إنما أورد هذه المسألة بين يدي كلامه في التدبير ليعرفك بذلك أن وجود التدبير منك والمبادرة إلى الفعالية إذا لم تجد في خرق أسوار الأقدار شيئا كيف يغيّر في ذلك التدبير وما لا فائدة فيه فضول لا ينبغي أن يشتغل به ويتعب فيه ذوو العقول ولذلك **قال أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك** تدبير الخلق لأمر دنياهم على

الوجه الذي تقوله من قوم لأن الله تعالى قد تكفل لهم بذلك والأمر منهم وطلب منهم أن يفرغوا قلوبهم منه ويقوموا بحق عبوديته ووظائف تكليفاته وهو أن يفرد العبد لنفسه شؤونا يكون عليها من أمر دنياه على ما تقتضيه شهوته وهواه ويدبر لها ما يليق بها من الأحوال والأعمال ويستعد لذلك ويهتم لأجله وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه ولعل أكثر ما يقدره لا يقع فيخيب ظنه ويبطل سعيه ثم فيه من ترك العبودية ومضادة أحكام الربوبية ومنازعة القدر وإضاعة العمر ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه وقطع مواده وأسبابه **قال سهل** ابن عبد الله رضي الله عنه ذروا التدبير والاختيار فإنهما يكدران على الناس عيشهم **وقال سيدي** أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه إن كان ولا بد من التدبير فدبروا أن لا تدبروا وهذه المسألة أساس طريق القوم بل هي جملته وكليته والكلام فيها طويل عريض وإنما اقتصرنا فيها على هذا القدر اليسير من التنبيه لأن المؤلف رحمه الله أفرد في هذا المعنى كتابا سماه التنوير في إسقاط التدبير أحسن فيه غاية الإحسان وقرب الأمر فيه بحيث يستغني به عما صنف في هذه الطريقة من ديوان فتحصيله متعين على كل مريد نجيب **اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك** **الشيء المضمون** للعبد هو رزقه الذي يحصل له به قوام وجوده في دنياه ومعنى كونه مضمونا أن الله تعالى تكفل بذلك وفرغ العباد عنه ولم يطلب منهم الاجتهاد في السعي فيه ولا الاهتمام له **والشيء المطلوب** من العبد هو العمل الذي يتوصل به إلى سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى من عبادات ومعنى كونه مطلوبا أنه موكل إلى اكتساب العبد له واجتهاده فيه ومراعاة شروطه وأسبابه وأوقاته هذا جرت سنة الله تعالى في عباده قال الله عز وجل في المعنى الأول الذي ضمنه للعبد وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وقال تعالى في المعنى الثاني الذي طلبه منه وأن ليس للإنسان إلا ما سعى **وقد روي** في بعض الآثار عن الله تعالى عبدي اكفني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك **وذكر** في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما بال أقوام يشرفون المترفهين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور والأجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لا يدرك إلا بالسعي من الجزاء الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور **وقال إبراهيم** الخواص العلم كله في كلمتين

التكلف ما كفيته والتضييع ما استكفيته فمن قام بهذا الأمر على ما ينبغي له من الوجه
الذي ذكرناه من الاجتهاد في الأمر المطلوب منه وتفريغ القلب من الأمر المضمون له فقد انفتحت
بصيرته وأشرق نور الحق في قلبه وحصل على غاية المقصود ومن عكس هذا الأمر فهو مطموس
البصيرة أعمى القلب وفعله دليل على ذلك والبصيرة ناظر القلب كما أن البصر ناظر العين
وناظر القلب إنما ينظر إلى العاقبة والعاقبة للمتقين والتقوى هي التي يجب على العبد أن يجتهد
فيها لا الغنى وتعبير المؤلف رحمه الله بالاجتهاد إشعار بأن طلب الرزق من غير اجتهاد
فيه غير مقصود بالكلام فهو كذلك لأنه مباح وما ذكر فيه فلا يزال ذلك على انطماس
بصيرة صاحبه إلا إن اقترن به فيما أمر به قال في التنوير في قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر
عليها لا نسألك رزقا أي فمن نحن رزقناك ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيئان شيء ضمنه الله
لك فلا تتهمه وشيء طلبه منك فلا تهمله فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم
جهله واتسعت غفلته وقل ما ينتبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد أن يشتغل بما طلب
منه عما ضمن له إذا كان سبحانه قد رزق أهل الجحود كيف لا يرزق أهل الشهود إذا كان سبحانه
قد أجرى رزقه على أهل الكفران كيف لا يجري رزقه على أهل الإيمان فقد علمت أيها العبد أن الدنيا
مضمونة لك أي مضمون لك منها ما يقوم بأودك والآخرة مطلوبة منك أي العمل لها لقوله
سبحانه وتعالى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل أو بصيرة واهتمامك
فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك من أمر الآخرة حتى قال بعضهم
إن الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا انتهى

لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك
فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت الذي
يريد لا في الوقت الذي تريد يقول العبد لا يتخير شيئا على مولاه
ولا يجزم بصلاحية حال من الأحوال له لأنه جاهل من كل وجه فقد يكره الشيء
وهو خير له ويحب الشيء وهو شر له قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه لا تختر
من أمرك شيئا واختر أن لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شيء إلى الله
عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار ودخل رجل على سيدي أبي العباس المرسي
وهو صاحبه فقال ذلك الرجل عافاك الله يا سيدي فسكت ولم يجاوبه ثم سكت ذلك
الرجل ساعة وقال الله يعافيك يا سيدي فقال الشيخ أبو العباس وأنا ما سألت

الله العافية فمن سأل الله العافية والذي أنا فيه هو العافية ورسول الله صلى الله عليه وسلم
قد سأل الله العافية وقد قال ما زالت أكلة خيبر تعاودني فالآن قطعت أبهري
أبو بكر الصديق رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات مسموما
رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات مطعونا عمر رضي الله عنه سأل الله تعالى
العافية وبعد ذلك مات مذبوحا علي رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك
مات مقتولا فإذا سألت الله العافية فاسأله العافية من حيث يعلمها لك فإنها
عافية انتهى فعلى العبد أن يسلم نفسه لمولاه ويعتقد أن الخيرة له في جميع ما به
يتولاه وإن خالف ذلك مراده وهواه فإذا دعا وطلب من مولاه شيئا فيرى له فيه مصلحة
فالإجابة لا محالة قال الله عز وجل وقال ربكم ادعوني أستجب لكم وقال وإذا سألك
عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان وعن عبادة رحمه الله ... رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه
الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم وعن أنس
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو إلا استجاب الله له دعوته
أو صرف عنه مثلها سوءا أو حط من ذنوبه بقدرها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم
فإذا الإجابة المطلقة حاصلة لكل داع بحسبما ورد والنوع من الصرف إلى الإجابة
أمرها إلى الله تعالى يجعلها ما شاء وقد يكون المنع وتأخير العطاء إجابة وعطاء لمن فهم
عن الله تعالى في ذلك فلم ييأس العبد من فضل الله تعالى إذا رأى منعا أو تأخيرا أو إن الحق
في دعائه وسؤاله وقد يكون تأخيره لك إلى الآخرة خيرا له فقد جاء في بعض الأخبار
يبعث عبد فيقول الله تعالى له ألم آمرك أن ترفع حوائجك إلي فيقول نعم وقد رفعتها إليك
فيقول الله تعالى ما سألتني شيئا إلا عجلتك فيه ولكن أنجزت البعض في الدنيا وما لم
أنجزه في الدنيا فهو مدخر لك يجزه الآن حتى يقول ذلك العبد ليته لم يقض لي حاجة
في الدنيا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى النهي عن الاستعجال في الإجابة
الدعاء في قوله يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي وقد دعا
موسى وهارون عليهما السلام على فرعون فيما أخبر الله تعالى به عنهما حيث قال
ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ثم
أخبر أنه أجاب دعاءهما في قوله سبحانه وتعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما

ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون قالوا وكان بين قول الله لهما قد أجيبت دعوتكما وهلاك
فرعون أربعون سنة. قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه في قوله تعالى فاستقيما أي
على عدم استعجال ما طلبتما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هم الذين يستعجلون
الإجابة. وناهيك شرفا وحكما بما يحصل له بسبب مداومة الدعاء من الظفر بمحبة
الله وموافقة رضاه فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله يحب الملحين في الدعاء
وقد جاء في الحديث قال جبريل عليه السلام يا رب عبدك فلان اقض له حاجته فيقول
دعوا عبدي فإني أحب أن أسمع صوته رواه أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومقتضى هذا أن من الناس من يعجل الله قضاء حاجته لكراهة صوته وقد روي هذا المعنى أيضا
منصوصا فليكن العبد خائفا من ذلك عند تعجيل إجابة دعائه. قال أبو محمد عبد العزيز
المهدوي رضي الله عنه كل من لم يكن في دعائه تاركا لاختياره وراضيا باختيار الحق
تعالى لا مع اختياره بنفسه كان مجابا وإن لم يعط والأعمال بخواتيمها انتهى وقد تكون الإجابة
مرتبة على شروط لا علم للداعي بها فتتأخر لعدم وجود ذلك أو بعضه وذلك مثل وجود
الاضطرار قال الله تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاه فرتب الإجابة على الاضطرار وقال
بعض العارفين إذا أراد الله أن يستجيب دعاء عبد رزقه الاضطرار في الدعاء ولا
اضطرار إلا بتحققه العبد من نفسه في جميع حالاته. قال بعضهم المضطر الذي إذا رفع
إلى الله يديه لم ير لنفسه عملا وهذا حال شريف ومقام منيف يعز على أكثر الناس الوصول
إليه فكيف يتحققون بما ينبني عليه وفي المسألة التي تأتي بإثر هذا تنبيه على
هذا المعنى.

لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك وإخمادا النور

الحق سبحانه لا يخلف الميعاد فمن وعده مولاه شيئا وإن كان
معين الزمان ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغي أن يشككه ذلك في صدق
وعد ربه ويجوز أن يكون وقوع ذلك الوعد معلقا على أسباب وشروط
استأثر الحق سبحانه بعلمها دون العبد فعلى العبد أن يعرف قدره ويتأدب
مع ربه ويسكن إليه فيما وعده به ويطمئن إليه ولا يتشكك في ذلك ولا
يتزلزل اعتقاده فيه فمن كان على هذا الوصف فهو عارف بالله تعالى
سالم البصيرة منور السريرة وإلا فعلى العكس.

إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك فإنه ما فتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والأعمال أنت مهديها إليه وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك.

معرفة الله تعالى هي غاية المطالب ونهاية
الآمال والمآرب فإذا واجه الله تعالى عبده ببعض أسبابها وفتح له باب التعرف
له منها فذلك من النعم الجزيلة عليه فينبغي أن لا يكترث بما يفوته بسبب
ذلك من أعمال البر وما يترتب عليها من جزيل الأجر وليعلم أنه سلك به مسلك
الخاصة المقربين المودي إلى حقائق التوحيد واليقين من غير اكتساب من العبد
ولا تعمل والأعمال التي من شأنه أن يتلبس بها هي باكتسابه وتعمله فلا تسلم
من دخول الآفات عليها والمطالبة بوجود الإخلاص فيها وقد يحصل له ما أمله
من الثواب عند ما قد فسحه الحساب وأين أجرها من الأجر ومثاله ما يصاب به الإنسان
من البلايا والشدائد التي تنغص عليه لذات الدنيا وتمنعه من تكثير أعمال البر فإن مراده
أن يستمر بقاؤه في دنياه طيب العيش ناعم البال ويكون حاله في طلب سعادة الآخرة
حال المترفهين المتوددين فلا تسخو نفسه إلا بالأعمال الظاهرة التي الكبير مؤنته
عليه فيها ولا مشقة ولا تنقطع عليه لذة ولا تفوته شهوة ومراد الله منه
أن يطهره من أخلاقه البهيمية ويحول بينه وبين صفاته الذميمة ويخرجه من أسر
وجوده إلى متسع شهوده ولا سبيل إلى هذا المقام على غاية الكمال والتمام
إلا بما يضاد مراده ويشوش عليه معتاده وتكون حاله حينئذ المعاملة
بالباطن ولا مناسبة بينها وبين الأعمال الظاهرة فإذا فهم هذا علم أن اختيار
الله له ومراده منه خير له من اختياره لنفسه ومراده لها وقد روي أن الله
تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه أنزلت بعبدي بلائي فدعاني فماطلته بالإجابة
فشكاني فقلت عبدي كيف أرحمك من شيء به أرحمك. وفي أبي هريرة رضي الله
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى إذا ابتليت
عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عواده أنشطته من عقالي وبدلته لحما خيرا
من لحمه ودما خيرا من دمه ويستأنف العمل وروي عن سعيد المقبري قال
سمعت أبا هريرة يقول قال الله تبارك وتعالى إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني

حللت عنه عقدتي وبذلت له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلنا
ايتشبث العمل قال أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه ولقد مرضت في سالف
أيامي مرضة فلما شفاني الله تعالى منها مثلت في نفسي ما دبر الله تعالى لي من هذه
العلة في مقدار هذه المدة وبين عبادة الثقلين في قدر ايام علتي فقلت لو خيرت
بين هذه العلة وبين ان تكون لي عبادة الثقلين في مقدار مدتها الى ايهما تميل اختيارا
فصح عزمي ودام يقيني ووقعت بصيرتي ان مختار الله تعالى لي اكثر شرفا واعظم
خطرا وانفع عاقبة وهي العلة التي دبرها لي ولا شوب فيه اذ كان فعله فشتان
بين فعله بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو به فلما رايت هذا ذوى في عيني عبادة
الثقلين مقدار تلك المدة في جنب ما اتاني فصارت العلة عندي نعمة وصارت النقمة
منة وصارت المنة أملا وصار الالم عطفا فقلت في نفسي بهذا كانوا يستمرون في البلا
على طيب النفوس مع الحق وبهذا الذي انكشف كانوا يفرحون بالبلا انتهى فهذه
هي وجهة التعرف التي فتحها الله تعالى له وحصلت له الغبطة بها واثرها على
عبادة الثقلين والله اعلم **فاذا أورد الله** تعالى على العبد شيئا من البلايا فليستفرغ
ما ذكرناه وليجعله نصب عينيه وليجدد تذكاره على نفسه حتى يحصل له
من السكون والطمانينة ما يحمل عنه اثقال ذلك ويزيل عنه مرارته ويوجده
حلاوته وعند ذلك يكون حاله في بلايه حال الشاكرين من الفرح والاغتباط
به فيبرئ من حوشكر كان يأتي بما يمكنه من اعمال البر واعتبر جميع ما قلناه
في هذه المسالة بالحكاية التي ذكرها ابو العباس بن العريف رحمه الله في كتابه
مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق الارادة **قال** وبه كان بالغرب
عمره الله بالاسلام رجل يدعى ابا الخيار رحمه الله ونفعنا بذكره اصله
من صقلية وموطنه بغداد وجاوز سنه التسعين وهو في الروم يعتقه
مولاه وذلك منه على مسافة بعيدة قال الذي حدثني رايته يصلي على الماء
ثم لقيت محمد الاستجي فاذا هو ابرص فقلت له يا سيدي كان الله تعالى لم يجد
محلا للبلا من اعدائه حتى انزله بكم وانتم خاصة اوليائه قال فقال لي اسكت
لا تقل كذلك انه لما اشرفنا على خزائن العطايا لم نر عند الله اشرف ولا اقرب
اليه من البلا فسألناه اياه وكيف بك لو رايت سيد الزهاد وقطب العباد

وامام الاولياء والاوتاد في غار بارض طرسوس وجبالها لحمه متناثر وجسده
يسيل قيحا وصديدا وقد احاط به الذباب والنمل فاذا كان الليل لم يقنع بذكر الله وشكره
على ما اعطاه من الرحمة وامكن جسده من العافية حتى يشد نفسه بالحبل
ويستقبل القبلة قائمة ليله حتى يطلع الفجر انتهى وسياتي شيء من كلام المؤلف
رحمه الله في هذا المعنى والتنبيه عليه والله ولي التوفيق. **تنوعت اجناس
الاعمال لتنوع واردات الاحوال** واردات الاحوال هي ما يرد
على القلوب من المعارف الربانية والاسرار الروحانية وهي توجب لها احوالا
جميلة فمنها وارد يوجب قبضا ومنها وارد يقتضي بسطا الى غير ذلك من مختلفات
الاحوال ولما كانت هذه الواردات ايضا متنوعة والاعمال الظاهرة ابدا تتبع
لاحوال القلب الباطنة كما سيقوله المؤلف بعد هذا في قوله حسن الاعمال نتائج
حسن الاحوال **الاعمال صور قائمة وارواحها وجود سر الاخلاص
فيها** اخلاص كل عبد في اعماله على حسب رتبته ومقامه فاما من كان
منهم من الابرار فمنتهى درجة اخلاصه ان تكون اعماله سالمة من الرياء الجلي
والخفي وقصد موافقة الهوى النفسي طلبا لما وعد الله تعالى به المخلصين من
جزيل الثواب وحسن الماب وهربا مما اوعد به المخلطين من اليم العذاب وسوء
الحساب وهذا من التحقق بمعنى قوله تعالى اياك نعبد اي لا نعبد الا اياك ولا نشرك
في عبادتك غيرك وحاصل امره اخراج الخلق عن نظره في اعمال البر مع بقاء رؤيته
لنفسه في النسبة اليها والاعتماد عليها **واما** من كان منهم من المقربين فقد جاوز
هذا الى التبري من رؤيته لنفسه في عمله فاخلاصه انما هو شهود انفراد الحق تعالى
بتحريكه وتسكينه [illegible] من غير ان يرى لنفسه في ذلك حولا او قوة ويعبر عن هذا
المقام بالصدق الذي يصح به مقام الاخلاص وصاحب هذا مسلوك به سبيل
التوحيد والتفريد وهو من التحقق بمعنى قوله تعالى واياك نستعين اي لا
نستعين الا اياك لا بانفسنا وحولنا وقوتنا فعمل الاول هو العمل لله وعمل الثاني
هو العمل بالله فالعمل لله يوجب المثوبة والعمل بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب
تحقيق العبادة والعمل بالله يوجب تصحيح الارادة والعمل لله نعت كل عابد
والعمل بالله نعت كل قاصد والعمل لله قيام باحكام الظواهر والعمل بالله قيام

بالضمائر وهذه العبارات للإمام أبي القاسم القشيري رضي الله عنه وبها يتبين الفرق
بين الفقير وتباينهما في الشرف والجلالة فإخلاص كل عبد هو روح أعماله فبوجوده
يكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها ويكون فيها الأهلية وجود القبول لها وبعدم ذلك
يكون موتها وسقوطها عن درجة الاعتبار وتكون إذ ذاك أشباحا خالية الأرواح وصورا بلا
معاني وقال بعض المشايخ صحح عملك بالإخلاص وصحح إخلاصك بالتبري من الحول
والقوة ثم ذكر المؤلف رحمه الله الحالة التي إذا كان عليها العبد كان مخلصا فقال

ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه

لا شيء أضر على المريد من الشهرة وانتشار الصيت لأن ذلك من أعظم
حظوظه التي هو مأمور بتركها ومجاهدة النفس فيها فمن تسمح نفس المريد بترك
ما سوى هذا من الحظوظ ومحبة الجاه وإيثار الاشتهار مناقض للعبودية التي هو
هو مطالب بها قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه ما صدق الله من أحب الشهرة
وقال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل
وقال أيوب رضي الله عنه ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه وقال
رجل لبشر بن الحارث رضي الله عنه أوصني فقال أخمل ذكرك وطيب مطعمك وقال
بشر رضي الله عنه ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا
لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس وقال بعضهم رضي الله عنه بلغني أن
الله عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترك ألم أخمل
ذكرك ثم إن محبة الاشتهار مما يقدح في إخلاص العبد لأنه بذلك لا ينفك عن
الأغراض التي تبعثه على استمالة قلوب الخلق وتزكية نفسه إلى ذلك داعيا
خفيا فينصبغ عمله بالرياء انصباغا لا يتفطن له كما سيأتي عند قوله ربما دخل الرياء
عليك حيث لا ينظر الخلق إليك وبقدر تحققه بوصف الخمول يتحقق له مقام الإخلاص
حتى يتخلص بذلك من رؤية إخلاصه وبهذا يتبين لك إفلاس جميع الناس إلا من رحم
الله تعالى وأن الإخلاص في غاية الصعوبة على النفس وأنه أعز الأشياء في الوجود
قيل لسهل بن عبد الله رضي الله عنه أي شيء أشد على النفس فقال الإخلاص لأنه ليس
لها فيه نصيب وقال يوسف بن الحسين رضي الله عنه أعز شيء في الدنيا الإخلاص
وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت فيه على لون آخر قال الشيخ أبو طالب

رضي الله عنه والإخلاص عند المخلصين إخراج الخلق من معاملة الحق وأول
الخلق النفس والإخلاص عند المحبين ألا يعمل عملا لأجل النفس ولا يدخل عليه مطالعة
العوض أو تشوف إلى حظ طبع والإخلاص عند الموحدين خروج الخلق من النظر إليهم
في الأفعال وترك السكون والاستراحة بهم في الأحوال انتهى فإذا أخمل العبد نفسه وألزمها
التواضع والذلة واستمر على ذلك حتى صار له خلقا وجبلة بحيث لا يجد أذى عند الخمول
والذلة لتمكنه فحينئذ تتزكى نفسه ويستنير بنور الإخلاص قلبه وينال من ربه
أعلى درجات الخصوصية ويحصل على أوفر نصيب من المحبة الحقيقية قال الشيخ
أبو طالب ومن تذلل في نفسه واتضع عند نفسه فلم يجد لذلته طعما ولا للضعة حسا
فقد صار الذل والتواضع كونه فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ولا يحب المدح
منهم لفقد القدر والمنزلة في نفسه فصارت الذلة والضعة صفة لا تفارقه لازمة لزوم الزبالة
للزبال والكساحة للكساح مما صنعت له كسائر أخلاقه [illegible] والبهما لعدم النظر
إلى نفسهما فهذه ولاية عظيمة له من ربه فزول الأعلى نفسه وملكه عليها فقهرها
بعزه وهذا مقام محبوب وبغيره الكاشفات بسائر الغيوب ثم قال ومن كان [illegible] الذل
مع الله تعالى الذل طلبه واستعمله كما يطلب المتكبر العز ويستحليه إذا وجده
فإن فاته ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفقد حاله كما أن المتعزز إن فاته العز ساعة تكدر
عليه عيشه لأن ذلك [illegible] في شهوته فإذا الأبدال للمريد من أسفله جاهد
وإخمال ذكره وفراره عن موضع اشتهاره وتعاطيه أمورا مباحة تسقطه من أعين
الناس كقصة العابد الذي سمع به ملك زمانه فجاء إليه فلما علم بذلك العابد استدعى
ببقل وجعل يأكله أكلا عنيفا بمرأى من الملك فلما رآه الملك على تلك الحال استحقره
واستصغره وانصرف عنه ذاما له وسيأتي نص هذه القصة بعد هذا عند قوله
ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق إليك وقد بالغ بعضهم في مداواة علة
الجاه الذي على القلوب حتى استعملوا في ذلك أشياء منكرة في ظاهر الشرع ورأوا
ذلك جائزا لهم أن يفعلوه ويأمروا به وذلك مثل قصة الرجل الذي دخل الحمام ولبس
من فاخر ثياب الناس تحت ثيابه بحيث تظهر ومشى بذلك متمهلا بحيث يرى ويظن
به السرقة فلما رآه الناس أخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب عنه واشتهر عندهم
بالسرقة حتى كان يعرف بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه ومثل ما يروى عن أبي يزيد رضي

رضي الله عنه. فقصة الساهر الذي امره بحلق راسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه
واعطائه من ذلك لمن يصفعه من الصبيان وطوافه على تلك الحال في المحافل والمحاضر
والحكايات مشهورات ذكرهما الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه. قال بعض المفسرين
واذا جاز لمن غص بلقمة من طعام حلال ان يسيغها بجرعة من الخمر ان لم يجد غيره مع
ان تحريمه مقطوع به ولا تفوته الا حياة فانية فلان يجوز مثل هذا اذا تعين اولى اذ تفوته بتركه
الحياة الباقية والقرب من الله تعالى. فاذا التزم العبد هذه الطرق من الرياضات تمت
نفسه وحيي قلبه وقرب من حضرة ربه واجتنى ثمرة غرسه على الكمال والتمام وتلك الثمرة
اخلاق الايمان التي تكيفت بها نفسه وصارت كالصفات الذاتية له وهي نتيجة الحكمة
التي انبتها الله تعالى في قلوب عباده المتواضعين ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا. قال عيسى
عليه السلام لاصحابه اين تنبت الحبة قالوا في الارض فقال عليه السلام كذلك الحكمة لا تنبت الا في قلب
مثل الارض. قلت وقد ورد عن النبي عليه السلام في مدح الخمول وذم الشهرة احاديث
كثيرة منها ما روى ابو امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اغبط اوليائي
عندي لمومن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان
غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نقر بيده فقال
عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه. وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس لو اقسم على الله لابره. وروى
معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان يسيرا من الرياء شرك وان
من عادى اولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الاخفياء الاتقياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا
واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة
وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي نوه باسم
اويس القرني واشاد بذكره ونبه على عظيم امره رضي الله عنه انه قال بينما نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حلقة من اصحابه اذ قال ليطلعن عليكم رجل من اهل الجنة
قال ابو هريرة فطمعت ان اكون ذلك الرجل فغدوت فصليت خلف النبي صلى الله عليه
واقمت في المسجد حتى انصرف الناس فبقيت انا وهو فبينما نحن كذلك اذ اقبل رجل
اسود متزر بخرقة مرتد برقعة فجاء حتى وضع يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال يا نبي الله ادع لي بالشهادة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة واني لاجد

منه ريح المسك الاذفر فقلت يا رسول الله اهو هو قال نعم انه لمملوك بني فلان قلت افلا
تشتريه وتعتقه يا نبي الله قال وانى لي بذلك ان كان الله تعالى يريد ان يجعله من ملوك الجنة
يا ابا هريرة ان لاهل الجنة ملوكا وسادة وان هذا الاسود اصبح من ملوك الجنة وساداتهم
يا ابا هريرة ان الله عز وجل يحب من خلقه الاصفياء الاخفياء الابرياء الشعثة رؤوسهم
المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم من كسب الحلال الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن
لهم وان خطبوا المتنعمات لم ينكحوا واذا غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا
وان طلعوا لم يفرح بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا قالوا يا رسول الله
كيف لنا برجل منهم قال ذلك اويس القرني قالوا وما اويس القرني قال اشهل ذو صهوبة
بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة ادم شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى
الى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكي على نفسه ذو طمرين
لا يؤبه له متزر بازار صوف مجهول في اهل الارض معروف في اهل السماء لو اقسم على الله
لابر قسمه الا وان تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء الا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للعباد
ادخلوا الجنة ويقال لاويس القرني قف فاشفع فيشفعه الله في مثل عدد ربيعة ومضر
يا عمر ويا علي اذا انتما لقيتماه فاطلبا اليه يستغفر لكما يغفر الله لكما. وذكر في الحديث
وفي حديث اخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في امتي رجل يقال له اويس
القرني يدخل في شفاعته عدد ربيعة ومضر لو اقسم على الله لابره فمن لقيه بعد فليقراه
مني السلام ثم سئل عن علامته فقال هو رجل اصهب اشهل ذو طمرين ابيض له ا
وقد كان به بياض فدعا الله عز وجل فاذهبه عنه الا مقدار الدينار او الدرهم لا يوبه له
مجهول في الارض معروف في السماء وكان قد بلغ من شدة خموله ونهاية ضعته ان الناس
كانوا يسخرون منه ويستهزءون به ويرون فيه اهلية الجنون والتلصص وينسبونه
الى ذلك. فقد روي انه دفع اليه بعض فقهاء الكوفة ثوبين وكان يجالسه فانقطع
عن مجلسه لاجل العري فردهما عليه بعد ان اخذهما منه وقال ان الناس يقولون من اين لهذا
الثوبان ترى من خدع عليهما وكان في ذلك الوقت يجالس الفقهاء ويكثر الناس ذلك
قبل ان يعرف من رفعة القدر وجلالة الخطر وتنويه عمر رضي الله عنه به على المنبر فلما رأى
الناس عرفوا حاله هرب عنهم واستخفى منهم وليس امره عليهم من غاية الابدال
وغير ذلك. وقيل لعمر رضي الله عنه لما سال عنه قومه ما بينا اخمل منه ذكرا فلما لقيه

هو وعلي رضي الله عنهما وسألاه من هو فقال راعي غنم قوم وأجير قوم وستذكر أويس فلما سألاه عن اسمه
الذي سمته به أمه امتنع أن يجيبهم على ذلك فلما أخبراه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم له وأنهما
عرفاه بذلك قال لهما عسى أن يكون ذلك غيري فلما قالا له أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء وطلبا منه أن يوضحها لهما فأراهما وذلك والله
تعالى أعلم ليريهما أنه غير صحة قول النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه في إخباره بالغيب وذلك
أمر واجب عليه ولولا ذلك لعله كان يتعلل لهما كما فعل في كل ما سيل عنه ثم بعد ذلك لما سأله
عمر رضي الله عنه أن يلتقي معه ويجعل ذلك الموضع ميعادا بينه وبينه قال له يا أمير المؤمنين
لا ميعاد بيني وبينك ولا أعرفك ولا تعرفني بعد اليوم ثم دفع الإبل إلى أصحابها وخلا عن
الرعاية وكذلك فعل مع هرم بن حيان رضي الله عنهما لما لقيه بشاطئ الفرات ووقع بينهما التعرف
قال له حدثني بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحفظه عنك فقال له لا أحب أن أفتح
هذا الباب على نفسي لا أحب أن أكون محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا ولما فرغ من الكلام الذي كان
بصدده وسأله مداومة الاجتماع به أبى وامتنع وقال لا أراك بعد اليوم تطلبني
ولا تسأل عني انطلق أنت ها هنا حتى أنطلق أنا ها هنا ثم بعد ذلك اجتهد في طلبه والبحث
عنه فلم يقع له على خبر ومن عجيب أمره أن حفظ الله له الحال من التخفي والتستر
وأتمه له بعد موته مع ما اشتهر به بسببه من الآيات والعبر حينئذ قال عبد الله
بن سلمة غزونا أذربيجان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعنا أويس القرني رضي الله
عنه فلما رجعنا مرض علينا فنزلنا فإذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط
فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره
فرجعنا فإذا لا قبر ولا أثر **قلت** والحكايات والآثار في مدح الخمول وذم الاشتهار أكثر
من أن يأتي عليها انحصار وقد أورد كثيرا منها الأئمة المصنفون في هذا العلم فليطالع ذلك
حسن المريد مستمد من الله تعالى بحسن التوفيق والتأثير وتعبير المؤلف رحمه الله ها هنا بالزهر
والزهور والنبات والنتاج من مليح الاستعارات **ما نفع القلب شيء مثل عزلة**
يدخل بها ميدان فكرة مداواة أمراض القلب واجبة على
المريد وأمراضه إنما تكون من غلبة أحكام الطبع عليه من محبته للأضداد ووقوفه
مع المعتاد وانقياده إلى هوى النفس وأنسه بعالم الحس ومداواة هذا المرض يتأتى
من وجوه كثيرة وأبلغها في ذلك وأنفعها العزلة عن الناس المصحوبة بالفكرة فبالعزلة

يتفقد

يتفقد الظاهر عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ومن لا يأمن من دخول الآفات عليه بصحبته
فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصي التي يتعرض لها بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة
والرياء والتصنع ويحصل له بذلك السلامة من مسارقة الطباع الردية والأخلاق الدنية
ويستفيد أيضا بذلك صيانة دينه ونفسه عن التعرض للخصومات وأنواع الشر والفتن
فإن للنفس تولعا ونشاطا إلى الخوض في أمثال هذا فلذا وجب على المعتزل أن يكف لسانه عن
السؤال عن أخبار الناس وما هم مشغولون به ومنهمكون فيه ومكبون عليه ويصون سمعه
عن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما اشتملت عليه من الأحوال التي ذكرناها وليحرص على
أن لا يغشاه في خلوته وعزلته من شأنه التطلع لذلك والبحث عنه وليجتنب صحبة من
لا يتورع في منطقه ولا يضبط لسانه عن الاسترسال في دقائق الغيبة والوقيعة والتعريض
بالطعن على الناس والقدح فيهم فإن ذلك مما يكدر صفاء القلب ويؤدي إلى ارتكاب مساخط
الرب فليهجره المعتزل وليفر منه فراره من الأسد ولا يجتمع معه في مكان البتة وليتنكر
إلى كل من تعرف له ممن هذا شأنه من المنسوبين إلى الدين فضلا عن غيرهم كما قال بعضهم
أنكر من تعرف ولا تتعرف إلى من لا تعرف وفي الخبر مثل الجليس السوء كمثل القين
إن لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه **وفي الأخبار** السابقة أن الله تعالى أوحى
إلى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك إخوانا وكل أخ وصاحب
لم يوازرك على مسرتي فهو لك عدو وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام
فقال له يا داود ما لي أراك منتبذا وحدانيا قال إلهي قليت الخلق من أجلك
فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك إخوانا وكل خدن لا يوافقك على مسرتي
فلا تصحبه فإنه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وما أحسن قول أبي إسحاق
إبراهيم بن مسعود الإلبيري في هذا المعنى: فخف أبناء جنسك واخش منهم كما تخشى الضراغم
والسبنتا :: وخالطهم وزايلهم حذارا وكن كالسامري إذا لمستا
وبالعزلة أيضا تجتمع همه ويقوى في ذات الله عزمه بخلاف الخلطة فإنها تفرق الهم
وتضعف العزم فقد قيل إن العبد ليعقد في خلوته على خصال من الخير يعملها فإذا
خرج إلى الناس حلوا عليه ذلك عقدة عقدة حتى يرجع إلى بيته وقد انحلت العقد
كلها **وروي** عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن
الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وفي الخبر المروي عن نبينا صلى الله عليه وسلم

اخوف ما اخوف على امتي ضعف اليقين وضعف اليقين انما يكون من رؤية اهل الغفلة
ومخالطة ارباب البطالة والقسوة **قال ابو طالب** المكي رضي الله عنه واضر ما ابتلي
به العبد وادخله واعجله في هلاكه واشركه لحجبه وابعاده ضعف يقينه لا وعدم الغيب وتوعد
عليه بالشهادة وقوة اليقين اصل كل علم صالح **وقال** بعض هذه الطائفة قلت لبعض الابدال
المنقطعين الى الله تعالى كيف الطريق الى التحقيق والوصول الى الحق قال لا تنظر الى الخلق فان
النظر اليهم ظلمة قلت فلا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي قال
فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران وحسرة ووحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم
قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا تنظر الى اللاعبين وتسمع
كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن الى الهلكى وتريد ان تجد حلاوة الطاعة وقلبك
مع الله عز وجل هيهات هذا ما لا يكون ابدا **و**بالعزلة يتكفف بصره عن النظر الى زينة
الدنيا وزهرتها وينصرف خاطره عن الاستحسان لما ذمه الله تعالى من زخرفها فيمتنع
بذلك النفس عن التطلع اليها والاستشراف لها ومنافسة اهلها فيها قال الله تعالى
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية ولا ينبغي لاحد ان يستحقر هذا فانه يودي
الى امراض عظيمة في القلب ومن اعتزل عن الناس سلم باذن الله تعالى منها **قال الامام** ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه فان ارباب المجاهدة اذا ارادوا صون قلوبهم عن الخواطر الردية لم ينظروا
الى المستحسنات قال وهذا اصل كبير لهم في المجاهدات في احوال الرياضة انتهى **وقال**
محمد بن سيرين رضي الله عنه اياك وفضول النظر فانه يودي الى فضول الشهوة **وقال**
بعض الادباء من كثرت لحظاته دامت حسراته وقالوا ان العين سبب الحين ومن ارسل طرفه
اقتنص حتفه وان النظر الى الاشياء بالبصر يوجب تعرفه القلب وقد انشدوا في هذا المعنى

وانك ان ارسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر ... عليه ولا عن بعضه انت صابر

وبذلك ينقطع طمعه عن الناس ويحصل له منهم الاياس وذلك من اعظم فوائد العزلة عند العقلاء
الاكياس ولا تتم له منفعة العزلة الا باشتغال القلب بالفكرة وهي المقصودة منها وكان
العزلة مقدمة لها ومعينة عليها وذلك بعد تقريبه ما يحتاج اليه من علوم الشرع الظاهرة
والقيام بمراعاة اداب باطنه وقد ذكر منها الشيخ ابو حامد الغزالي رضي الله جملة شافية
في كتاب العزلة من الاحياء فلتنظر هناك **وقد جاء** في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة

سبعين

سبعين سنة كذا هو والله اعلم **وكان** عيسى بن مريم عليه السلام يقول طوبى لمن كان
قيله ذكرا وصمته تفكرا ونظره عبرة ان اكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
وقال كعب الاحبار من اراد شرف الاخرة فليكثر التفكر **وقيل** لام الدرداء ما كان
افضل عمل ابي الدرداء قالت التفكر وذلك لانه يصل بها الى معرفة حقائق الاشياء وتبيين
الحق من الباطل والنافع من الضار ويطلع بها ايضا على خفايا افات النفس ومكايد
العدو وغرور الدنيا ويتعرف بها وجوه الحيل في التحرز عنها والطهارة منها **قال الحسن**
رضي الله عنه الفكرة مرآة تريك حسنك من سيئك ويطلع بها ايضا على عظمة
الله وجلاله اذا تفكر في اياته ومصنوعاته ويطلع بها ايضا على الائه ونعمائه الجلية
والخفية فيستفيد بذلك احوالا سنية يزول بها مرض قلبه ويستقيم بسببها على
طاعة ربه **قلت** والعزلة التي ذكرها المؤلف رحمه الله تتضمن وجود الخلوة وهي
احد الاركان الاربعة التي هي اساس المريدين ويلزم عنها من الثلاثة الباقية
الصمت اذ لا يتاتى من الفرار من الناس الا بالخلوة والعزلة فان اضاف اليها المريد الركنين
الباقيين وهما الجوع والسهر فقد حصل على طلبة الزهاد والتحق بزمرة الاولياء
والابدال **قال سهل** بن عبد الله رضي الله عنه اجتمع الخير كله في هذه الاربع خصال
وبها صار الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت والخلوة والسهر وقال الشاعر وجمعها في
نظمه فقال

يا من يريد منازل الابدال ... من غير قصد منه للاعمال
لا تطمعن فيها فلست من اهلها ... ان لم تزاحمهم على الاحوال
بيت الولاية قسمت اركانه ... سادتنا فيه من الابدال
ما بين صمت واعتزال دائم ... والجوع والسهر النزيه الغالي

كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مراته ام كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ام كيف يطمع ان يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ام كيف يرجو ان يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته

الجمع بين الضدين محال كاجتماع
الحركة والسكون والنور والظلمة وهذه الاشياء التي ذكرها المؤلف رحمه الله
اضداد لا تجتمع فان اشراق القلب بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التي استولت
عليه من كونه الى الاغيار والاكوان واعتماده عليها والمسير الى الله تعالى بقطع

عقبات النفس مضاد للاعتقال في حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله المقتضية
لطهارة الظاهر والباطن ونزاهته مضاد لما هو عليه من جنايته عقلاته التي مقتضاها الانقطاع والابعاد
ومنهم دقائق الاسرار والمستفاد من التقوى مضاد للاصرار على المعاصي والهفوات واليه الاشارة
بقوله عز من قائل واتقوا الله ويعلمكم الله وما روي في بعض الاخبار من عمل بما علم ورثه الله علم
ما لم يعلم **قال** شيخ ابن معين رضي الله عنه التقى احمد بن حنبل واحمد بن ابي الحواري
فقال ابن حنبل لابن ابي الحواري يا احمد حدثنا بحكاية سمعتها من استاذك ابي سليمان فقال
يا احمد قل سبحان الله بلا عجب فقال احمد بن حنبل سبحان الله وطولها بلا عجب فقال احمد
ابن ابي الحواري سمعت ابا سليمان يقول اذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت في
الملكوت وعادت الى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير ان يؤدي اليها عالم علما قال فقام
احمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت في الاسلام بحكاية اعجب الي من هذه ثم ذكر
الحديث الذي ذكرناه من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال لاحمد ابن ابي الحواري
صدقت يا احمد وصدق شيخك ولاجل كون هذه الاشياء اضدادا عجب المؤلف رحمه
ممن يعتقد صحة اجتماعها ممن طمع في نيل مراتب الرجال مع كونه على قبح

الحال الكون كله ظلمة وانما اناره ظهور الحق فيه فمن رأى
الكون ولم يشهده فيه او عنده او قبله او بعده فقد اعوزه
وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار

العدم ظلمة والوجود نور فالكون بالنظر الى ذاته عدم مظلم وباعتبار تجلي نور الحق
عليه وظهوره فيه وجود مستنير ثم اختلفت احوال الناس فها هنا فمنهم من لم يشاهد
الا الاكوان وحجب بذلك عن رؤية المكون فهذا تائه في الظلمات محجوب بسحب الآثار
الكائنات ومنهم من لم يحجبه الاكوان عن المكون ثم هؤلاء في مشاهدتهم اياه فرق فمنهم
من شاهد المكون قبل الاكوان وهؤلاء هم الذين يستدلون بالمؤثر على الآثار ومنهم
من شاهده بعد الاكوان وهؤلاء الذين يستدلون بالآثار على المؤثر ومنهم من شاهده
مع الاكوان والمعية ها هنا اما معية اتصال وهو شهوده في الاكوان واما معية
انفصال وهو شهوده عند الاكوان وهذه الظروف المذكورة ليست بزمانية ولا
مكانية لان الزمان والمكان من جملة الاكوان والاتصال والانفصال المذكوران ليسا
على ما يفهم من معانيهما فانهما ايضا من جملة الاكوان ومعرفة تحصيل هذه

الامور

في جملة

الامور والتعرف فيه من هذه الحقائق على ما هي من كون الدار بابه فلنقتصر على ما ذكرناه
فها هنا زلت اقدام كثير من الناس فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا بعبارات منكرة في الشرع
فكفروا بذلك وبدعوا باعتقاد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك بقوله عز وجل ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير **مما يدلك على وجود قهره سبحانه**
ان حجبك عنه بما ليس بموجود معه اتفقت مقالات
العارفين والمحققين واشاراتهم ومواجيدهم على ما ذكرناه فان هذا من ان ما سوى الله
تعالى عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله سبحانه قال الله تعالى كل شيء
هالك الا وجهه **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق بيت قالته الشعراء
الا كل شيء ما خلا الله باطل **قال بعض** العارفين ان المحققين لن يشهدوا غير الله
لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية **وقال** سيدي ابو الحسن
الشاذلي رضي الله عنه انا لننظر الى الله تعالى ببصر الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل
والبرهان ونستدل به على الخلق هل في الوجود شيء سوى الواحد الحق فلا نراه وان كان ولا بد
فنراهم كالهباء في الهواء ان فتشتهم لم تجدهم شيئا **وقال** ايضا رضي الله عنه قوي علي الشهود
مرة فسألته ان يستر ذلك عني فقيل لي لو سألته بما سأله موسى كليمه وعيسى روحه
ومحمد صفيه لم يفعل ولكن سله ان يقويك فسألته فقواني **قال** ابن عطاء
في التنوير فما سوى الله تعالى عند اهل المعرفة لا يوصف بوجود ولا بفقدان لا يوجد
معه غيره لثبوت احديته ولا بفقد لغيره لانه لا يفقد الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم
لوقع العيان على فقد الاعيان واشرق نور الايقان فغطى وجود الاكوان وهذا الكلام
هو نسك ما ذكره في هذا الكتاب وقال بعضهم لو كلفت ان ارى غيره لم استطع فانه لا غير معه حتى اشهده معه

بوجود

وقال الشاعر
مذ عرفت الاله لم ار غيرا … وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا … وانا اليوم واصل مجموع

وقال آخر
الله قل وذر الوجود وما حوى … ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته … عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بانك والعوالم كلها … لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته … فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا ولما يشهدوا … شيئا سوى المتكبر المتعال

ورأوا استواءه على الحقيقة في الكل في الحال والماضي والاستقبال
وقد صنفوا في بيان هذا الأمر تصانيف وتفننوا في الكلام في هذا المعنى نظما ونثرا وكل عبر على
حسب شربه وذوقه جزاهم الله عنا خيرا فإذا تقرر هذا وجدنا أكثر الناس قد حجبوا عن الله
تعالى بشهواتهم الدنياوية ودرجاتهم الأخراوية ومقاماتهم القلوبية وكذلك من الأغيار العد
مية والوجودات الوهمية علمنا بذلك وجود قهره إذ من أسمائه تعالى القهار ولو رفع الحجاب
عنهم لفنوا عن أنفسهم وإراداتهم وبقوا بربهم وكانوا عباد الله حقا وقد سئل أبو سعيد ابن
الأعرابي رضي الله عنه عن الفناء فقال الفناء أن تبدو العظمة والإجلال على العبد فتنسيه
الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات والأذكار وتفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن
نفسه وفنائه عن الأشياء وعن فنائه به عن الفناء لأنه يغرق في التعظيم انتهى
قالوا والفناء على ثلاثة أوجه فناء في الأفعال ومنه قولهم لا فاعل إلا الله وفناء في الصفات
لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة إلا الله وفناء في
الذات لا موجود على الإطلاق إلا الله وأنشدوا في ذلك

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى ... فكان فناؤه عين البقاء

وقال الشيخ محيي الدين من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ومن
شهدهم عين العدم فقد وصل وأنشدوا في ذلك

من أبصر الخلق كالسراب ... فقد ترقى عن الحجاب
إلى وجود تراه رتقا ... بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم تشاهد به سواه ... هناك تهدى إلى الصواب
فلا خطاب به إليه ... ولا مشير إلى الخطاب

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء
بما أشرق عليه من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم **كيف يتصور
أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء** حتى استدل عليه المستدلون بالأشياء
كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم **كيف يتصور أن يحجبه شيء
وهو الذي ظهر في كل شيء** إذ هو المتجلي فيها بمحاسن صفاته وأسمائه **كيف يتصور
أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء** في ظهوره لكل شيء ولذلك كان
ساجدا لله ومسبحا بحمده ولكنا لا نفقه ذلك **كيف يتصور أن يحجبه شيء**

وهو

وهو الظاهر قبل وجود كل شيء لتحقق الاسم له أزلا وأبدا **كيف يتصور أن يحجبه شيء**
وهو أظهر من كل شيء لأن الوجود أظهر من العدم على كل حال **كيف يتصور**
أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء إذ كل ما سواه عدم لا وجود له
على التحقيق **كيف يتصور أن يحجبه شيء** وهو أقرب إليك من كل شيء لثبوت
إحاطته بك ووجود قيوميته عليك **كيف يتصور أن يحجبه شيء** ولولاه ما
كان وجود كل شيء حتى استدل به الشاهدون على الأشياء كما قال تعالى أولم يكف
بربك أنه على كل شيء شهيد يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم أم كيف
يثبت الحادث مع من له وصف القدم لأن الباطل لا يثبت مع ظهور الحق كما قال
تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وقوله عز من قائل بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق **قلت** وهذا الفصل كله من قوله النور
كله ظلمة إلى هنا أبدع فيه المؤلف غاية الإبداع وأتى فيه بما تقر به الأعين وتلذ به الأسماع
فإنه رضي الله عنه ذكر جميع متعلقات الظهور والحجابية من ظلام ونور
وأراك فيه الحق بآية عيان وبرهان ورفعك من مقام الإيمان إلى عالي مراتب الإحسان
كل ذلك في أوجز لفظ وأفصح عبارة وأتم تصريح وألطف إشارة فلو لم يكن في هذا الكتاب
إلا هذا الفصل لكان كافيا شافيا فجزاه الله عن ذلك خيرا **وقال** رضي الله عنه
**ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره
الله فيه** إذ أقام الله تعالى العبد في حال من الأحوال التي لا يذمها الشرع فليلتزم
حسن الأدب في اختيار بقائه عليها ورضاه بها وليراقب الله تعالى في مراعاة آدابها
وليوافق مراد الله تعالى في ذلك حتى يكون هو الذي ينقله عنها **قال أبو عثمان** رضي الله
عنه منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني إلى غيره فسخطته **وقد**
تقدمت حكاية المؤلف رحمه الله مع شيخه أبي العباس حين عزم على التجريد وترك ما كان
عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر وما أجابه به الشيخ رضي الله عنه وهذا من نتائج العلم
بالله تعالى ومعرفة ربوبيته فإن تسخط تلك الحال وتشوف إلى الانتقال عنها بنفسه وأراد أن يحدث
غير ما أظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه وأساء الأدب في حضرة مولاه عز وجل وهذا
من معارضة فالواجب على العبد حكم الوقت الذي تشير إليه الصوفية وهو عندهم من
أعظم ذنوب الخاصة فالواجب على العبد الاستسلام لحكم الله تعالى في ذلك الوقت فيها

اتيا العبودية ومقتضى العلم بالله تعالى وهذا هو أحد معاني لفظ الوقت في اصطلاحهم
قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه وقد يريدون بالوقت ما يصادفهم من تصريف
الحق لهم دون ما يختارون لأنفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت أي إنه مستسلم لما يبدو من الغيب
من غير اختيار وهذا فيما ليس لله عز وجل عليهم فيه أمر أو اقتضاء بحق شرع إذ التضييع
لما أمرت به وإحالة الأمر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج
عن الدين ومن كلامهم الوقت سيف أي كما أن السيف قاطع فالوقت بما يقتضيه الحق ويجريه
غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم كذلك الوقت من
استسلم لحكمه نجا ومن عارضه بترك الرضى انتكس وتردى وأنشدوا

وكالسيف إن لاينته لان مسه ... وحداه إن خاشنته خشنان

ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت هذا كلام الإمام أبي القاسم
وهو موافق لما ذكره صاحب الكتاب والله أعلم ثم قال

إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفوس

إذا كان العبد متلبسا بحال من أحوال الدنيا
وكان له فيها شغل يمنعه من العمل بالأعمال الصالحة وأحال ذلك على فراغه من تلك الأشغال
وقال إذا تفرغت عملت فذلك من رعونة نفسه والرعونة ضرب من الحماقة وحماقته من
وجوه الأول إيثاره الدنيا على الآخرة وليس هذا شأن عقلاء المؤمنين وهو خلاف ما طلب
منه قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى والثاني تسويفه بالعمل
إلى أوان فراغه وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك أو يزداد شغله لأن أشغال الدنيا
يتداعى بعضها إلى بعض كما قيل

فما قضى أحد منها لبانته ... ولا انتهى أرب إلا إلى أرب

والثالث أن يفرغ منها ما الذي يؤمنه من تبدل عزمه وضعف نيته ثم فيه من دعوى الا
ستقلال ورؤية الحول والقوة في جميع الأحوال ما يستحقر في جنبه جميع هذا بل الواجب
عليه أن يبادر إلى الأعمال على أي حالة كان وأن ينتهز فرصة الإمكان قبل مفاجأة الموت
وحلول الفوت وأن يتوكل على الله في تيسيرها عليه وصرف الموانع الحائلة بينه وبينها
وما أحسن قول ابن الفارض في هذا المعنى

وعد من قريب واستجب واجتنب غدا ... أشمر عن ساق اجتهاد بنهضة
وكن صارما كالوقت فالمقت في عسى ... وإياك علّ فهي أخطر علة
وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك ال ... بطالة ما أخرت عزما بصحة

وجرد سيوف العزم سوف فإن تجد ... تجد نفسا فالنفس إن جدت جدت

لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج

قلت إنه إذا كان المرء على حالة لا توافق غرضه
كانت متعلقة بالدين أو بالدنيا لا ينبغي له أن يروم الخروج منها بنفسه ويعارض حكم
وقته فيحدث فيه غير ما أظهره الله كما تقدم في قوله ما ترك من الجهل شيئا من أراد
أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه مع الشرك الخفي وهو ما يكون في ذلك مخالفة أمر لا
أو ارتكاب نهي له أيضا ألا يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه أن يخرجه منها ويستعمله
فيما سواها لأن هذا من التحكم على الله تعالى ولا خير له في ذلك بل ينبغي له حسن الأدب
معه وإيثار مراده على اختياره هو وحينئذ يتحقق بحال يتعرف منها محبة الله تعالى وإرادته
له فيستعمله استعمال المحبوب عنده مع بقائه على حالته التي هو عليها فيكون إذ ذاك
بمراد الله تعالى له لا بمراده لنفسه وهو خير له مما اختاره قال في التنوير يحكى عن بعضهم
أنه كان يقول وددت لو أني تركت الأسباب وأعطيت كل يوم رغيفين وكان يريد بذلك أن يستريح
من تعب الأسباب قال فسجنت ثم كنت في السجن يأتي كل يوم رغيفان فطال علي ذلك
حتى ضجرت ففكرت يوما في أمري فقيل لي إنك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم تطلب
منا العافية فأعطيناك ما طلبت فاستغفرت من ذلك ورجعت إلى الله تعالى
فإذا باب السجن يقرع فتخلصت وخرجت قال فيه فتأدب بهذه الآية أيها المؤمن ولا
تطلب أن يخرجك من أمر ويدخلك فيما سواه إذا كان ما أنت فيه مما يوافق لسان
العلم فإن ذلك من سوء الأدب مع الله تعالى فاصبر لئلا تطلب الخروج بنفسك فتعطى
ما طلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك شيئا وداخل في غيره ليجد الثمرة والراحة فتعقب
وقوبل بوجود التكدر عقوبة له لوجود الاختيار انتهى كلامه في التنوير وهو كالتفسير
لما ذكره ها هنا فلذلك أوردته

ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا ونادتك حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر

قلت السائر إلى الله تعالى تتجلى له في أثناء سلوكه أنوار وتبدو له
أسرار فإن أرادت همته أن تقف عند ما كشف لها من ذلك لاعتقاده أنه وصل

المطلوب

القصوى الغاية والنهاية من المعرفة نادته هواتف الحقيقة المطلوبة التي تطلب أمامك فجد في السير
ولا تقف وإن تبرجت له ظواهر المكنونات بزينتها وأظهرت حسنها وجمالها نادته حقائقها
الباطنة إنما نحن فتنة فلا تكفر وغض عينيك عن ذلك ولا تلتفت إليه ودم على سلوكك
وسيرك واعلم أنه ما دامت لك همة وإرادة فأنت بعد في الطريق لم تصل ولو قربت منها الوصلة
وما أحسن قول الشيخ أبي الحسن الششتري في هذا المعنى

فلا تلتفت في السير غيرا وكلما ... سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه إنه ... حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى ... عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب ... فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

وقد رأيت للشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه كلاما حسنا مناسبا لما ذكره المولف
رحمه الله تعالى هاهنا من الترقي في الأحوال وظهور النقص في رتبة الكمال فرأيت أن أذكره هاهنا
بنصحي لما فيه من سني الفوائد وشريف المقاصد قال رضي الله عنه اعلم أنك إن أردت
أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة إلا من يدلك على
الله بإشارة صادقة وأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة وأعرض عن الدنيا
بالكلية ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيئا على ذلك بل كن في ذلك عبدا
لله أمرك أن ترفض عدوه فإن كنت في هاتين الخصلتين الإعراض عن الدنيا والزهد
في الناس فأقم مع الله بالمراقبة والتزام التوبة بالرعاية والاستغفار والإنابة
والخضوع للأحكام بالاستقامة وتفسير هذه الوجوه الأربعة أن تقوم عبدا لله
فيما تأتي وتذر وتراقب قلبك أن ترى في المملكة شيئا لغيره فإن أتيت بهذا نادتك
هواتف الحق من أنوار العزة إنك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك القيام مع الله
بالمراقبة وأنت تسمع قوله وكان الله على كل شيء رقيبا فههنا كل يدركك من الحياء
ما يحملك على التوبة مما ظننت أنه قربة فالتزم التوبة بالرعاية لقلبك ألا
تشهد ذلك منك بحال فتعود إلى ما خرجت عنه فإن صحت هذه منك نادتك
الهواتف أيضا من قبل الحق التوبة منه بدأت والإنابة منه تتبعها واشتغالك
بما هو وصف لك حجاب عن مرادك فههنا لك تظهر أوصافك فتستعيذ بالله

منها

منها وتأخذ في الاستغفار والإنابة والاستغفار طلب الستر من أوصافك بالرجوع
إلى أوصافه فإن كنت بهذه الصفة أعني الاستغفار والإنابة ناداك من قريب اخضع
لأحكامي ودع عنك منازعتي واستقم مع إرادتي برفض إرادتك وإنما هي
ربوبية تولت عبودية وكن عبدا مملوكا لا يقدر على شيء فمتى رأيت منك قدرة
وكلتك إليها وأنا بكل شيء عليم فإن صح لك هذا الباب ولزمته أشرفت من هنالك
على أسرار لا تكاد تسمع من أحد من العالمين انتهى **طلبك منه اتهام له وطلبك**
له غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيائك منه
وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه الطلب الذي
يتصور من العبد على أربعة أوجه وكلها مدخولة معلولة طلبه من الله
وطلبه له وطلبه لغيره وطلبه من غيره فطلبه من الله تهمة له إذ لو وثق به
في إيصال منافعه إليه من غير سؤال لما طلب منه وطلبه له غيبة عنه إذ
الحاضر لا يطلب وطلبه لغيره قلة حياء منه إذ لو استحيا منه لانقبض عما يكرهه
له من طلبه لغيره ومن حق الحياء منه أن لا يذكر معه غيره ولا يؤثر عليه سواه وطلبه من
غيره لوجود بعده عنه إذ لو كان قريبا منه لكان غيره بعيدا عنه فلا يطلب منه
فالطلب كله عند الموحدين العارفين معلول إن كان الطلب متعلقا بالحظوظ والعلل إلا ما كان
من الطلب على وجه التعبد والتأدب واتباع الأمر وإظهار الفاقة والفقر فحينئذ تزول
عنه العلة **ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه** الأنفاس
أزمنة دقيقة تتعاقب على العبد ما دام حيا فكل نفس يبديه ومنه ظرف لقدر من أقدار الحق
تعالى ينفذه فيه كائنا ما كان فإذا كانت جزئيات العبد وذاته قد استغرقتها
أحكام الله تعالى يقوم بها وهو مطالب بذلك ومسؤول عنه وعن أنفاسه
التي هي أمانة الحق عنده لم يبق له إذ ذاك مجال التدبير أمور دنياه ولا محل
لمتابعة شهوته وهواه **لا تترقب فروغ الأغيار فإن ذلك يقطعك**
عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه إذا أقام الله تعالى
عبدا في سبب من الأسباب فالواجب عليه أن يوفيه حقه ويلتزم فيه
الأدب ولا يترقب وقتا ثانيا يكون فيه فارغا منه فإن تأميله للوقت الثاني
يقطعه من القيام بحق الوقت الأول فيما أقيم فيه وتوفية ما يجب له وهو خلاف

الامر المطلوب منه فليجتنب ذلك المريد قال ابو حفص رضي الله عنه الفقير
الصادق الذي يكون في كل وقت بحكمه فاذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته
يستوحش منه وينفيه وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه اذا جنك الليل
فلا تامل النهار حتى تسلم ليلتك تلك وتؤدي حق الله فيها وتنصح فيها لنفسك
واذا اصبحت فكذلك وسئل سهل رضي الله عنه متى يستريح الفقير
فقال اذا لم ير وقتا غير الوقت الذي هو فيه **لا تستغرب وقوع الاكدار ما دمت
في هذه الدار فانها ما ابرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب
نعتها** جعل الله تعالى الدنيا دار فتنة وابتلاء ليعمل كل واحد على مقتضى ما سبق
له ويوفى جزاءه في الدار الآخرة قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وعمل كل واحد فيها
انما هو مخالفة شهوات نفسه او موافقتها وذلك لا محالة يستدعي وجود محبوب
او مكروه يفعل او يترك من ضروريات الدنيا وجود المكاره والمشاق فيها فتقع الا
كدار بسبب ذلك وايضا فحاصل الدنيا امور وهمية انقادت لطباع الناس اليها وهي
لا تفي بجميع مطالبهم لضيقها وقلتها وسرعة تقضيها ونقلتها فتجاذبوها بينهم
فتكدر عيشهم ولم يحصلوا على كلية اغراضهم كما قيل

ارى اشقياء الناس لا يسامونها ... على انهم فيها عراة وجوع
اراها وان كانت تسر فانها ... سحابة صيف عن قليل تقشع

فلا تستغرب وقوع امثال هذا فانه ما ظهر منها الا ما هو مستحق وصفها وواجب
نعتها من وجود المكاره التي هي ذاتية لها قال بعض الحكماء لولا ان الدنيا مبنية
على المكاره لجعلنا منفعة الاهليلج في اللوزينج وسياق التنبيه على الحكمة في هذا
عند قوله انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها وفي بعض
الحكايات المنقولة عن جعفر الصادق رضي الله عنه انه قال من طلب ما لم يخلق
اتعب نفسه ولم يرزق فقيل له وما ذلك قال الراحة في الدنيا وفي معناه انشدوا

تطلب الراحة في دار الفنا ... خاب من يطلب شيئا لا يكون

وقال بعض البلغاء ملتمس الراحة في دار المتالف والمعاطب كالمتصرف على مراجح الحيات
ومراب العقارب وقال ابن مسعود رضي الله عنه الدنيا كلها غموم فما كان
فيها من سرور فهو ربح وقال الجنيد رضي الله عنه لست استبشع ما يرد

على

على من العالم لاني قد اصلت اصلا وهو ان الدنيا دار هم وغم وبلاء وفتنة وان العالم كله شر
ومن حكمه ان يتلقاني بكل ما اكره فان تلقاني بكل ما احب فهو فضل والا فالاصل الاول
وقال ابو تراب رضي الله عنه يا ايها الناس انتم تحبون ثلاثة اشياء وليست هي لكم تحبون
النفس وهي لله وتحبون الروح والروح لله وتحبون المال والمال للورثة وتطلبون اثنتين
ولا تجدونهما الراحة والفرح وهما في الجنة فالواجب على العبد الا يركن على
الراحة في الدنيا نفسا ولا يركن الى ما يقتضي فرحا او انسا ويعمل على قول النبي
صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو هريرة رضي الله عنه الدنيا سجن المومن فيتوطن
العبد على الصبر في دنياه ليهون عليه ما يلقاه ويجد السلوان عند فقد ما يهواه
كما قيل

فمن كان ذو اللب في لبه ... شر ابتدائه قبل ان تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه ... لما كان في نفسه مثلا
راى الامر يفضي الى آخر ... فصير آخره اولا
وذو الجهل يامن ايامه ... وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان ... ببعض مصائبه اعولا
ولو قدم الحزم في نفسه ... لعلمه الصبر عند البلا

فليتلق المريد ما يرد عليه من ذلك بالصبر والرضى والاستسلام عند جريان القضاء
فعن قريب ان شاء الله ينجلي الامر ويستوجب من الله تعالى جزيل الاجر والله تعالى
ولي التوفيق قال احمد بن ابي الحواري رضي الله عنه قال لي ابو سليمان الداراني جوع قليل
وعري قليل وذل قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك ايام الدنيا واعلم ان ما ذكرناه من
الصبر هو جماع كل فضيلة وملاك كل فائدة جزيلة ومكرمة جليلة قال الله عز
وجل وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال عز من قائل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه ان استطعت
ان تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره
خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ان صبرنا مضى امر الله وكنا ماجورين وان جزعنا مضى
امر الله وكنا مازورين وقال علي رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبو والسيف

وقال ابن عباس رضي الله عنه افضل العبادة الصبر عند الشدة
وفي بعض الاخبار انتظار الفرج بالصبر عبادة وقد قال الشاعر

إن الأمور إذا انسدت مسالكها ... فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وإن طالت مطالبة ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

فمن جعل الصبر معتمده في نوازله واتخذه من اعظم عدده ووسايله فهو مصيب
في رأيه منجح في سعيه ومن جزع من المصايب واضطرب عند وقوع النوايب كان عاملا
فيما يزيده ضرا ويكسبه وزرا ويفوته أجرا وناهيك به خسرا كما قيل

وإذا أتتك مصيبة فاصبر لها ... عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

وكما قيل ايضا

وعوضتنا أجرا من فقيد فلا تكن ... فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب

ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك
من أنزل حوايجه بالله تعالى والتجا اليه وتوكل في أمره كله عليه كفي مؤنته وقرب
عليه كل بعيد ويسر عليه كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على قوته
وحوله وكله الله تعالى الى نفسه وخذله توفيقه واهمله فلم ينجح مطالبه ولم تتيسر
مآربه وهذا معلوم على القطع من نصوص الشريعة وأنواع التجارب **قلت** وكلام
المؤلف رحمه الله تعالى في هذه المسألة عام يتناول كل مطلب من المطالب الدينية
والدنياوية التي مآل أمرها الى الدين واشرف تلك المطالب واكثرها قواطع ومعاطب
اخذ المريد في سلوك سبيل التوحيد ففيه التعلق بالله تعالى احوج واصوب وفي جميع
جزئياته الرجوع الى الله تعالى أولى وأوجب فلا جرم كان من الرأي السديد والأمر
الأكيد تخصيصه من ذلك العام وأن يفرده عقيب هذه المسألة بمزيد من الكلام
فلذلك قال **من علامة النجح في النهايات الرجوع الى الله**
في البدايات للمريد بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال
وصوله فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة
به كما ذكرناه أفلح وأنجح في نهايته وكان وصوله الى الله تعالى وأمن عليه
من الرجوع والانقطاع قال بعض المشايخ ما رجع من رجع الا من الطريق
ولو وصلوا ما رجعوا ومن لم يصحح ذلك بما ذكرناه من تعلقه بالحول والبراءة اليه

من نفسه

١٨

من نفسه والحول انقطع ورجع من حيث جاء قال بعض العلماء من رأيته
يصل الى الله تعالى بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله تعالى بنفسه وكل
الى نفسه فعلى العبد السالك ان يجعل معتمد أمره الاستعانة بالله على ما هو بسبيله
ولا يرى حولا لنفسه ولا قوتها في كثير عمله ولا قليله فهذا هو اساس السلوك الذي ينبني
عليه قواعده **من أشرقت بدايته أشرقت نهايته**
هذه عبارة أخرى موافقة لمعنى ما تقدم فاشراق بداية المريد برجوعه
الى الله تعالى في مهماته وثقته في ملماته واشراق نهايته الوصول الى قربه والحصول
في حضرته **ما استودع في غيب السراير ظهر في شهادة الظواهر**
هذا بيان علامة يعرف بها حال المريد السالك وما نعرفه باطنه من المريد
المتدارك لأن الظاهر مرآة الباطن كما قيل الاسوة تدل على السريرة وما اضمر القلوب فعلى عنوان
الوجوه تلوح آثاره فما استودعه الله تعالى القلوب والاسرار لابد وان تظهر آثار ذلك على
الجوارح فيستدل بشاهد العبد على غايبه من إرادته ومحبته والوصلة به وما أشبه هذا
من الاغراض والمقاصد قال أبو حفص رضي الله عنه حسن أدب الظاهر عنوان حسن
أدب الباطن فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه **وقيل**
لما ورد أبو حفص العراق جاء اليه الجنيد فرأى أصحاب أبي حفص وقوفا على رأسه يأتمرون
لأمره لا يخطي أحد منهم فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا القاسم
ولكن حسن الأدب في الظاهر عنوان أدب الباطن **قلت** والحزم من ذلك أن يعرف المريد
نفسه ويكون من أمرها على بصيرة ولا ينخدع بما يتوهمه من صلاح سريرته دون علانيته
فمن ادعى بقلبه معرفة الله تعالى ومحبته ولم تظهر على ظاهره ثمرات ذلك وآثاره من
اللهج بذكره والمسارعة الى اتباع أمره والاغتباط بوجوده والاستبشار عند
تقييد شهوده والفرار من القواطع الشاغلة عنه والاضطراب عند الوسايط المبعدة
عنه فهو كذاب في دعواه متخذ الهه هواه فإن كان موصوفا بأضداد هذه الخصال متحققا
ظاهره عن حاله كان اغتراره فهو في دعواه أكذب وحاله للبعد والمقت أقرب قال الشيخ
أبو طالب المكي رضي الله عنه وقد جعل الله تعالى وصف الكافرين أنهم إذا ذكر الله
وحده في شيء تقبضت قلوبهم وإذا ذكر غيره من خلقه جعل من نعوتهم أنهم إذا ذكر
الله تعالى بتوحيده وافراده بشيء غضبوا لذلك وذكر هو وإذا أشرك غيره في ذلك

صدقوا به فقال تعالى وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر
الذين من دونه إذا هم يستبشرون وقال أيضا ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم
والكفر التغطية وإن يشرك به تؤمنوا والشرك الخلط أي تخلطوا بذكره ذكر سواه
ثم قال فالحكم لله العلي الكبير يعني لا يشركه خلق في حكمه لأنه العلي في عظمته
الكبير في سلطانه لا شريك له في ملكه وعطائه ولا نظير له من عباده وفي دليل هذا
الكلام وفهمه من الخطاب أن المؤمنين إذا ذكر الله بالتوحيد والإفراد في شيء انشرحت
صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكره وتوحيده وإذا ذكرت الأواسط والأ
سباب التي دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم وهذه علامة صحيحة فاعرفها
من قلبك أو من قلب غيرك لتستدل بها على حقيقة التوحيد في القلب ووجود خفي
الشرك في السر لتكون عارفا انتهى فصل وهذه المسألة التي تضمنها كلام الشيخ
ابن عطاء الله رضي الله عنه من أعظم المسائل وعلى صدق الصادق وكذب الكاذب من أوضح
الدلائل ولما كان قصدنا في هذا التنبيه استغنام ذكر الفوائد العجيبة والحرص على
رسم الفواصل القريبة لغربة الدين في هذا الزمان الرذل واستيلاء الغرة والجهل على
المنسوبين إلى العلم والفضل حسن منا إيراد هذه الكلمات على جهة ضرب المثل
والاكتفاء بالنهي عن الغلط ليعمل بمقتضى ذلك من يرتاد الحق وليتنبه من نام عن رشده في
دينه وقلبه أوضح المسالك واحمل على هذا الأسلوب كل كلام لم تتضح لك مطابقته
ولم تتم في نظرك مناسبته لتسلم بذلك من الاعتراض وتعلو همتك عما تولع به أصحاب
القلوب المراض عافانا الله من ذلك بمنه وفضله شتان بين من يستدل به
أو يستدل عليه المستدل به عرف الحق لأهله وأثبت الأمر
من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه
وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون
الآثار هي التي توصل إليه بنو آدم في أول نشأتهم ومبدأ خلقتهم
وخروجهم من بطون أمهاتهم موسومون بالجهل وعدم العلم قال الله تعالى والله
أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ثم إن الله تعالى لما اختص بعضهم بخصوصية
عنايته واختارهم من أهله لولايته وما ذاك إلا بحصول العلم الذي يتضمنه قوله
وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة التي يحقق لهم النسبة ويوجب لهم الزلفة

والقرينة

والقرينة المشار إليها ذلك بقوله لعلكم تشكرون وجعلهم على قسمين مرادين ومريدين
وإن شئت قلت مجذوبين وسالكين وكلاهما مراد ومجذوب على التحقيق قال الله عز وجل
الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب فالمريدون السالكون إلى الله تعالى في حال
سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الأغيار والآثار والأكوان ظاهرة لهم وموجودة
لديهم والحق تعالى غيب عنهم فهم يستدلون بها عليه في حال ترقيهم والمرادون
المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه الكريم وتعرف إليهم فعرفوه به فلما عرفوه على
هذا الوجه انحجبت الأغيار عنهم فلم يروها فهم يستدلون به عليها في حال تدليهم فهذا
هو حال الفريقين وشتان ما بينهما أي بعد ما بينهما وذلك أن المستدل به على غيره عرف
الحق الذي هو الوجود الواجب لأهله وهو المختص بوصف القدم وأثبت الأمر المشار
به إلى الآثار العدمية من وجود أصله المشار به إلى المؤثر المحقق وجوده والمستدل
بغيره عليه على عكس ما ذكرناه لأنه استدل بالمجهول على المعلوم وبالمعدوم على
الموجود وبالأمر الخفي على الظاهر الجلي وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع
الأسباب وعدم احتظائه بالوصول والاقتراب وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه
بالأشياء الحاضرة ومتى بعد حتى تكون الآثار القريبة هي التي توصل إليه أو تقرب
حتى تكون الآثار الموجودة هي التي تدل عليه عجبا لمن يبغي عليك شهادة
وأنت الذي أشهدته كل شيء قال في لطائف المنن واعلم أن الأدلة إنما نصبت لمن يطلب
الحق لا لمن يشهده فإن الشاهد غني بوضوح الشهود عن أن يحتاج إلى دليل فتكون
المعرفة باعتبار توصيل الوسائل إليها كسبية ثم تعود إليها ضرورية فإذا
كان من الكائنات ما هو غني بوضوحه عن إقامة دليل فالمكون أولى بغناه عن الدليل
منها ثم قال ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة إليه فليت شعري هل لها
وجود معه حتى توصل إليه أو هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة
له وإن كانت الكائنات موصلة إليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها لكن هو الذي
ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصل إليه غير ألوهيته ولكن الحكيم هو واضع الأسباب
وهي لمن وقف عندها ولم ينفذ إلى قدرته عين الحجاب لينفق ذو سعة من سعته
الواصلون إليه ومن قدر عليه رزقه السائرون إليه
إشارة مليحة إلى حال الفريقين فالواصلون إلى الله تعالى لما خرجوا من سجن رؤية

الاغيار الى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم فانتفوا من سعتهم
ونصر عوائق عوالمهم كيف شاءوا وان النشا لكون اليه مفرور عليهم في ارزاق العلوم والفهم
والفهوم محبوسون في مضيق الخيالات والرسوم يتقون بما اتاهم الله من الرزق المعلوم
المقدر المضمون اهتدى الراحلون اليه بانوار التوجه والواصلون
لهم انوار المواجهة فالاولون للانوار وهاؤلاء الانوار لهم لانهم
لله لا لشيء دونه — انوار التوجه هو ما منهم الى الله تعالى من عبادات
ومعاملات ومجاهدات ومكابدات وانوار المواجهة ما من الله لهم من تعرف وتقرب وتودد
وتحبب فالاولون عبيد الانوار لوجود حاجتهم اليها في الوصول الى مقصدهم والاخرون الانوار
لهم لوجود غناهم عنها بربهم فهم لله لا لشيء دونه وتبيان هذا المعنى عند قوله انت مع
الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك قال الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون — افراد التوحيد بعدم مخالطة الاغيار هو حق اليقين وروية ما سوى الله تعالى
خوض ولعب وهما من صفات الكافرين والمنافقين قال الله عز وجل اخبارا عنهم وكنا نخوض
مع الخائضين وقال تعالى بل هم في شك يلعبون — وقال رضي الله عنه — تشوفك الى ما
بطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب — حكم
المريد ان يتشوف الى معرفة ما غاب عنه من معايب نفسه ويتطلبها ويبحث عنها
فان ذلك هو حق الحق تعالى منه فينبغي ان يحرص عليه ويصرف عنان اعتنائه اليه
ليحصل له صفاء اعماله من الآفات ونقاء احواله من الكدرات وينتفي عنه الجهل والغرور
وتنقطع من باطنه مواد الشرور — وقد ذكر الشيخ ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب
رياضة النفس طرقا في التعريف التي بها يتعرف الانسان عيوب نفسه فلينظر فيه المريد
وقد جعل حاصله اربعة اوجه احدها ان يجلس بين يدي شيخ بصير بالعيوب والآفات
يحكمه على نفسه ويتبع اشارته فيما يشير به عليه والثاني مصاحبة مريد
صدوق يجعله رقيبا على احواله واعماله لينبهه على الخفي عليه من مذام خصاله والثالث
ان يستفيد معرفة عيوبه من اعدائه اذ لابد من جريان ذلك على السنتهم عند ثلبهم
وغيبتهم والرابع ان يستفيد ذلك من مخالطة الناس فما يطلع منهم من ذلك عرف مساويهم
فاذا اطلع عليها منهم علم انه لا ينفك هو عن شيء منها لان الطباع البشرية في ذلك
متقاربة وقد يكون له في نفسه ما هو اعظم مما يراه في غيره فيطالب نفسه حينئذ بالتطهير

منها

منها والشركة عنها هذا تلخيص ما ذكره ثم قال وهذه كلها حيل من [illegible] ولكنا بصيرا
بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله ناصحا من تقديم
لهم فمن وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده
امتهن وأما طلبه للغيوب المحجوبة عنه من خفايا القدر ولطائف العبر فانه حظ نفسه لا حق
عليه فيه للحق تعالى فليكف عنها نفسا ولا يشغل بها عقلا ولا حسا وما ظهر له منها لا وما اظهر
يسكن اليه ولا يعول عليه فان ذلك من المعايب القادحة في عبوديته ولهذا قالوا كن طالب
الاستقامة ولا تكن طالب الكرامة فان نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك
يطالبك بالاستقامة ولان تكون بحق الكرامة فمولاك اولى منك بان تكون بحق
نفسك — ومن الحكايات في هذا المعنى الذي ذكرناه ما روي في الاسرائيليات عن وهب
بن منبه رضي الله عنه ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سنة
ستة ايام فسأل الله تبارك وتعالى ان يريه كيف تغوي الشياطين الناس فلما طال
ذلك عليه ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا
الامر الذي طلبته فارسل الله اليه ملكا فقال له ان الله تعالى ارسلني اليك وهو يقول لك
ان كلامك هذا الذي تكلمت به احب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك
فانظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من الناس الا والشياطين
حوله كالذباب فقال اي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين وهيئات بان ان
الكرامات غير مطلوبة التحصيل ولا مغتبط بوجودها الذي كل عالم نبيل عند
قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه — الحق ليس بمحجوب وانما المحجوب
انت عن النظر اليه اذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ولو كان له ساتر
لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده
ن الحجاب على الحق تعالى محال واستدل المؤلف على ذلك بما ذكره هنا وهو
بين لا اشكال فيه والحجاب على العبد واجب من حيث ذاته اذ هو عدم كما
تقدم ولا نسبة بين العدم وبين الوجود فان اراد الله تعالى رفع هذا الحجاب
عن من شاء كيف شاء متى شاء من ليس كمثله شيء وهذا مما يجب اعتقاده ن
[illegible] انصاف [illegible] من العبود
[illegible] البشرية

المتعلقة بأمر [illegible] أحدهما ما يتعلق بظاهر العبد وجوارحه وهي الأعمال
والثاني ما يتعلق بباطنه وقلبه وهي العقود فأما ما يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم
إلى قسمين ما وافق الأمر ويسمى طاعة والثاني ما خالفه ويسمى معصية
وأما ما يتعلق بباطنه وقلبه فينقسم أيضا إلى قسمين أحدهما ما وافق الحقيقة
ويسمى إيمانا وعلما والثاني ما خالفهما ويسمى نفاقا وجهلا والنظر فيما يتعلق
بظاهر العبد يسمى في الاصطلاح تفقها والنظر فيما يتعلق بباطنه يسمى في الاصطلاح
تصوفا وبعد أن الأمران هما كلية العبد وظاهره تابع لباطنه بالضرورة لأن القلب هو الملك
والجوارح جنوده ورعيته ومن شأن الرعية طاعة الملك فيما يأمر به وينهى عنه وقد
نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال إن في الجسد
مضغة إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسدت فسد الجسد ألا وهي القلب وصلاح
القلب إنما يكون بطهارته عن الصفات المذمومة كلها دقيقها وجليلها وهذه هي
الصفات المناقضة للعبودية من أوصاف البشرية التي أشار إليها المؤلف رحمه الله
وهي التي تسم صاحبها بسمة النفاق والفسوق وهي كثيرة مثل الكبر والعجب
والرياء والسمعة والحقد والحسد وحب الجاه والمال ويتفرع عن هذه الأصول
فروع خبيثة من العداوة والبغضاء والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وترك
الثقة بمجيء الرزق وخوف سقوط المنزلة من قلوب الخلق والشح والبخل وطول
الأمل والأشر والبطر والغل والحسد والغش والمباهاة والتصنع والمداهنة
والقسوة والفظاظة والغلظة والغفلة والجفاء والطيش والعجلة والحدة
والحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة وقلة الحياء وترك القناعة وحب الرياسة
وطلب العلو والانتصار للنفس إذا نالها الذل وذهاب ملك النفس إذا رد عليه قوله
إلى غير ذلك من النعوت الذميمة والأخلاق اللئيمة وأصل فروعها وعنصر ينبوعها
بعضها إنما هو رؤية النفس والرضا عنها وتعظيم قدرها وترفيع أمرها فبهذه
الأمور كفر من كفر ونافق من نافق وعصى من عصى وبها خلع من عنقه ربقة
العبودية لربه عز وجل من خلع حسبما يقوله المؤلف رحمه الله بإثر هذا وأشار
الصوفية إنما هم [illegible] أنه لا ينفك هو عن شيء منها لأن أنواع البشرية في كل
وفيه تنبيه له في نفسه ما هو أعظم مما يراه في غيره فيطالب نفسه حينئذ بالتطهير

والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له منهن فرجا ومخرجا أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم
عبد من عبادي بمخلوق دوني أعلم ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السموات من يده
وأسخت الأرض من تحته ولا أبالي في أي واد هلك وقال بعضهم كنت في مجلس يزيد بن هارون
وكان إلى جانبي رجل فسألته عن قصته وخبره فقال نزلت بي حاجة فقلت ومن تؤمل لها فقال
يزيد فقلت إذا لا يسعفك بحاجتك ولا تنجح طلبتك ولا يبلغك أملك فقال
وما أعلمك رحمك الله قلت إني قرأت في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول وعزتي وجلالي
وجودي وكرمي وارتفاعي فوق عرشي في علو مكاني لأقطعن أمل كل مؤمل غيري
باليأس ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس ولأنحينه من قربي ولأقطعنه من وصلي
أيؤمل غيري في النوائب والشدائد بيدي وأنا الحي ويرجو غيري ويطرق بالفكر أبواب غيري
وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني من ذا الذي أملني
لنائبة فقطعت به دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيم جرمه فقطعت رجاءه مني
أم من ذا الذي قرع بابي فلم أفتحه له جعلت آمال خلقي بيني وبينهم متصلة فتعلقت
بغيري وجعلت رجاءهم مذخورا لهم عندي فلم يرضوا بحفظي وملأت سماواتي ممن لا
يملون تسبيحي من ملائكتي وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا
بقولي ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري إلا
بإذني فما له معرضا عني وما لي أراه لاهيا إلى سواي أعطيته بجودي ما لم يسألني ثم
انتزعته منه فلم يسألني رده وسأل غيري أفتراني أبدأ بالعطية قبل المسألة ثم
أسأل فلا أجيب سائلي أبخيل أنا فيبخلني عبادي أليس الدنيا والآخرة لي أوليس الرحمة
والفضل بيدي أوليس الجود والكرم لي أوليس أنا محل الآمال فمن ذا الذي يقطعها دوني
وما عسى أن يؤملني المؤملون لو قلت لأهل سماواتي وأهل أرضي أملوني ثم أعطيت
كل واحد منهم من الفضل مثل ما أعطيت الجميع ما انتقص ذلك من ملكي عضو ذرة
وكيف ينقص ملك أنا قيمه فيا بؤس للقانطين من رحمتي ويا بؤس من عصاني ولم
يراقبني وأصر على محارمي ولم يستحي مني قال رحمك الله أمل هذا الحديث علي فكتبته
ثم قال والله لا أكتب حديثا بعده قلت والأصل الذي ينبني عليه هذا المعنى هو
تحقق العبد في مقام حسن الظن بالله تعالى وقد أخذ المؤلف رحمه الله في ذكره بإثره
فقال إن لم تحسن ظنك به لأجل وصفه حسن ظنك به لوجود معاملته معك

فهل عودك الا حسنا وهل اسدى اليك الا مننا حسن الظن بالله تعالى
من مقامات اليقين والناس فيه على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو
عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ
النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر ولذلك لا يخاف من الانقلاب والتغير
في احدهما ما يخاف في الاخر لان ارباب المقام الاول لما تحققوا في المعرفة بالله تعالى واحتظوا
بانوار اليقين به اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة
ولا مجال لسوء ظن وارباب المقام الثاني لم يرتفعوا عن نظرهم الى الافعال وهي متلونة عليهم
في كل حال وعند وقوع بعض ما لا يلائمهم منها ربما تضعف عن تحمل مكاره منها قوى قلوبهم
فلا تعطل لهم البراءة من خواطر سوء الظن وتحركات النفس ما يقتضي وجود هلع وجزع
فليكن العبد عند ذلك مشاهدا معنى قوله عز وجل وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم وما اشبهه وليقس النادر على الغالب قال ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله
عنه حسن الظن عبارة عن قطع الوهم ان يكون او لا يكون لان الوهم قاتل وهو لو فتشت رأيت اعطيتنا
اذنك للوهم هلكتا وكذلك لا تصغ بالاذن الى الشيطان والنفس جنس واحد
انتهى قلت وحسن الظن يطلب من العبد في امر دنياه وفي امر آخرته اما امر
دنياه فان يكون واثقا بالله تعالى في ايصال المنافع والمرافق اليه من غير كد ولا سعي فيها
او بسعي خفيف مأذون فيه ومأجور عليه وبحيث لا يفيته ذلك شيئا من نفل ولا فرض
فيوجب له ذلك سكونا وراحة في قلبه وبدنه فلا يستفزه طلب ولا يزعجه سبب واما
امر آخرته فان يكون قوي الرجاء في قبول اعماله الصالحة وتوفية اجوره عليها في
دار الثواب والجزاء فيوجب له ذلك المبادرة لامتثال الامر والتكثير من اعمال البر بوجود
حلاوة واغتباط ولذاذة ونشاط وقد قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه اوثق
الرجاء رجاء العبد ربه واصدق الظنون حسن الظن بالله تعالى ومن مواطن حسن
الظن بالله تعالى التي ينبغي للعبد الا يفارقه فيها اوقات الشدائد والمحن وحلول
المصائب في الاهل والمال والبدن لئلا يقع بسببها عند ذلك في الجزع والتسخط وسيأتي
هذا المعنى في كلام المؤلف وهو قوله من ظن انفكاك لطفه عن قدره
فذلك لقصور نظره ومن اعظم مواضع حسن الظن بالله تعالى حالة الموت
وقد جاء في الخبر لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وفي حديث

جابر رضي الله عنه من استطاع منكم ان لا يموت الا وهو يحسن الظن بالله فليفعل ثم تلا هذه
الاية وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم الاية وقد قال تعالى فيما يروى عنه
سبحانه انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء قال ابو طالب المكي رضي الله
عنه وكان ابن مسعود يحلف بالله تعالى ما احسن عبد ظنه بالله تعالى الا اعطاه
الله عز وجل ذلك لان الخير كله بيده فاذا اعطاه حسن الظن به فقد اعطاه ما يظنه
لان الذي حسن ظنه به هو الذي اراد ان يحققه له وقد روي عن ابي النضر حيان قال خرجت
عائدا ليزيد بن الاسود فلقيت واثلة بن الاسقع وهو يريد عيادته قال فدخلنا عليه
وهو في فراشه فلما رأى واثلة بسط يده وجعل يشير اليه فاقبل واثلة حتى جلس على الفراش
واخذ يزيد بن الاسود بكفي واثلة حتى جعلهما على وجهه فقال له واثلة اسألك
عن شيء تخبرني فيه قال لا تسألني عن شيء اعلمه الا اخبرتك به قال واثلة كيف ظنك
بالله عز وجل قال اغنى والله بالله حسن قال فابشر فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدي ان ظن خيرا
او ظن شرا وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مر بضاف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ظنك بالله تعالى فقال يا رسول الله
حسن قال فظن به ما شئت فان الله تبارك وتعالى عند ظن المؤمن وروى ابو هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حسن الظن بالله تعالى من
حسن عبادة الله تعالى قلت والاخبار والاثار في الرجاء وحسن الظن بالله تعالى
وسعة رحمته اكثر من ان تحصى ومطالعتها مما يزيد المريد قوة في هذا المقام
فمن اراد الشفاء في ذلك فعليه بمطالعة كتاب الرجاء من قوت القلوب وكتاب
الاحياء ثم بين رحمه الله الحال التي بمنازلتها يتحقق العبد في مقام حسن
الظن بالله تعالى وهو عكوف العبد بباب ربه وتعلق قلبه بوحدانيته
واشار الى ان ذلك هو غاية النعيم ومنتهى الاماني لا ما تتوهمه وتطلبه
من النعيم المعقول والامنيات التي تفنى وتزول وحكم بان خلاف هذا من عمى
القلب ومما يستعاذ ويتعجب منه كل ذي لب فقال العجب كل العجب ممن
يهرب مما لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له معه فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

هو من العبد من ولاه بإقباله على شهوته ومتابعة هواه وذلك نتيجة عمى القلب
ووجود الجهل بالرب لأنه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وآثر الفاني الذي لا بقاء
له على الباقي الذي لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لآثر الباقي على الفاني
ولفعل ما فعله سحرة فرعون لما آمنوا بربهم إذ لم يحفلوا بما وعدهم به فرعون
من الإحسان والإنعام والتقريب والإكرام ولم يكترثوا بما توعدهم به من العذاب
والقتل والصلب على جذوع النخل وقالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات
والذي فطرنا ثم قالوا والله خير وأبقى فهؤلاء استنارت قلوبهم وشهدوا
محبوبهم فكان منهم ما كان لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار
الرحا يسير والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه ولكن ارحل من الأكوان
إلى المكون وأن إلى ربك المنتهى العمل على طلب الجزاء والدرجات أو نيل الرتب
العلية والمقامات نقصان في الحال وشوب في إخلاص الأعمال وهو معنى الترحيل من كون
إلى كون وسبب ذلك بقاء اعتناء النفس في تحصيل المراتب وارتفاع بسعيها
موهبة وهذه كلها من الأكوان والأكوان كلها متساوية في كونها أغيارا وإن كان
بعضها أنوارا وتمثيله بحمار الرحا مبالغة في تقبيح حال العاملين على رؤية
الأغيار وتلطف في دعائهم إلى حسن الأدب بما يريد في الواحد القهار حتى
يتحققوا بمعنى قوله تعالى وأن إلى ربك المنتهى فيكون انتهاء سيرهم إليه
وعكوف قلوبهم عليه وتكون أعمالهم إذ ذاك وفاء بمقتضى العبودية وقياما
بحقوق الربوبية فقط من غير التفات إلى النفس على أي حالة تكون فهذا هو تحقيق
الإخلاص الكائن عند مشاهدة التوحيد الخاص جعلنا الله من أهله بمنه وفضله
وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ومن كانت
هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما
هاجر إليه فافهم قوله عليه السلام فهجرته إلى ما هاجر إليه وتأمل هذا الأمر
إن كنت ذا فهم والسلام ق في هذا الحديث تنبيه على المعنى الذي ذكره وموضع
الاعتبار والتأمل والله أعلم قوله في القسم الثاني فهجرته إلى ما هاجر إليه أي
ولا نصيب له من الوصول والقرب الذي حظي به من هاجر إلى الله ورسوله وهو
[بهجرته] قوله إلى الله ورسوله وهذا من باب حصر المبتدأ في الخبر كما تقول زيد صديقي

اي

أي لا صديق له غيري وكأنه صلى الله عليه وسلم نبه في القسم الثاني بالدنيا التي يريد أن يصيبها أو المرأة التي
يتزوجها على حظوظ النفس والوقف معها والعمل عليها كائنة ما كانت وإن كانت
ظاهرة كطلب الحظ العاجل فقوله فهجرته إلى الله ورسوله هو معنى الارتحال من الأكوان
إلى المكون وهو المطلوب من العبد وهو مصرح به غاية التصريح وقوله فهجرته إلى
ما هاجر إليه هو البقاء مع الأكوان والتنقل منها وهو الذي نهى عنه وهو مشار إليه
به غير مصرح فليكن المريد عالي الهمة والنية حتى لا يكون له التفات إلى غير
المكون البتة ولقد أحسن الشاعر في قوله ق وكلما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرق وقال رجل لأبي يزيد رضي الله عنه
أوصني فقال له إن أعطاك من العرش إلى الفرش فقل له لا إياك أريد وقال أبو سليمان
الداراني رضي الله عنه لو خيرت بين ركعتين ودخول الفردوس لاخترت الركعتين
لأني في الفردوس بحظي وفي الركعتين بربي وقال الشبلي رضي الله عنه احذر
مكره ولو في قوله كلوا واشربوا أي لا تستغرق في الحظ ولتكن في كل شيء به لا بنفسك
فقوله تعالى كلوا واشربوا وإن كان ظاهره إكراما وإنعاما فإن في باطنه ابتلاء واختبارا
حتى يتميز من هو معه ومن هو مع الحظ وقال رضي الله عنه لا تصحب من لا ينهضك
حاله ولا يدلك على الله مقاله ق تكلم هاهنا في الصحبة وهي أصل كبير من
أصول القوم وفيها منافع وفوائد ولذلك استمر عليها شأنهم قديما وحديثا وفرقته
المؤلف رحمه الله على فائدتها في قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله
مقاله فإنهاض الحال ودلالة المقال على الله تعالى هو فائدة الصحبة ومعنى الحال
المنهضة هاهنا أن تكون همته متعلقة بالله تعالى مرتفعة عن المخلوقين
لا يلجأ في حوائجه إلا إلى الله تعالى ولا يتوكل في أموره إلا عليه قد سقط الناس
من عينه فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا وسقطت نفسه من عينه فلا يشاهد لها
فعلا ولا يقتضي لها حظا ويكون في أعماله كلها جاريا على مقتضى الشرع من
غير تحريف ولا ابتداع وهذه هي صفة العارفين والموحدين فصحبة من هذا
حاله وإن قلت عبادته ونوافله مأمونة الغائلة محمودة العاقبة جالبة
لكل فائدة دينية ودنياوية لأن الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة
على حب الاقتداء بمن تستحسن حاله ولا يشترط في المصحوب اتصافه بتلك

الصفات على غاية الكمال والتمام فإن ذلك متعذر وإنما يشترط أن يتصف منها
بما يقوى صاحبه فيه فقط بحيث يكون أغلب منه حالا وأصوب منه مقالا ومن لم
يكن على هذا الوصف وكان شأنه المعاملة بالظاهر لا غير فليس له فائدة في صحبته
بل ربما زاده شرا لأن خلطته تدعوه إلى التصنع له والتزين ويؤديه ذلك إلى
كبائر معاصي القلوب وهي أشد عليه من معاصي الجوارح بكثير قال يوسف بن
الحسين الرازي رضي الله عنه لأن ألقى الله بجميع المعاصي أحب إلي من أن ألقاه
بذرة من تصنع فيدخل بذلك عليه النقص في حاله من حيث رجاء الزيادة فيها
قال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس إلا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده بإثم
يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالأدب
ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقيل لبعض الصالحين
إن فلانا يحبك ويكثر ذكرك فقال إنه لحبيبي أحبه وأجله وأعرف قدره
ولكن يهون علي أن ألقى الشيطان مائة مرة ولا ألقاه مرة واحدة قيل له كيف
ذلك قال أخشى أن أتزين له ويتزين لي قال الشيخ أبو طالب المكي رضي
الله عنه وكانت هذه الطائفة من الصوفية لا يصحبون إلا على استواء أربعة
معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض على بعض إن أكل
صاحبهم النهار كله لم يقولوا له صم وإن صام الدهر كله لم يقل له صاحبه أفطر
وإن نام ليله كله لم يقل له صاحبه قم فصل وإن صلى الليل كله لم يقل له صاحبه
نم بعضه وتستوي أحواله عنده بلا مزيد لأجل صيامه وقيامه ولا نقصان لأجل إفطاره
ونومه قالوا وإذا كان يزيد عنده بالعمل والحركة وينقص بترك العمل والحركة فالأسلم
وأبعد من الرياء تاما من أجل أن النفس مجبولة على حب المدح وكراهة الذم ومبتلاة
بأن ترائي حالها التي عرفت بها وأن تظهر أحسن ما يحسن عند الناس منها وأن تجتلب
ما يوجب المدح منهم وتجتنب ما يوقع الذم عندهم فإذا صحب من يعمل معه
هذا فليس ذلك طريق الصادقين ولا بغية المخلصين فمجانبة هؤلاء الناس أصلح
للقلوب وأسلم للدين وفي معاشرة أمثالهم فساد القلب ونقصان الإيمان وضعف
اليقين لأن هذه الأسباب الرياء وفي الرياء حبط الأعمال وخسران رأس المال والسقوط
من عين ذي الجلال وكان الثوري رضي الله عنه يقول من عاشر الناس داراهم ومن

داراهم

داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فيه فهلك كما هلكوا وكان بعضهم يعني
الحكماء يقول لا تواخ من الناس من يتغير عليك في أربع عند غضبه ورضاه وعند
طمعه وهواه لأن هذه المعاني تتغير لها الطباع لدخول الضرر منها على النفس وفقد
الانتفاع وقال في موضع آخر ومن كان ناظرا في إخوة أخيه أو في صحبته لكثرة
أعماله أو زوائد فقط مع إهمال أحواله دل على جهله بهذه الطريق التي تفتقر إلى التحقيق
لأنها تحول وإنما العمل على حقائق القلوب لأنها ثابتة في الأصول فإن اقترن
إلى جهله نقص حق الأخوة دخل عليه التزين له والتصنع عنده لتعلو منزلته
ويحسن عنده أثره فيدخله ذلك في الشرك عن حقيقة التوحيد فتنزل قدمه بعد
ثبوتها ويسقط من عين مولاه فلا يتولاه لأن النفس مبتلاة بحب الثناء والمدح
وإثبات المنزلة بإظهار الوصف فيكون هذا الصاحب حينئذ من أشأم الناس
عليه وأضرهم له ويصير أخوهما بلاء على صاحبه فليفارقه حينئذ لأنه جاهل
فلا يصحبه لأنه يجر النقصان بصحبته وتدخل عليه الآفات بمقارنته وليفرد
بنفسه ويصدق في حالة عالية كانت أو دنية وضيعة كانت أو رفيعة
من غير مقارنة أحد ولا مصاحبته فهو خير له وأحمد عاقبة انتهى وبيان على
إرادة صاحب الكتاب لهذا المعنى الذي ذكرناه في التنبيه على قوله لا تصحب
من لا ينهضك حاله ما عقبه به من قوله ولا يدلك على الله مقاله فيكون الحال
والمقال متناسبين في كون كل واحد منهما متعلقا بالله تعالى عبودية ودلالة
قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه احذر صحبة ثلاثة من أصناف الناس
الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال يوسف بن الحسين
الرازي رحمه الله قلت لذي النون المصري رضي الله عنه من أصحب فقال من لا تكتمه شيئا
يعلمه الله منك وقال حمدون القصار رضي الله عنه اصحب الصوفية فإن
للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير يعظمونك به
إشارة أن العجب بالعمل منفي في صحبتهم وقال الجنيد رضي الله عنه إذا أراد
الله تعالى بالمريد خيرا أوقعه على الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال علي رضي الله
عنه شر الأصدقاء من أحوجك إلى المداراة وألجأك إلى الاعتذار
وقال مرة شر الأصدقاء من تكلف له وأنشد ليوسف بن الحسين

الداراني رضي الله عنه: أحب من الإخوان كل مواتي ... وفي غضيض الطرف عن عثراتي

يوافقني في كل أمر أحبه ... ويحفظني حيا وبعد وفاتي

فمن لي بهذا ليت أني وجدته ... فقاسمته مالي من الحسنات

والحاصل من هذا أن صحبة الصوفية هي التي يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب دون من عداهم من المنتسبين إلى الدين والعلم لأنهم تحققوا من حقائق التوحيد بمواهب والمعرفة خصائص لم يساهمهم فيها أحد وسريان ذلك إلى الصاحب من الصحو هو غاية الآمال والمطلوب فقد روي قيل من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها فمن جلس على دكان العطار لم يفقد الرائحة الطيبة هذا في الحضور والمجالسة فما ظنك في الصحبة والمؤانسة وقد وصفهم بعض العلماء فقال الصوفي من لا يعرف في الدارين أحدا غير الله ولا يشهد مع الله سوى الله قد سخر له كل شيء ولم يسخر هو لشيء وسلط على كل شيء ولم يسلط عليه شيء يأخذ النصيب من كل شيء ولا يأخذ النصيب منه شيء لا يصفو لأحد كدر كل شيء ولا يكدر صفوه شيء قد شغله واحد عن كل شيء وكفاه واحد من كل شيء فانظر رحمك الله هذه الصفات ما أعظمها وأجلها وأشرف حال من اتصف بها وما أعزه في هذا الوجود نفعنا الله بهم ورزقنا من بركاتهم وفي صحبة أمثال هؤلاء يحصل للمريد من المزيد ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات وأنواع المكابدات حتى يبلغوا من ذلك إلى أمر لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط به علم عالم ناقل قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه ما الذي يصنع بالكيمياء والله لقد صحبت أقواما يضم أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير إليها فتثمر رمانا للوقت فمن صحبه هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء وقال أيضا رضي الله عنه ما سار الأولياء من قاف إلى قاف إلا حتى يلقوا واحدا مثلنا فإذا لقوه كان بغيتهم وقال أيضا رضي الله عنه الولي إذا أراد أغناني وقال أيضا رضي الله عنه والله ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه نظرة وقد أغنيته وقال فيه شيخه أبو الحسن رضي الله عنه أبو العباس هو الرجل الكامل والله إنه ليأتيه البدوي يبول على ساقه فلا يمسي عليه المساء إلا وقد أوصله إلى الله وسيأتي طرف من ذكر حال المؤلف رحمه الله في صحبته

وما أوصله

وما أوصله إليه ببركة رؤيته عند قوله كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز ربما كنت مسيئا فأراك الإحسان منك صحبتك إلى من هو أسوأ حالا منك هذه أعظم دافعة تدخل على من خالف ما ذكره وصحبة من هو دونه في الحال وهو استحسانه لما هو عليه فيؤديه ذلك إلى الرضا عن نفسه ورؤيته لإحسانها وهو أصل كل شيء كما تقدم ما قل عمل برز من قلب زاهد وما كثر عمل برز من قلب راغب مقادير الأعمال على حسب قلوب العمال فما صدر عن الزاهدين في الدنيا من عمل طاعة وإن كان قليلا في الحس فهو كثير على التحقيق وما صدر عن الراغبين فيها من عمل بر وإن كان كثيرا في الحس فهو قليل على التحقيق وذلك لأن الزاهدين سلموا من الآفات التي تقدح في إخلاص أعمالهم من مراءاة الناس والتصنع لهم وطلب الأغراض الدنياوية عليها منهم لأنهم زهدوا فيها فيحصل لهم قبول أعمالهم فيتوفر قليلها بسبب ذلك ويكثر والراغبون تعتريهم الآفات المبطلة لأعمالهم القادحة في إخلاصهم بسبب رغبتهم في الدنيا فلا تقبل منهم فيقل الكثير من أعمالهم لوجود النقصان فيها وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كونوا للقبول أشد اهتماما منكم للعمل فإنه لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل وقد وصف الله تعالى ذكر المؤمنين بالكثرة لما تضمنه من وجود الإخلاص وعدم رياء الناس فقيل في قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله كثيرا قيل يعني خالصا فسمى الخالص كثيرا وهو ما خلصت فيه النية لوجه الله ووصف ذكر المنافقين بالقلة لما اشتمل عليه من عدم الإخلاص ووجود رياء الناس فقال تعالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا يعني غير خالص وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا أزهد منكم في الدنيا وعن بعض الصحابة تابعنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من الزهد في الدنيا وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه سألت معروفا الكرخي رضي الله عنه عن الطائعين لله تعالى

بأمرين فرّوا على الطاعة فقال بإخراج الدنيا من قلوبهم لو كانت منها في قلوبهم
ما تحققتم بحيرة وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه شكا بعض الناس
لرجل من الصالحين أنه يعمل أعمال البر ولا يجد حلاوة في قلبه فقال لأن عندك بنت إبليس
وهي الدنيا ولا بد للأب أن يزور ابنته في بيتها وهو قلبك ولا يؤثر دخوله إلا فسادا
وكان أبو محمد سهل رضي الله عنه يقول يعطى الزاهد ثواب العلماء والعباد ثم
يقسم على المؤمنين ثواب أعماله ولا يرى في القيامة أفضل من دين زاهد عالم ورع

حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الإنزال

حسن الأعمال توفيتها بما يجب لها من شروطها وآداب عبودية لله تعالى
لا لطلب حظ عاجل ولا ثواب آجل وحسن الأحوال أن تكون سالمة
من العلل والدعاوي موسومة بسمة الصدق والتحقق في مقامات الإنزال
هو أن تواطئ القلب بما ينزله الحق تعالى فيه من مقامات العلوم والمعارف
بحيث ينتفي عنه كل شك وريب وهذه الثلاث المذكورة مرتب بعضها
على بعض وهو معنى ما يقوله الإمام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه
لا بد في كل مقام من مقامات اليقين من علم وحال وعمل فالعلم ينتج الحال
والحال ينتج العمل وهذا الكلام الذي ذكره المؤلف نوع استدلال على ما قاله
في الزاهد والراغب

لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك
عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى أن يرفعك
من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة
ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود
حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة
عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز

الذكر أقرب الطرق إلى الله
تعالى وهو علم على وجود الولاية كما قيل الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر
فقد أعطي المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل وقال الشاعر

والذكر أعظم باب أنت داخله ... لله فاجعل له الأنفاس حراسا

قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق
الإرادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر
شيء وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر ومنشؤها عن الذكر وفضائل الذكر

أكثر من أن تحصى ولو لم يرد فيه إلا قوله تعالى في كتابه العزيز فاذكروني أذكركم
وقوله عز وجل فيما يرويه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم أنا عند ظن عبدي بي
وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ
ذكرته في ملإ خير منه وإن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وإن تقرب مني ذراعا
تقربت منه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة لكان في ذلك الشفاء والغنية وهذا
الحديث متفق على صحته قالوا ومن خصائصه أنه غير موقت بوقت إلا والعبد مطلوب
فيه إما وجوبا وإما ندبا بخلاف غيره من الطاعات قال ابن عباس رضي الله عنه لم
يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر
غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على
عقله وأمرهم بذكره في الأحوال كلها فقال عز من قائل فاذكروا الله قياما وقعودا
وعلى جنوبكم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا أي بالليل
والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية
وعلى كل حال وقال مجاهد رضي الله عنه الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون فينبغي للعبد
أن يستكثر منه في كل حالاته ويستغرق فيه جميع أوقاته ولا يغفل عنه وليس
له أن يتركه لوجود غفلته فيه فإن تركه له وغفلته عنه أشد من غفلته
فيه فعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وإن كان غافلا فيه فلعل ذكره مع
وجود الغفلة يرفعه إلى ذكر مع وجود اليقظة ولعل ذكره مع وجود
اليقظة يرفعه إلى الذكر مع وجود الحضور ولعل ذكره مع وجود الحضور
يرفعه إلى الذكر مع وجود الغفلة عما سوى المذكور قال الله تعالى واذكر
ربك إذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون ذاكرا الله تعالى وفي هذا المقام
ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محوا في وجود العيان وفي هذا المعنى
أنشدوا

ما إن ذكرتك إلا همّ يلعنني ... كلي وقلبي وروحي عند ذكراكا
حتى كأن رقيبا منك يهتف بي ... إياك ويحك والتذكار إياكا
أما ترى الحق قد لاحت شواهده ... وواصل الكل من معناه معناكا

وقال الواسطي مشيرا إلى هذا المقام الذاكرون في ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره

كان ذكره سواه قال ابو العباس ابن البنا في كلام ذكره على مقدمة كتاب ابي العرفان
البربري المعبر الشافعي وهو كتاب الاسرار العقلية في الكلمات النبوية ورايت هذا
الكلام بخطه رحمه الله ومن اخص الذكر ما هاج عن خاطر وارد من المذكور جل
ذكره وهذا هو الذكر الخفي عند المتصوفة عن الاستهتار والتمكن في الاسرار واما
قولهم حتى يتمكن المذكور الى حالة يستغرق به عن الذكر فليس ذلك والتمكن حلول
واتحاد بل حكمة وقدرة من عزيز عليم وبيان غرور ذلك ان يكون القلب عند الذكر في
الذكر فان غامر الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره فيصير القلب بيت الحق فيمتلئ
منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير وحينئذ يكون الحق المبين لسانه الذي ينطق
به فان بطش هذا الذاكر كان يده التي يبطش بها وان سمع كان سمعه الذي يسمع
به فان استولى المذكور العلي الذي على الفؤاد بالمملكة وعلى الجوارح فصرفها
فيما يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها كيف شاء في مرضاته فلذلك
يخرج الذكر من غير تكلف وتنبعث الاعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كلال
ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون وقد وصف الله تعالى قلب ام موسى عليه السلام
في قوله الحق واصبح فؤاد ام موسى فارغا اي فارغا من ذكر كل شيء الا من ذكر
موسى وكادت ان تبدي به من غير قصد منها الذكره ولا تدبير بل كان تركها
للتبريح بذكره صبرا لما ربط الله على قلبها لتكون من المومنين لما اوحى
اليها من قبل في شان موسى وبانه من المرسلين وبذلك يندفع الاشكال
الذي ذكره ابو العيد ووصفه بالعظم وهو اجتماع الضدين في بادئ الراي وهما
الذكر والغفلة عن الذكر وهذا كالعالم والمرائي لا يعرف حقا يقينا الا الشاكرون
وعبادنا والعلماء ايمانا وتصديقا واياك والتكذيب بآيات الله فتكون
من الصم البكم في الظلمات ولما كان المذكور لا يجوز عليه وصف البعد والعدم
ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه الغيبة
بوجه ولا يتصف بحوالات الحدثان ولا تجري عليه احكام الخلق فهو
حاضر معنا وعينا وشاهد سرا ونجوى اذ هو القريب من كل شيء اقرب
الى الذاكر من نفسه من حيث لا اتحاد له والعلم به والمشقة منه

والقدرة

والقدرة والتدبير له والقيام عليه خلو الخليقة فلا تلحقه اوصافها وهو جل
وعز فلا تحصر معانيها سبحانه وهو العلي الكبير انتهى كلام الشيخ ابي
العباس رحمه الله تعالى في معنى المقام الثابت من مقامات الذكر وهو في غاية
الحسن والتحقيق مشيرا الى توحيد الخواص من اهل هذا الطريق فلا ينبغي ان
يستبعد العبد الوصول الى هذا المقام الكريم فليس ذلك بعزيز على الفتاح
العليم فعلى العبد القيام بحق الاسباب ومن الله تعالى رفع الحجاب وقال رضي الله
عنه من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات وترك
الندم على ما فعلته من وجود الزلات القلب اذا كان حيا بالايمان حزن
على ما فاته من الطاعات وندم على ما فعله من الزلات ومقتضى هذا وجود
الفرح بما يستعمله من الطاعات ويوفقه من اجتناب المعاصي والسيئات
وقد جاء في الخبر من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مومن فان لم يكن العبد
بهذا الوصف وعدم الحزن على ما فاته والندم على ما اتاه فهو ميت القلب وانما
كان ذلك من قبل ان اعمال العبد الحسنة والسيئة علامتان على وجود رضى الله
تعالى على العبد وسخطه عليه فاذا وفق الله تعالى عبده للصالحات سره ذلك لانه
علامة على رضاه عنه وغلب حينئذ رجاه واذا خذله ولم يعصمه فعمل المعاصي
ساءه ذلك واحزنه لانه علامة على سخطه عليه وغلب حينئذ خوفه
والرجاء حينئذ يبعثه على الاجتهاد في الطاعات وليس من مقتضاه تركها
وعدم الحزن على ما فاته منها امنا واغترارا والخوف يبعث على المبالغة في اجتناب
المعاصي والسيئات وليس من مقتضى فعلها وترك الندم عليها اياسا وقنوطا
وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ اتاه اعرابي فلما حاذى بنا وراء جماعتنا اناخ راحلته ثم
مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اوضعت راحلتي من مسيرة
تسع فسيرتها اليك ستا واسهرت ليلي واظمات نهاري وانضيت راحلتي
لاسالك عن اثنتين اسهرتاني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من انت
قال انا زيد الخيل قال بل انت زيد الخير سل فرب معضلة قد سئل عنها قال جئتك
اسالك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال له النبي صلى الله

عليه وسلم ثم قال كيف اصبحتما يا زيد قال اصبحت احب الخير واهله واحب ان يعمل به واذا فاتني احننت اليه واذا عملت عملا قل او كثر ايقنت بثوابه قال هذه هي بعينها يا زيد ولو اراد الله للاخرى هيأ كلها لا يبالي في اي واد هلكت قال زيد حسبي حسبي ثم ارتحل ولم يثبت

لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه

ن عظمة الذنب عند من تكبه على وجهين احدهما ان يعظم عنده عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم على ان لا يعود لمثله فهذه محمودة وهي من علامات ايمان العبد كما قلناه قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان المومن يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على انفه فقال هكذا فاطاره ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله تعالى وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى والثاني ان يعظم عنده عظمة توقعه في الياس والقنوط وتؤديه الى سوء الظن بالله تعالى فهذه عظمة مذمومة قادحة في الايمان وهي شر عليه من ذنوبه وسبب ذلك وجود جهله بصفات مولاه المحسن الجواد الكريم ووقوفه مع نفسه وقياسه بعقله وحدسه ولو كان عارفا بالله تعالى حق المعرفة لاستحقر ذنوبه في جنب كرمه وفضله فاي قدر للعبد او اي قيمة حتى يقع في ذنب لا يسعه عفو ربه ويكبر عليه ان يغفر له قال في التنوير واعلم انه لا بد في مملكته من عباد بهم نصيب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وافهم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون حتى يستغفرون الله تعالى فيغفر لهم وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وجاء رجل الى الشيخ ابي الحسن فقال يا سيدي كان البارحة بجواري نامر المنكرات كيف وكيت وكأنه من ذلك الرجل استغرابا ان يكون هذا فقال يا هذا كانك تريد الا يعصى الله تعالى في مملكته من احب الا يعصى الله في مملكته فقد احب الا تظهر مغفرته وان لا تكون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم كسرت اساءته وذله مخالفته اوجبت له الرحمة من ربه فكونه راجيا وبقي ايمانه وان عصى عاملا

انتهى

وما ينبغي للعبد ان يستعظم ذنوبه استعظاما يؤديه الى ان يقنطه من روحه وقنوطه من رحمته وسوء ظنه به بل عليه ان يتوب الى ربه منه ويرجع اليه عنه ويعلم حكمة الله تعالى في تسليطه عليه وتخليته بينه وبينه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لا ان الذنب خير للمومن من العجب ما خلا الله تعالى بين مومن وبين ذنب ابدا فنبهك بهذا ان ما نع من وجوده العجب الذي هو اعظم حجاب بين العبد وبين ربه لان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه مستعظم لطاعته وعبادته ملاحظ لذلك ومسالك له بخلاف الذنب لانه يوجب له الخوف والحذر والالتجاء الى الله تعالى والفرار اليه عن نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى والذنب يصرفه اليه والعجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه والعجب يؤديه الى الاستغناء والذنب يؤديه الى الافتقار واحب اوصاف العبد الى الله تعالى افتقاره اليه واشرف احوال المومن ما يرده اليه ويقبل به عليه **لا صغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله** اذا ظهرت الصفات العلية بطلت اعمال العاملين واذا ظهرت صفة العدل على من ابغضه ومقته بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر واذا ظهر وصف الفضل لمن احبه اضمحلت سيئاته ورجعت كبائره صغائر قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه ان وضع عليهم عدله لم يبق لهم حسنة وان نالهم فضله لم تبق لهم سيئة ومن عاداته رضي الله عنه الهي ان احببتني غفرت سيئاتي وان مقتني لم تقبل حسناتي وما احسن قول الشيخ ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه في دعائه ومناجاته واجعل سيئاتنا سيئات من احببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من ابغضت فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك وسياتي من مناجاة المولف في هذا المعنى قوله الهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل اقالني منها فضلك

لا عمل ارجا للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده

في النسخ الموجودة بايدينا لا عمل ارجى للقلوب ومعناه على هذه الوجوه ان العمل الموصوف بهذه الصفات لا يلتفت اليه القلب ولا يعتبره وفي عدم التفاته واعتباره صلاحه وتخلصه من رؤيته فيبقى حينئذ مع ربه لا مع عمله ويكون ذلك على حذف مضاف اي لا عمل ارجى لصلاح القلوب او ما في معناه وسياتي من كلام المولف ما يناسب هذا المعنى وهو قوله قطع السائرين له والواصلين

إليه رؤية أعماله وشهود أحواله التي أخره والغالب على الظن أن الذي ذكره
المؤلف وذكره إنما هو لفظ القبول فغلط الناسخ فقلب حروفه ولا احتياج في هذا
إلى حذف وتقدير على هذا الوجه أن تقول سلامة العمل من الآفات شرط في قبوله
لا صاحبه مثوله تعالى وقد قال عز من قائل إنما يتقبل الله من المتقين وإنما
يسلم العمل من الآفات باتهام النفس في القيام بحقه ورؤية تقصيره فيه
فيغيب عنه إذ ذاك شهوده ويتحقق عدمه وجوده فلا يسكن إليه ولا يعتمد
عليه وإن لم يكن على هذا الوصف بل كان ناظرا إليه ومتعظما له غائبا عن شهوده
منة الله تعالى عليه في توفيقه له أوقعه ذلك في العجب فحبط لذلك عمله وخاب
سعيه قال أبو سليمان رضي الله عنه ما استحسنت من نفسي عملا فاحتسبته
وقال علي بن الحسين رضي الله عنه كل شيء من أفعالك إذا اتصلت به رؤيتك
فذلك دليل أنه لم يقبل منك لأن المقبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه رؤيتك
فذلك دليل على القبول وقد سئل بعض العارفين وقيل لبعضهم ما علامة قبول العمل
قال نسيانك إياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى إليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال فعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل أنه
لا يبقى عندك منه شيء فإنه إذا بقي في نظرك منه شيء لم يرتفع إليه لسقوطه
من عنديتك وعنديته عبوديته فينبغي للعبد إذا عمل عملا أن يكون عنده نسيا
منسيا بما ذكرناه من اتهام النفس ورؤية التقصير حتى يتحصل له قبوله ثم قال
إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الوارد عبارة عما يرد على
القلب من المعارف الربانية واللطائف الروحانية ليطهره بذلك ويزكيه حتى
يصلح بذلك للورود عليه والدخول إلى حضرته لأن الحضرة منزهة عن كل قلب متكدر
بالآثار متلوث بأقذار الأغيار فإذا إنما أورده عليك لتكون به عليه واردا ثم قال
أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار وليحررك
من رق الآثار الآثار والأغيار غاصبة ومسترقة لك وذلك لوجود حبك
لها وسكونك إليها واعتمادك عليها فإنما أورد عليك الوارد ليتسلمك
من يد من غصبك وليحررك عن ملكة من استرقك والإشارة إلى هذا
المعنى بما ضرب الله تعالى من المثل في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء

متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا فمن أسلم من يد الأغيار وحرر من
رق الآثار لا يكون لمخلوق فيه نصيب ولا شركة وكان سلما لله عز وجل أورد عليك
الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك سجن وجوده
هو شهوده لنفسه ومراعاته لحظه وفضاء شهوده أن يغيب عن ذلك بشهود
عظمة الله تعالى وجلاله ورؤية قيام حركاته وسكناته قال أبو القاسم
النصراباذي رضي الله عنه سجنك نفسك إذا خرجت منها وقعت في راحة
الأبد وسيأتي من كلام المؤلف في معنى قوله سجن وجودك الكائن في الكون
ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته ثم
قال الأنوار مطايا القلوب والأسرار أنوار الإيمان واليقين مطايا
حاملة للأسرار والقلوب إلى حضرة علام الغيوب وتلك هي الواردات
المذكورة النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس فإذا أراد الله
أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم
والأغيار ثم نور التوحيد واليقين وظلمة الشرك والشك جندان للقلب والنفس
والحرب بينهما سجال فإذا أراد الله نصر عبده أمد قلبه بجنوده وقطع عن نفسه
مدد جنودها وإذا أراد الله خذلان عبده فعل العكس وإذا مال القلب إلى العمل
بأمر محمود مولم في الحال ملذ بغيته في المآل ومالت النفس إلى العمل بأمر مذموم ملذ به
في الحال مولم في المآل وتنازعا وتقاتلا فإن ورد النور الذي هو من أمر الله تعالى ورحمته
إلى نصرة القلب وبادرت الظلمة التي هي من وساوس الشيطان ولمته إلى نصرة النفس
وقام صف القتال بينهما فإن سبقت للعبد من الله تعالى سابقة السعادة استنار
القلب بنور الله تعالى واستهان بالعاجلة ورغب في الآجلة وعمل القلب
بما مال إليه وإن آلمه في الحال لما يرجوه من التنعم به في المآل وإن سبقت له من الله
تعالى الشقاوة والعياذ بالله ذهل القلب عن النور وأعمته الظلمة عن منفعة
الآجل واغتر بلذة العاجل وعمل بما مالت إليه نفسه وإن آلمه في المآل لما يحصل
لها من لذة الحال وعند التحام القتال بين الجندين لا سبيل للعبد إلا فزعه إلى الله
تعالى ولياذه به وكثرة ذكره له وصدق توكله عليه واستعاذته من الشيطان
الرجيم وهذه العبارات الخمسة من قوله الوارد لتكون به عليه واردا إلى هنا

تقدم فيها صاحب الكتاب وكررها بالفاظ مختلفة والمعاني فيها متقاربة وهذه
عادته في مواضع كثيرة من هذا الكتاب رضي الله عنه النور له الكشف والبصيرة
لها الحكم والقلب له الإقبال والإدبار هذه الفاظ مختلفة المعاني
فالنور يفيد كشف المعاني المغيبات حتى تتضح وتشاهدها البصيرة التي هي
ناظر القلب تفيد الحكم وهو حجة ما شاهدته والقلب له الاقبال عملا بمقتضى ما
شاهدته البصيرة وله ايضا الادبار ترك العمل بمقتضى ما شهدته البصيرة
لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها
لأنها برزت من الله تعالى إليك قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون
الفرح بالطاعة على وجهين فرح بها من حيث شهودها من الله تعالى نعمة منه
وفضلا فهذا هو الفرح المحمود وهو الذي طلب من العبد وذلك هو مقتضى شكرها
وفرح بها من حيث ظهورها من العبد باختياره وارادته وحوله وقوته فهذا فرح
مذموم منهي عنه وهو كفران النعمة وهو من العجب المحبط للعمل فالفرح بها على
هذا الوجه فرح بلا شيء وسياتي في آخر الكتاب انواع الفرح بالنعم وما يحمد منها
وما يذم تامة مستوفاة قطع السائرين له والواصلين إليه عن رؤية
أعمالهم وشهود أحوالهم أما السائرون فلأنهم لم
يتحققوا الصدق مع الله فيها وأما الواصلون
فلأنه غيبهم بشهوده عنها لقد اسبغ الله نعمته على الفريقين
حيث فعل معهم ذلك لانه ابقاهم معه ولم يدعهم لسواه فالواصلون فعل بهم
ذلك بهم طوعا منهم والسائرون فعل ذلك بهم كرها ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها فالواصلون قطعهم عن ذلك بشهودهم له في حضرة قربه
ومشاهدة لم يشهدوا معه غيره اذ محال ان يراه ويشهد معه سواه والسالكون
قطعهم عن ذلك عدم تحققهم بالصدق والبراءة من الدعوى فهم ابدا متهمون
لانفسهم في توفية اعمالهم وتصفية احوالهم قال النهرجوري رضي الله عنه
من علامة من تولاه الله في احواله ان يشهد التقصير في اخلاصه والغفلة في اذكاره
والنقصان في صدقه والفتور في مجاهداته وقلة المراعاة في فقره فتكون جميع

احوال

احواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله تعالى في قصده وسيره حتى يفنى عن كل
ما دونه وقال ابو عمرو اسماعيل بن نجيد رضي الله عنه لا تصفو لاحد قدم في
العبودية حتى تكون افعاله عنده كلها رياء واحواله كلها عنده دعاوى وقال
ابو يزيد رضي الله عنه لو صفت لي تهليلة ما باليت بعدها بشيء والى هذين
المقامين تشير الحكاية التي تروى عن الواسطي رضي الله عنه وذلك انه لما دخل نيسا
بور سأل اصحاب ابي عثمان رضي الله عنه بماذا كان يامركم شيخكم فقالوا كان يامرنا
بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية المحضة هلا
امركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها قال الاستاذ ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه وانما اراد الواسطي بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجا
في اوطان التقصير او تجويزا لاخلال بادب من الآداب وقال رضي الله عنه
ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع البسوق الطول يقال بسقت
النخلة بسوقا اذا طالت قال الله تعالى والنخل باسقات والاغصان جمع غصن
وهو ما تشعب عن سوق الشجر ويجمع ايضا على غصون والبذر الحب الذي يزرع وهذه
كلها استعارات مليحة والطمع من اعظم آفات النفوس وعيوبها الفادحة
في عبوديتها بل هو اصل جميع الآفات لانه محض تعلق بالناس والتجاء اليهم اعتمادا
عليهم وعبودية لهم وفي ذلك من الذلة والمهانة ما لا مزيد عليه ولا يحل للمومن ان يذل
نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان الذي يقتضي وجود العزة التي اتصف بها المومن
انما تكون برفع همته الى مولاه وطمانينة قلبه اليه وثقته به دون من سواه
فهذه هي العزة التي منحها الله عباده المومنين قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمومنين وكما ان العزة من صفات المومنين كذلك الذلة من اخلاق الكافرين والمنافقين
قال الله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين قال ابو بكر الوراق
الحكيم رضي الله عنه لو قيل للطمع من ابوك قال الشك في المقدور ولو قيل ما حرفتك
قال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك قال الحرمان وقال ابو الحسن الوراق النيسابوري
رضي الله عنه من اشعر نفسه محبة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع
في شيء ذل وبذله هلك وفيما قيل اتطمع في ليلى وتعلم انما :: تقطع اعناق الرجال المطامع ::
فالطمع لا محالة فاسد الدين مفلس من انوار اليقين قال في التنوير وفي تفقد وجود الورع

فالطامع

من نفسك اكثر مما تتعفف من سواه وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع
فيهم بسبعة ابحر ما طهره الا اليأس منهم ورفع الهمة عنهم وقدم علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فاقامهم
حتى جاء الى الحسن البصري رضي الله عنه فقال يا فتى اني سائلك عن امر
فان اجبتني عنه ابقيتك والا اقمتك كما اقمت اصحابك وكان قد رأى عليه
سمتا وهديا فقال له الحسن سل عما شئت فقال ما ملاك الدين قال الطمع
قال اجلس فمثلك يتكلم على الناس قال وسمعت شيخنا رضي الله
عنه يقول كنت في ابتداء امري بثغر الاسكندرية جئت الى بعض من يعرفني
فاشتريت منه حاجة بنصف درهم قلت في نفسي فلعله لا ياخذه مني فهتف
بي هاتف السلامة في الدين بترك الطمع في الخلق قال وسمعته يقول صاحب الطمع
لا يشبع ابدا الا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين ثم قال بعد هذا فلعلها انها
من يريد رفع همتك عن الخلق ولا ترك الهم فقد سبقت قسمته وجودك وتقدم
ثبوته ظهورك واسمع ما قال بعض المشايخ لا فرق لما ضيعك ان يضيعك قبل
ان يضيعك فكله ويحك بعد ولا تاكله بدل قلت تقدم الان من كلامه في التنوير
ذكر الورع في مقابلة الطمع وكذلك في جواب الحسن لعلي رضي الله عنهما لما سأله
مستخبرا له عن صلاح الدين وفساده في الكلام الذي حكاه عنهما ولا اشكال ان الورع الظاهر
لعامة الناس وهو ترك المتشابهات والتحرج من اقتحام المشكلات لا يقابل الطمع
كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع ما هو وانما يقابله ورع الخاصة وهو عندهم صحة
اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه وعكوف الهم عليه
وطمأنينة القلب ولا يكون له ركون الى غيره ولا انتساب الى خلقه ولا يكون بهذا
هو الورع الذي يقابل الطمع المفسر وبه يصلح كل عمل مقربا وحال مسعودا كما نبه
عليه الحسن رضي الله في جوابه المذكور قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه
الورع على وجهين ورع في الظاهر وهو ان لا تتحرك الا لله وورع في الباطن وهو ان لا يدخل
قلبك الا الله ذكر ان بعضهم كان حريصا على ان يرى احدا من هذه صفته فجعل
يجتهد في طلبه ويحتال على التوصل اليه بان يأخذ الشيء بعد الشيء مما له
ويقصد به الفقراء والمساكين ويقول لمن يعطيه منهم حبذا هنا وله خذ ذلك فكانوا

يأخذون

يأخذون ولا يمتنع من احد منهم جوابا مطابقا لما اراده بكلامه الى ان ظفر ذات يوم
ببغيته وحصل مقصوده ومنيته وذلك انه قال لآخرهم خذ ذلك فقال له اخره
لا منك فان كان للعبد استشراف الى خلق او سبقته نظره اليهم قبل مجيء الرزق او بعده
بمقتضى هذا الورع والواجب في حق الادب ان لا ينيل نفسه شيئا مما ياتيه على هذا
الحال عقوبة لنفسه في نظره الى ابناء الدنيا جنسه كقصة ايوب الجمال مع احمد بن حنبل
رضي الله عنهما وهي معروفة وكما روي عن الشيخ ابي مدين رضي الله عنه انه اتاه جمال
بقمح فنازعته نفسه وقال يا ترى من اين هذا فقال لها انا اعرف من اين هو يا عدوة الله
وامر بعض اصحابه ان يرفعه الى بعض الفقراء عقوبة لها لكونها رات الخلق قبل رؤية الحق
تعالى وقد قيل احل الحلال ما لم يخطر لك على بال ولا سألت فيه احدا من النساء والرجال وقد
صرح بهذا المعنى الذي ذكرناه واوضح الغرض الذي قصدناه شيخ الطريقة وامام اهل الحقيقة
من المتأخرين ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه اعلم ان الورع ان لا يكون بينك وبين الخلق
نسبة في اخذ او عطاء او قبول او رد وان يكون السبق لله تعالى وهو ان تأتي الله طاهرا
من جميع الاشياء والعلم والعمل كما قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة
وقال ايضا الورع ان لا تخطر الرزق بالبال ولا يكون بينه وبينك نسبة لا في التحصيل ولا عند
المباشرة لانه لا يدري اياكله ام لا وقال ايضا الورع ان لا تتحرك ولا تسكن الا وترى الله
تعالى في الحركة والسكون فاذا اراد الله ذهبت الحركة والسكون وبقي مع الله بالحركة
ظرفا لما فيها كما قال ما رأيت شيئا الا رأيت الله فيه فاذا رأى الله ذهبت وقال ايضا
اجمع العلماء ان الحلال المطلق ما اخذ من الله بسقوط الوسائط وهذا مقام التوكل ولهذا
قال بعضهم الحلال المطلق هو الذي لا ينسى الله فيه الى غير هذا من العبارات التي عبروا بها عن هذا
المعنى وقال بعض هذه الطائفة الفقير كلهم ياكلون ارزاقهم ثم يفترقون في المشاهدات
فمنهم من ياكل رزقه بذل ومنهم من ياكل رزقه بامتهان ومنهم من ياكل رزقه بانتظار ومنهم
من ياكل رزقه بعز بلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فاما الذين ياكلون ارزاقهم بذل فالسؤال
يشهدون ايدي الخلق فيذلون لهم واما الذين ياكلون ارزاقهم بامتهان فالصناع ياكل احدهم
رزقه بمهنة وكد واما الذين ياكلون ارزاقهم بعز غير مهنة ولا انتظار ولا ذل فالصوفية
يشهدون العزيز فيأخذون قسمتهم من يده بعزة وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه
ليس مع الايمان اسباب انما الاسباب في الاسلام قال الشيخ ابو طالب رضي الله

عنه معناه ليس في حقيقة الإيمان رؤية الأسباب والسكون إليها لأن رؤيتها والطمع في الخلق
يوجب في الإسلام وقد عقد المؤلف رحمه الله في لطائف المنن فصلا في هذا المعنى وجعله لجميع
وظائف الآداب الدينية أصلا ومبنى فرأينا نقله في هذا الموضع من صواب العمل المتكفل إن شاء
الله تعالى بنجاح الأمر قال رضي الله عنه واعلم رحمك الله أن ورع الخصوص لا يفهمه إلا القليل
فإن جلة ورعهم تورعهم عن أن يسكنوا لغيره أو يميلوا بالحب لغيره أو تمتد لهم همتهم بالطمع
في غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم على الوقوف مع الوسائط والأسباب
وخلع الأنداد والأرباب ومن ورعهم ورعهم عن أن تفتنهم الدنيا أو توقفهم الآخرة
تورعوا عن الدنيا وفاء وعن الوقوف مع الآخرة صفاء قال الشيخ عمر بن عاشور
خرجت من بغداد أريد الموصل فأنا أسير إذا بالدنيا قد عرضت علي بعزها وجاهها
ورفعتها ومراكبها وملابسها وزينتها فأعرضت عنها فعرضت علي الجنة
بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها فقيل لي يا عمر لو وقفت مع
الأولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك
وقسطك من الدارين يأتيك وقال عبد الرحمن المغربي وكان مقيما بشرقي الإسكندرية
حججنا سنة من السنين فلما قضينا الحج عزمنا على الرجوع إلى الإسكندرية فإذا
علي يقال لي إنك العام القابل عندنا فقلت في نفسي إذا كنت العام القابل ها هنا
فلا أعود إلى الإسكندرية فحضرني الذهاب إلى اليمن فأتيت إلى عدن فأنا يوما على
ساحلها وإذا بالتجار قد أخرجوا بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فإذا رجل قد بسط
سجادة على البحر ومشى على الماء فقلت في نفسي لم أصلح للدنيا ولا للآخرة فإذا علي
يقال لي من لم يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه
الورع نعم الطريق لمن كمل ميراثه وأجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله تعالى
وعن الله تعالى والقول بالله تعالى والعمل لله تعالى وبالله تعالى على البينة الواضحة والبصيرة
الفائقة فهم من علومهم وأوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون
ولا ينظرون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون إلا بالله ولله من حيث يعلمون فهم بهم
العلم على حقيقة لأنهم مجموعون في عين الجمع لا يفترقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى وأما الأدنى
الأدنى فالله يورعهم عنه ثواب الورع مع الحظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن
لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنياه أو مصروف بدعواه وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار

على

على مثله والدالة على الله بعلمه فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك
والأكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله
افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم
عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فنستعيذ بالله إنه هو
السميع العليم قال فإن قلت فهمك الله سبيل أوليائه ومن عليك بمتابعة أحبابه هذا الورع
الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه هل كان يصل فهمك إلى مثل هذا النوع من الورع الذي
قوله قد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على
البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا هو ورع الأبدال والصديقين لا ورع المتقطعين
الذي ينشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم انتهى وإنما أوردنا هذه المعاني ها هنا
تتميما للفائدة المتعلقة بكلام صاحب التنوير من كون الورع مقابلا للطمع وسيأتي
من بعد فيما يلي الموضع أنسب من هذا أعني قوله لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق
إلى آخره فانظره فيه ما قادك شيء مثل الوهم الوهم أمر عدمي وهو
ضد الحقيقة الوجودية والنفس الناقصة انقيادها إلى الأمور الوهمية الباطلة
أكثر من انقيادها إلى الحقائق الثابتة لوجود المناسبة بينهما والطمع في الناس
انقياد إلى الأوهام الباطلة لأن الطمع تصديق الظن الكاذب والطمع فيهم طمع
في غير مطمع وأرباب الحقائق رضي الله عنهم بمعزل عن هذا فلا تتعلق همتهم إلا بالله
ولا يتوكلون إلا عليه ولا يثقون إلا به فقد سقط اعتبار الأوهام والخيالات التي
هي متعلقة بالأغيار عن قلوبهم فزال عنهم الطمع واتصفوا بصفة القناعة والورع فكانت
لهم الحياة الطيبة والعيشة الراضية والقناعة مقام عظيم من مقامات اليقين وهي
من بداية أحوال الراضي قال بعض العارفين لا يكون العبد قانعا حتى لو جاء إلى باب
منزله جميع ما يرغب فيه أهل الدنيا من الاتساع والنعمة فعرض عليه لم ينظر إلى ذلك
ولم يفتح بابه قناعة منه بحاله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى
قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال هي القناعة أنت حر مما أنت عنه
آيس وعبد لما أنت له طامع الطمع في الشيء دليل على الحب له وفرط
الاحتياج إليه وذلك عبودية له كما أن اليأس من الشيء دليل على فراغ
القلب منه وغناه وذلك حرية منه فالطامع عبد واليائس حر ولهذا قيل عنه

عند معناه ليس في حقيقة الإيمان رؤية الأسباب والسكون إليها إنما رؤيتها والطمع في الخلق
يوجد في الإسلام وقد عقد المؤلف رحمه الله في لطائف المنن فصلا في هذا المعنى وجعله لجميع
وظائف الآداب الدينية أصلا ومبنى فرأينا نقله في هذا الموضع من صواب العمل المتكفل إن شاء
الله تعالى بنجاح الأمر **قال** رضي الله عنه واعلم رحمك الله أن ورع الخصوص يفهمه الأقليل
فإن جله ورعهم تورعهم عن أن يسكنوا لغير الله أو يميلوا بالحب لغيره أو تمتد إليه أعينهم بالطمع
في غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم على الوقوف مع الوسائط والأسباب
وخلع الانتصار والارتياب ومن ورعهم ورعهم عن أن تفتنهم الدنيا أو توقفهم الآخرة
تورعوا عن الدنيا وفاء أو عن الوقوف مع الآخرة صفاء **قال** الشيخ عمر بن عاشورا
خرجت من بغداد أريد الموصل فبينا أنا أسير إذا أنا بالدنيا قد عرضت علي بعزها وجاهها
ورفعتها ومراكبها وملابسها ومزيناتها فأعرضت عنها فعرضت علي الجنة
بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها فقيل لي يا عمر لو وقفت مع
الأولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك
وحسبك من الدارين أن تأتيك **وقال** عبد الرحمن المغربي وكان مقيما بثغر الإسكندرية
حججت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع إلى الإسكندرية فإذا
علي يقال لي إنك العام القابل عندنا فقلت في نفسي إذا كنت العام القابل ها هنا
فلا أعود إلى الإسكندرية فخرجت في الركاب إلى اليمن فأتيت إلى عدن فأنا يوما على
ساحلها وإذا بالتجار قد أخرجوا بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فإذا رجل قد بسط
سجادة على البحر ومشى على الماء فقلت في نفسي لم أصلح للدنيا ولا للآخرة فإذا علي
يقال لي من لم يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا **وقال** الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه
الورع نعم الطريق لمن كمل ميراثه وأجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله تعالى
وعن الله تعالى والقول بالله تعالى والعمل لله تعالى وبالله تعالى على البينة الواضحة والبصيرة
الفائقة فهم من عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون
ولا ينظرون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون إلا بالله ولله من حيث يعلمون فهم بهم
العلم على حقيقة الأمر مجموعون في عين الجمع لا يفترقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى وأما أدنى
الأدنى فالله يورعهم عنه ثواب الورع مع الحجة لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن
لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنياه أو مصروف بدعواه وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار

على

على مثله والإدلال على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك
والأكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله
افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم
عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله إنه هو
السميع العليم قال فإن نظر فيفهمك الله سبيل أوليائه ومن عليك بمتابعة أحبائه هذا الورع
الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه هل كان يصل فهمك إلى مثل هذا النوع من الورع الآتي
قوله قد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على
البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا هو ورع الأبدال والصديقين لا ورع المتقطعين
الذين نشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم انتهى وإنما أوردنا هذه المعاني ها هنا
تتميما للفائدة المتعلقة بكلام صاحب التنوير من كون الورع مقابلا للطمع وسيأتي
من بيانها في الموضع أنسب من هذا أعني قوله لا تمدن يديك إلى الأخذ من الخلائق
إلى آخره فانظره فيه **ما قادك شيء مثل الوهم** الوهم أمر عدمي وهو
ضد الحقيقة الوجودية والنفس الناقصة انقيادها إلى الأمور الوهمية الباطلة
أشد من انقيادها إلى الحقائق الثابتة لوجود المناسبة بينهما والطمع في الناس
انقياد إلى الأوهام الباطلة لأن الطمع تصديق الظن الكاذب والطمع فيهم طمع
في غير مطمع وأرباب الحقائق رضي الله عنهم بمعزل عن هذا فلا تتعلق همتهم إلا بالله
ولا يتوكلون إلا عليه ولا يثقون إلا به قد سقط اعتبار الأوهام والخيالات التي
هي متعلقة بالأغيار عن قلوبهم فزال عنهم الطمع واتصفوا بصفة القناعة والورع فكانت
لهم الحياة الطيبة والعيشة الراضية والقناعة مقام عظيم من مقامات اليقين وهي
من بداية أحوال الراضين قال بعض العارفين لا يكون العبد قانعا حتى لو جاء إلى باب
منزله جميع ما يرغب فيه الدنيا من الاتساع والنعمة فعرض عليه لم ينظر إلى ذلك
ولم يفتح بابه قناعة منه بحاله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى
قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال هي القناعة **أنت حر مما أنت عنه
آيس وعبد لما أنت له طامع** الطمع في الشيء دليل على الحب له وفرط
الاحتياج إليه وذلك عبودية له كما أن اليأس من الشيء دليل على فراغ
القلب منه وغناه وذلك حرية منه فالطامع عبد واليائس حر ولهذا قيل عنه

العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع وقيل لولا الاطماع الكاذبة لما استعبد الاحرار بكل
شيء لا خطر له وقيل ان العقاب يطير في فضاء عزه بحيث لا يرتقي طرف الى مكانه ولا تسمو
همة الى الوصول اليه فيرى قطعة لحم معلقة على شبكة فينزل له الطمع من مكانه فيعلق
بالشبكة جناحه فيصيره صبي يلعب به وقيل ان فتحا الموصلي رضي الله عنه كان فاعدا
فسيل عن تابع الشهوات كيف صفته وكان بقربه صبيان مع احدهما خبز بلا ادام
ومع الاخر خبز مع كامخ فقال الذي لم يكن معه كامخ لصاحبه اطعمني من الكامخ
فقال بشرط ان تكون كلبي فقال صاحبه نعم فجعل خيطا في فيه وجعل يجره كما يقود
الكلب فقال فتح للسايل اما انه لو رضي بخبزه ولم يطمع في كامخه لم يصر كلبا لصاحبه
وحكي عن بعضهم انه دخل على تلميذ له فقدم التلميذ له خبزا فقال ان لم يكن له ادام فاخذ
يتمنى بقلبه ان ليت يكون له ادام يقدمه الى استاذه فقال الاستاذ تعال معي فحمله
الى باب السجن فراى الناس يضرب واحد ويقطع اخر ويعذب العذاب كل واحد
بانواع العذاب فقال الاستاذ للتلميذ ترى هولاء الذين لم يصبروا على الخبز القفار
وقيل ان رجلا خرج من السجن وفي رجله قيد فسال الناس فقال الانسان اطعمني
كسرة فقال لو قنعت بالكسرة لما وقع القيد في رجلك وراى رجل رجلا من الحكماء
ياكل ما تساقط من البقل على راس ماء فقال لو خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال
الحكيم وانت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقد اردنا ان نذكر هنا حكاية
مناسبة لما نحن فيه ليتعرف بها كيف تكون الهمة السنية والاداب المرضية في اخذ
البلغ من الدنيا والقناعة باليسير من الاشياء ورؤية منة الله تعالى في تيسير القليل والشكر
له على ذلك قال بعضهم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالزاوية وقف بنا رجل عليه
ثياب رثة وله منظر وهيئة ومروة فقال من يبغي خادما من يبغي ساقيا فقلنا هو نك
هذه القربة فاخذها فانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى اقبل وقد امتلات ثوابه طينا واثر
الطين في كتفه فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال الكم غيرها قلنا لا واطعمناه قرصا
باردا فاخذه وحمد الله سبحانه وشكره كثيرا ثم اعتزل وقعد فاكله اكل جايع فادركتني
عليه الشفقة فقمت اليه بطعام طيب كان معنا واكثرت له منه فقلت قد علمت انه لم
يقع منك الغرض بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال يا عبد الله
انما هي ثورة جوع فلا ابالي باي شيء رددتها عني فرجعت فقال لي رجل الى جنبي اتعرفه

قلت لا قال انه رجل من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب هذا من ولد سليمان بن
جعفر المنصور كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها ففقد فما عرف له اثر قال فاعجبني
قوله ثم تبعته به وانسته وقلت له يا بني ان رجل من اخوانك وقد بلغني موضعك فاجبت
لا تصاحبك فهل لك ان تعادلني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو اردت هذا لكان
لي معك ثم انس الي وجعل يحدثني فقال انا رجل من ولد العباس كنت اسكن البصرة وكنت
ذا كبر شديد وتجبر وبذخ واني امرت خادما ان تحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير فبينما
انا نايم اذا بقمع قد اغفلته الخادم فقمت اليها فاوجعتها ضربا ثم عدنا الى مضجعي
بعد اخراج القمع من المخدة فاتاني ات في منامي في صورة فظيعة وهزني وقال افق من غشيتك
وابصر من حيرتك ثم انشا يقول
يا خد انك ان توسد لينا ... وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به ... فلتندمن غدا اذا لم تفعل
فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتي الى ربي هاربا فهذا خبري قال الراوي فلما قضا حديثه
هذا انخنس عني ومضى من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه
بسلاسل الامتحان النفوس الكريمة تقبل على الله بملاطفات احسانه وموالات
فضله وامتنانه والنفوس من اللهمة لا تنقاد الا بسلاسل الامتحان ووقوع المصايب
في الاموال والابدان والقود بالسلاسل استعارة حسنة قال سيدي ابو مدين رضي الله عنه
سنة الله عز وجل استدعاء العباد لعبادته بسعة الارزاق ودوام المعافات ليرجعوا اليه
بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان مراده عز وجل رجوع
العبد اليه طوعا وكرها من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها
ومن شكرها فقد قيدها بعقالها شكر النعم موجب لبقايها
والزيادة فيها وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها وانفصالها قال الله
تعالى لين شكرتم لازيدنكم ولين كفرتم ان عذابي لشديد وقال تعالى ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اي اذا غيروا ما بهم من الطاعات وهي
شكر النعم غير الله تعالى ما منه من الاحسان والكرم واجتمعت حكماء العرب والعجم
على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المفقود
وكان يقال النعم اذا رعيت بالشكر فهي اطواق واذا رعيت بالكفر فهي اغلال

سنة الله

والشكر على ثلاثة اوجه شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بساير الجوارح فشكر القلب ان يعلم
ان النعم كلها من الله تعلى قال الله تعلى وما بكم من نعمة فمن الله وشكر اللسان الثناء على الله
وكثرة المدح والحمد لله ويدخل فيه التحدث بالنعم واظهارها ونشرها قال الله تعلى واما بنعمة
ربك فحدث وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تذاكروا النعم فان ذكرها شكر ومن شكر
اللسان ايضا شكر الوسايط بالثناء عليهم والدعاء لهم وفي حديث النعمان بن بشير رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر
الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وعن اسامة بن زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشكر الناس لله اشكرهم للناس وسياتي الكلام على هذا المعنى
في اخر الكتاب ان شاء الله تعلى عند كلام المولف عليه وشكر ساير الجوارح ان يعمل
بها العمل الصالح قال الله تعلى اعملوا ال داود شكرا فجعل العمل شكرا وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قام حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وسال رجل ابا حازم رضي
الله عنه وقال له ما شكر العينين قال اذا رايت بهما خيرا اعلنته واذا رايت بهما شرا
سترته قال فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا وعيته واذا سمعت بهما شرا دفنته
قال فما شكر اليدين قال لا تاخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله فيهما قال فما شكر
البطن قال ان يكون اسفله صبرا واعلاه علما قال فما شكر الفرج قال كما قال الله تعلى
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين قال
فما شكر الرجلين قال ان رايت شيئا غبطته استعملتهما فيه وان رايت شيئا مقته كففتهما
عن عمله وانت شاكر لله تعلى فاما من شكر بلسانه
ولم يشكر بجميع اعضايه فمثله كمثل رجل له كساء فاخذه بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه
ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر واجمع العبارات في الشكر قول من قال الشكر معرفة بالجنان
وذكر باللسان وعمل بالاركان والقدر اللازم من شكر النعم ما قال الجنيد كنت بين يدي السري
وانا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت
ان لا يعصى الله بنعمه فقال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا زال ابكي على هذه
الكلمة خف من الله في وجود احسانه اليك ودوام اساءتك معه ان يكون ذلك استدراجا
لك سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الخوف من الاستدراج بالنعم من صفات المومنين

قال الجنيد

وعدم الخوف منه مع الدوام على الاساءة من صفات الكافرين فقال من امارات الاستدراج
التمادي في السيئة والاغترار بزمن المهلة وحمل تاخير العقوبة على استحقاق الوصلة وهذا
من المكر الخفي قال تعلى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اي لا يشعرون بذلك وهو ان يلقي
في اذهانهم انهم على شيء وليسوا كذلك ليستدرجهم شيئا شيئا حتى ياخذهم بغتة كما قال
تعلى فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى مخالفتهم وعصيانهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء
اي فتحنا عليهم اسباب الغواية وابواب الرفاهية حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الحظوظ
الدنياوية ولم يشكروا عليها ابرحوا عنهم منها البنا اخذناهم بغتة اي فجاة فاذا هم
مبلسون اي ايسون قانطون من الرحمة قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه في قوله
تعلى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها
فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابن عطا كلما احدثوا خطيئة
جددنا لهم نعمة ونسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة من جهل المريد
ان يسيء الادب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء
ادب لقطع الامداد واوجب الابعاد فقد يقطع المدد
عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن الا منع المزيد وقد يقام مقام
البعد من حيث لا يدري ولو لم يكن الا ان يخليك وما تريد هذا نوع من
الاستدراج الذي تقدم ذكره وسوء الادب من المريد موجب لعقوبته لكن
العقوبات مختلفة فمنها معجلة ومنها موجلة ومنها جلية ومنها
خفية فالعقوبة الجلية العقوبة بالعذاب والعقوبة الخفية العقوبة
بوجود الحجاب فالعقوبة بالعذاب لاهل الخطايا والذنوب والعقوبة بالحجاب لاهل
اساءة الادب بين يدي علام الغيوب وقد تكون العقوبة الخفية في الموجلة
اشد على المريد من العقوبة الجلية المعجلة ومثال العقوبة الخفية ما ذكره
من قطع المدد عنه وايقافه مقام البعد منه وهذا هو مبدا وقوع الحجاب
الذي ذكرنا لانه اذا ابتدا به المريد ولم تتداركه رحمة من الله تعلى في الحال
العتيد كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه
وتبدل الانس بالوحشة والضياء بالظلمة ولم يمكنه بعد ذلك معاودة
الحال الاول لانه اذ ذاك تنقطع عنه الامداد المتصلة والواردات المتجملة

والذنوب
عنه
وان نسا

فتنكشف عنه حينئذ شموس العرفان وتستتر عنه الكشوفات والبيان هذه
جنود الله تعالى في قلب العبد فإذا فقد النظرة من الله تعالى فبذلك وقع في الخذلان
واستحوذ عليه الشيطان فأنساه الذكر وحاق به سيء المكر ورجع إلى متابعة
هوى نفسه لا مالك وخرج عن دائرة الصفوة المختارة ونعوذ بالله من سوء المقدور
وعدم التوفيق إلى مراعاة أوائل الأمور وما احتج به المريد لنفسه من الكلام الذي
ذكره المؤلف يقتضي توجه هذه العبودية إليه ضربة لازب لا ريب فيه لو كان هذا
سوء أدب إلى آخره دليل رضاه بحاله واستحسانه لأعماله وهذا هو الموجب له
عدم المزيد الذي اقتضاه قطع المدد عنه ولو كان المدد متواصلا لازداد عندما
يقع منه سوء الأدب تواضعا لربه وافتقارا إليه وخوفا من مكره ولم يستحسن
حال نفسه فلم يرضها قال سيدي أبو العباس رضي الله عنه كل سوء أدب يثمر لك
أدبا فهو أدب وهو الذي أوجب له أيضا التخلية بينه وبين ما يريد الذي اقتضاه
إقامته مقام البعاد إذ لو كان مقاما في القرب لبعد عن رؤية نفسه وكان مقهورا
لما في إرادتها وكان وافقها مع مراد الله تعالى به فإن الحزم على أمر بإرادته وشهوته
تداركه الله بالعصمة وعوق عليه ما أراد وسد عليه مسالكه ولم يخله وما أراد
من ذلك وقيل من علامة التوفيق ثلاث دخول أعمال البر عليك من غير قصد منك
والنهاوص في المعاصي عنك مع السعي فيها وفتح باب اللجا والافتقار إلى الله تعالى
في كل الأحوال ومن علامة الخذلان ثلاث تعسر الطاعات عليك مع السعي فيها ودخول
المعاصي مع الهرب منها وغلق باب اللجا إلى الله تعالى وترك الدعاء في الأحوال والأدب
موضع عظيم في التصوف ولذلك قال أبو حفص رضي الله عنه التصوف كله آداب لكل وقت
أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم الآداب بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع
الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول وقال أبو عبد الله
بن خفيف قال لي رويم يا بني اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا وقال بعضهم الزم الأدب
ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الأدب في
الباطن إلا عوقب باطنا وقال ذو النون المصري رضي الله عنه إذا خرج المريد عن حد الأدب
فإنه يرجع من حيث جاء وقال الثوري رضي الله عنه من لم يتأدب للوقت فوقته مقت
وقال ابن المبارك رضي الله عنه نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم

وقيل

وقيل لبعضهم يا سيئ الأدب فقال لست بسيء الأدب فقيل له ومن أدبك قال الصوفية
والآداب اللازمة للمريد عامة في ظاهره وباطنه وآداب الظاهر تبع لآداب الباطن وهي
التحلي بمحاسن الأخلاق وكلها في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أدبني
ربي فأحسن أدبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
ولا يحصل ذلك بعد توفيق الله تعالى وتأييده إلا بالرياضة والمجاهدة قال ابن عطاء
رضي الله عنه النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب فالنفس
تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها
فهو شريكها في فسادها ويختلف ما ذكرناه من المجاهدة والرياضة باختلاف الأ
شخاص فرب شخص زكي الفطرة قوي السجية سهل القياد لا يحتاج في ذلك إلى كبير
معاناة ولا تعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا فلا جرم يحتاج إلى زيادة
تعب وقوة محارسة وكثرة مجاهدة لرداءة فطرته ونقصان غريزته وبين هذين
درجات لا تحصى ولهذا كله يحتاج المريد إلى صحبة المشايخ والتأدب بآدابهم
واتباع أوامرهم ونواهيهم لأنه إن لم يجر أفعاله على مراد غيره لا يصلح له الانتقال
عن الهوى ولو بلغ في الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكثافة حجاب نفسه وقد
سئل الدقاق رضي الله عنه بماذا يقوم الرجل عوجاجه قال بالتأدب بإمام فإن من
لم يتأدب بإمام بقي بطالا فإذا دام العبد على ذلك تزكت نفسه وطهر قلبه وتهذبت
أخلاقه وظهر على ظاهره أنوار ذلك فتكون حركات ظاهره وباطنه موثقة بزمام
الأدب حتى ينتهي به إلى المحافظة على تجنب أمور غير مستنكرة في ظاهر العلم
ويكون ترك محافظته عليها ذنبا من مثله وقد يعاتب عليه ويعاقب من أجله قال
سري رضي الله عنه طيبت وردي ليلة من الليالي ومددت رجلي في المحراب فنوديت
يا سري كذا تجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لا مددت رجلي أبدا
قال الجنيد رضي الله عنه فبقي ستين سنة ما مد رجله ليلا ولا نهارا وقال
أبو القاسم القشيري رضي الله عنه كان الأستاذ أبو علي لا يستند إلى شيء
فكان يوما في جمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لأني رأيته غير مستند
فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقى الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة
أو سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلمت أنه لا يستند إلى

شيء ابدا وقال ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه كنت جالسا في مسجد الشونيزية
انتظر جنازة اصلي عليها واهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرايت
فقيرا عليه اثر النسك يسأل الناس فقلت في نفسي لو عمل عملا يصون به نفسه كان اجمل
به فلما انصرفت الى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل من البكاء والصلاة وغيره فثقل
علي جميع اورادي فسهرت وانا قاعد فغلبتني عيني فرايت ذلك الفقير جاؤوا
به على خوان ممدود وقالوا لي كل لحمه فقد اغتبته وكشف لي عن الحال فقلت ما اغتبته
وانما قلت في نفسي شيئا فقيل لي ما انت ممن يرضى منك بمثله اذهب واستحله فاصبحت
ولم ازل اتردد حتى رايته في موضع يلتقط من الماء عند تراد الماء اوراقا من البقل
مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال تعود يا ابا القاسم فقلت لا فقال غفر الله
لنا ولك الى غير ذلك من عادة امثالهم رضي الله عنهم والظاهر ان مراد المؤلف رحمه الله
باساءة الادب ما كان فيه نوع من الرعونة واظهار الدعوى واتصاف العبد بصفة
المدلال وانبساطه وادلاله في موقف الهيبة والحياء وما اشبه هذا مما يخاف على
صاحبه وقوع الاستدراج والمكر به ولكن ينبغي للمريد ان لا يتهاون بشيء من الآداب
ولا يستحقرها فان التهاون بذلك والاستحقار له من علامة الجهل وعدم المعرفة بالله
تعالى وهذا اقبح انواع سوء الادب فان وقعت منه اساءة ادب فليكن خائفا من ذلك
مستعظما للامر فيه وليبادر الى التوبة والاعتذار والتنصل خشية ان توجه
اليه العقوبة من حيث لا يشعر ومن اكثر ما ينبغي ان يجتنبه المريد من مقتضيات
هذه الجملة التي ظهر لنا انها مراد المؤلف رحمه الله من انواع سوء الادب ان يوطن خاطره
على شيء من الاعتراض على الله تعالى وتعاطي التدبير معه والتبرم باحكامه المؤلمة
له في نفسه او غيره وان يسرح لسانه بالشكوى الى الخلق والعتب لما لا يوافق هواه
او نفسه في نظره مما دون الحق فان خطر بباله او جرى على لسانه شيء من ذلك فليبادر
الى الاستغفار منه والتنصل عنه وليعلم ان تشاغله بذلك من احسن الحسنات
وافضل القربات وبذلك يدخل في مقامات الرضى ويوصله الى غاية التنعيم
في النعيم والعطاء كما ان توطينه عليه وتهاونه من اعظم خطاياه واكبر ذنوبه
ويوديه ذلك الى تسخط الاقدار والوقوع في دركات النار نعوذ بالله من ذلك
ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فلم يعرف له خبر ثلاثة ايام فقيل له لو سالت

الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي
وقال بعض السادة اذنبت ذنبا فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد
في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة لشيء ليته كان
وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله
ليته لم يقضه وقال بعضهم مرض الجنيد رضي الله عنه فقال اللهم عافني فسمع
هاتفا يقول ما لك والدخول بيني وبين ملكي ومن مقتضياتها ايضا ان لا يعلق
قلبه بشيء من الاعتراض على المشايخ والاولياء وان يترك تعظيمهم واحترامهم
وان لا يقبل اشارتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين لا توبة لهم
وقالوا ايضا من قال لاستاذه لم لا يفلح قال ابو القاسم القشيري رضي الله عنه من صحب
شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت
عليه التوبة وان بقي من اهل السلوك فاصل لم يصل الى مقصوده فليعلم ان موجب
حجبه اعتراض خامر قلبه قلبه على بعض شيوخه في بعض اوقاته فان الشيخ
بمنزلة النبي للمريد قال وفي الخبر الشيخ في اهله كالنبي في امته وكذلك من سوء
ادبه تصدره للتعليم والهداية وتصديه للامر والولاية ومحبته للاستتباع
والرياسة وتربية الجاه والحشمة والقبول بين الناس واستدعاؤه بان يكرم
ويعظم ويتبرك به ويقبل يده ويسارع في قضاء حوائجه وذلك من امراض
الاشياء به وهو نتيجة استحسانه لما هو عليه وعدم تفقده لعيوبه
واتهام نفسه في كل حال من احواله وذلك مذموم منه قال ابو عثمان رضي الله
عنه لا يرى احد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيئا وانما يرى عيوبها
من يتهمها في جميع الاحوال وقال ابو عبد الله السجزي رضي الله عنه
من استحسن شيئا من احواله في حال ارادته فسدت عليه ارادته الا ان يرجع
الى ابتدائه فيروض نفسه ثانيا وقال ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه
سمعت جدي يقول آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه فان استشعر المريد
من نفسه شيئا مما ذكرناه فليبادر الى قطع مواده واستئصال عروقه من قبل
ان يستحكم ذلك فيه ويرسخ بين اثناء الامور وهي التي ينبغي ان يتراعى كثيرا
ومن انواع سوء ادب المريد المفضي الى عطبه نزوله عن مقتضيات الحقيقة الى

بحظ الشريعة فقد عد ذلك من الجنايات العظيمة الموجبة لانحطاط الرتبة والبعد
عن محل القربة ولهذا قالوا إذا رأيت المريد انحط عن مرتبة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فاعلم
أنه قد نقض عهده مع الله وفسخ عقده بينه وبين الله وقال ابن خفيف رضي الله عنه الإرادة
استدامة الكد وترك الراحة وليس شيء أضر على المريد من مسامحة النفس في قبول
الرخص والتأويلات وقال يوسف بن الحسين رضي الله عنه إذا رأيت المريد
يشتغل بالرخص فاعلم أنه لا يجيء منه شيء وقال أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان
من أراد أن يتعطل ويتبطل فليلتزم الرخص ويشتغل بالرخصة ومما كان مضادا لحال المريد
من تناول الشهوات واللذات والميل إلى المال والجاه والمعتادات والركون إلى الدعة
والرفاهات وارتكاب الشهوات والتأويلات فإن حال المريد تقتضي مباينته
لهذا كله وإن كان بعض ذلك مباحا في رخصة الشرع لعامة الناس لكن إبراهيم
الخواص رضي الله عنه يقول إن هذه الشهوات التي أظلمت قلوب الخلق المتعززين
بعد صفاء نورها وفترت أبدانهم بعد اجتهادها وحجبت قلوبهم بعد قربها
والتذاذهم بعد فقدها وأنسوا بالمخلوقين بعد الهرب منهم وتوجهوا العرش
بعد الترك لها فسقتهم الدنيا بكأس سمها فنظروا إلى ظاهرها بعد باطنها فناموا
بعد السهر وشبعوا بعد الجوع واكتسوا بعد العري وقال أبو سليمان الداراني
رضي الله عنه أوحى الله إلى داود عليه السلام إني إنما خلقت الشهوات
لضعفاء خلقي فإياك أن تعلق قلبك منها بشيء فأيسر ما أعاقبك به
أن أنزع حلاوة حبي من قلبك وفي أخبار داود عليه السلام يا داود كن
تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب محبتي عنك
اقطع شهوتك لي فإنما أبحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الأقوياء أن ينالوا
الشهوات فإنها تنقص حلاوة مناجاتي فإني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها
يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما سكرانا يحجبك بسكره عن محبتي
أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بإدمان
الصوم يا داود تحبب إلي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات أنظر إليك
وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه
لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات أولها يغلق باب
النعمة ويفتح باب الشدة والثاني يغلق باب
العز

العز ويفتح باب الذل والثالث أن يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد والرابع
أن يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامس أن يغلق باب الغنى ويفتح
باب الفقر والسادس أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت
وقال إبراهيم الخواص رضي الله عنه كنت في جبل اللكام فرأيت رمانة
فاشتهيتها فدنوت منه فأخذت واحدة فشققتها فوجدتها حامضة
فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت
السلام عليك فقال وعليك السلام يا إبراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف
الله لا يخفى عليه شيء فقلت إن لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك ويقيك
من هذه الزنابير فقال وإن لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يقيك شهوة الرمان
فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا وقال السري
رضي الله عنه إن نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة أن أغمس جزرة
في دبس فما أطعمتها فلما كان ترك الشهوات والتنعمات من شأن المريد ومن
مقتضى حاله لزمه الوفاء به وكان عمله على خلافه نقضا وفسخا لما التزم
قال جعفر بن نصير دفع إلي الجنيد درهما وقال اشتر لي به التين الوزيري
فاشتريته فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فيه ثم ألقاها وبكى وقال
احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي هاتف أما تستحيي تركت شهوة
من أجلي ثم تعود إليها وعن شقيق بن إبراهيم قال لقيت إبراهيم بن أدهم
بمكة في سوق الليل عند مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ناحية
من الطريق يبكي فعدلت إليه وجلست عنده وقلت له أي شيء هذا البكاء
يا أبا إسحاق فقال خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثة فلما أكثرت عليه
قال يا شقيق استر علي فقلت يا أخي قل ما شئت قال اشتهت نفسي سكباجا
فمنعتها جهدي فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني النعاس فإذا أنا
بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتي
عليه فقرب مني وقال يا إبراهيم كل فقلت ما آكل شيئا قد تركته لله تعالى فقال لي
فإذا أطعمك الله تأكل فما كان لي جواب إلا أن بكيت فقال لي كل يرحمك الله فقال
إبراهيم فقلت له قد أمرنا ألا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم فقال لي كل يرحمك الله

وإنما أعطيته وقيل لي يا خاص اذهب بهذا وأطعم نفس إبراهيم بن أدهم فقد رحمها
الله من طول صبرها على ما تحملها من منعها اعلم يا إبراهيم أني سمعت الملائكة
يقولون من أعطي فلم يأخذ طلب فلم يعط فقلت إن كان هذا كذا فها أنا بين يديك
لا أحل العقد مع الله تعالى ثم التفت فإذا أنا بفتى آخر فناوله شيئا وقال يا خضر لقمه
أنت فلم يزل يلقمني حتى شبعت فانتبهت وحلاوته في فمي قال شقيق
رضي الله عنه فقلت أرني كفك فأخذت كفه بكفي فقبلتها وقلت يا من يطعم
الجياع الشهوات إذا صححوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من يشفي قلوبهم
من محبته أترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد إبراهيم إلى السماء فقلت بقدر
هذه الكف وبقدر صاحبها عندك وبالجود الذي وجد منك جد على عبدك
الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك قال فقام
إبراهيم رضي الله عنه ومشى حتى دخل المسجد الحرام وقال عتبة الغلام لعبد
الواحد بن زيد رضي الله عنهما إن فلانا يصف من قلبه منزلة ما أعرفها قال لأنك
تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقال إن تركت أكل التمر عرفت
تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يبكي فقال له بعض أصحابه أبكى الله عينك
أعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه
في الترك فهو إذا ترك شيئا لم يعد إليه أبدا وقال أحمد بن أبي الحواري اشتهى
أبو سليمان الداراني رضي الله عنه رغيفا حارا بملح فجئت به إليه فعض منه
عضة ثم طرح الرغيف وقال عجلت إلي شهوتي بعد إطالة جهدي وشقوتي قد عزمت
على التوبة فأقلني قال أحمد فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال
أبو بكر الجلاء رضي الله عنه أعرف إنسانا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة
وأطعمني بعد ذلك شهوة فيقول لها لا أريد أن تطوي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة
وقال أبو سليمان رضي الله عنه ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب
من صيام سنة وقيامها قال أبو حامد الغزالي رضي الله عنه وقد اشتد
خوف السلف رضي الله عنهم عن تناول لذيذ الأطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا
أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله منه غاية السعادة حتى روي عن وهب
بن منبه رضي الله عنه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر

من أين

من أين فقال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال الآخر أمرت
بإهراق زيت اشتهاه فلان العابد قال وهذا تنبيه على أن تيسير الشهوات ليس
من علامات الخير قال أبو حامد رضي الله عنه والأصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم
فإذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسباب ذلك ويكون ذلك من الله تعالى ابتلاء
واختبارا فينبغي أن يصبر ويستمر فإنه إن عود نفسه كسر العزم ألفت وفسدت
وإذا اتفق منه كسر عزمه فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة
النفس من كتاب المراقبة فإذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده
تناول الشهوات وتفسد به الرياضة عليه بالكلية هذا كلام الإمام أبي حامد
وهو حسن ومعناه صحيح مجرب فلتعمل عليه أيها المريد وقد يجعل الله لبعض
هؤلاء العقوبة رحمة له ومنة عليه قال أبو تراب النخشبي رضي الله عنه
ما تمنت نفسي شهوة من الشهوات إلا مرة واحدة تمنيت خبزا وبيضا وأنا في
سفر فعدلت إلى قرية فقام واحد وتعلق بي وقال هذا كان مع اللصوص فضربوني
سبعين درة ثم عرفني رجل منهم فقال هذا أبو تراب النخشبي فاعتذروا إلي وحملني
رجل منهم وحملوني إلى منزله وقدم إلي خبزا وبيضا فقلت في نفسي كل بعد سبعين
درة وقال بعضهم تشهى أبو الخير العسقلاني رضي الله عنه السمك سنين ثم ظهر له
ذلك من موضع حلال فلما مد يده إليه ليأكله أخذت شوكة من عظامه
أصبعه فذهبت في ذلك يده فقال يا رب هذا لمن مد يده بشهوة إلى حلال
فكيف بمن مد يده بشهوة إلى حرام وقال إبراهيم الخواص رضي الله عنه كنت
جائعا في الطريق فوافيت الري فخطر ببالي أن لي بها معارف فإذا دخلتها أضافوني
وأطعموني فلما دخلت البلد رأيت فيه منكرا احتجت إلى أن أمر فيه بالمعروف
فأخذوني وضربوني فقلت في نفسي من أين أصابني هذا الضرب على جوعي فنوديت
في سري إنما أصابك ذلك لأنك سكنت إلى معارفك بقلبك وقلت إنهم يطعموني
إذا دخلت البلد وحكي عن إبراهيم بن شيبان رضي الله عنه أنه قال كنت بمجلس
واشتهيت شبعة من الخبز والتمر فاتفق ذلك فأكلت حتى شبعت فرأيت
على باب المسجد قوارير معلقة تشبه أنه وجدت فتوهمتها خلا فقيل لي انظر
إليها إنها خمر فقلت لزمني فرض فدخلت الحانوت فلم أزل أصب في الأرض حتى

اتيت على الجمع بالخروج فعوضني مائتي خشبة وكم حوفي في السجن اربعة
اشهر حتى دخل استاذي ابو عبد الله المغربي البلد فسمع بحالي فتشفع في
فلما وقع بصره علي قال ما شانك فقلت شبعة خبز وعرس وضرب مائتي خشبة
وسجن اربعة اشهر فقال لي نجوت مجانا اي وردت عقوبة هذه الاكلة على كاهلك ولم
تفرح فيما كنت فيه من سر امرك فكان ذلك رفقا من الله تعالى بك **قال** الامام
ابو القاسم القشيري رضي الله عنه وما احسن ما قال فان من ادب في الدنيا بما يتعاطاه
من متابعة هواه فقد خفف عنه في عقباه بل ظهر التاديب جوهره ومعناه وحكاية
خير النساج رضي الله عنه المشهورة من معنى ما ذكرناه ففيها عبرة للمعتبرين
قال الحافظ ابو نعيم رضي الله عنه حدثني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه قال
سألت خير النساج اكان النسج حرفتك قال لا قلت فمن اين سميت به قال عاهدت الله
واعتقدت اني لا اكل الرطب ابدا فغلبتني نفسي يوما فاخذت نصف رطل فلما اكلت واحدة
اذا برجل نظر الي وقال يا خير يا ابن هربت مني وكان له غلام اسمه خير فوقع علي
شبهه وصورته فخنقني فاجتمع الناس فقالوا هذا والله غلامك خير فبقيت
متحيرا وعلمت بماذا اخذت وعرفت جنايتي فحملني الى حانوته الذي كان فيه ينسج غلامه
وقالوا يا عبد السوء اتهرب من مولاك ادخل واعمل عملك الذي كنت تعمل وامرني
بعمل الكرباس فدليت رجلي على ان اعمل فاخذت بيدي آلة فكأني كنت اعمل منذ سنين
فبقيت معه اشهر انسج فقمت ليلة فتمسحت وقمت الى الصلاة الغداة فسجدت
وقلت في سجودي اللهم لا اعود الى ما فعلت فاصبحت فاذا الشبه قد ذهب عني
وعدت الى صورتي التي كنت عليها فاطلقت فثبت علي هذا الاسم وكان سببه
النسج اتباع شهوة عاهدت الله الا اكلها فعاقبني الله بما سمعت **وفي**
بعض الاخبار عن الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوته على محبتي
ان احرمه لذيذ مناجاتي وسياتي ان شاء الله تعالى كيفية مجاهدة النفس عند
قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين ولهذا المعنى كرهوا له
التزويج من غير ضرورة محققة لانه انما يقصد بذلك قضاء شهوته وبلوغ نهمته
وذلك في الغربة بمنزلة السم القاتل وقد قالوا من اثر شهوته عدم صفوته وقال
بعضهم من ضن بشيء مما يحب العلم تلذذا عوقب بتضييع العمر وقسوة القلب

وتعب

وتعب البهم بالزنا **وقال** ابو سليمان الداراني رضي الله عنه ثلاثة من طلبهن فقد ركن
الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امراة او كتب الحديث وقال ما رايت احدا من اصحابنا
تزوج فثبت على مرتبته **وكان** ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه يقول من تعود افخاذ
النساء لا يفلح وقيل لبعضهم لم لا تتزوج فقال المراة لا تصلح الا للرجال وانا ما بلغت
مبلغ الرجال ثم فيه من مكابدة امر غيره ومن مراعاة توفية حقوقه ومعاناة اخلاقه
واتباع مرضاته ما يشوش على المريد حاله ويكدر عليه وقته وقد كان له في ام
معاناة نفسه اعظم شاغل عن ان ينضاف الى نفسه نفس اخرى مع ما يتملك على
باطنه من خوف الفقر ومحبة الجمع والمنع وما يتركبه من سبب ذلك من التاويلات والرخص
وذلك كله مضاد لحال المريد وقد قالوا اذا تزوج الصوفي فقد ركب السفينة فان زيد
له فقد غرقت السفينة **وكان** بشر الحافي رضي الله عنه يقول لو كنت اعول دجاجة
خفت ان اكون جلوازا على الجسر وفي الخبر في اخر الزمان قال وفي ذلك الوقت تحل
العزبة فقيل وكيف ذلك قال يعيرونه بالفقر ويتكلف ما لا يطيق فيورده موارد الهلكة
وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ
قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال الذي لا اهل له ولا ولد وقال سهل بن عبد الله رضي
الله عنه اياكم والاستمتاع بالنساء والميل اليهن فان النساء مبعدات من الحكمة
قريبات من الشيطان وهن مصايده وحظه من بني ادم فمن عطف اليهن بكليته فقد
عطف الى حظ الشيطان ومن حاد عنهن يئس منه وما امل الشيطان الراجي كيله
الا من استرق بالنساء وان الشر معهن حيث كن فاذا رايتم في وقتكم من قد ركن اليهن
فايئسوا منه قيل له فحديث النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث
فذكر النساء **قال النبي** صلى الله عليه وسلم معصوم وقد بلغكم ما كان
فيه معهن هي عدوة الرجل ظاهرا وباطنا ان ظهرت له المحبة اهلكته وان اضمرتها
له اغرته وان الله عز وجل جعلهن فتنة فنعوذ بالله من فتنتهن انتهى كلام
سهل رضي الله عنه **وقال** حذيفة المرعشي رضي الله عنه كان ينبغي
للرجل لو خير في ان تضرب عنقه وبين ان يتزوج امراة في الفتنة لاختار ضرب العنق
على تزويج امراة في الفتنة وانما قال ذلك لما يؤول اليه امر التزويج من اكتساب
الحرام وارتكاب الاثام في زمان الفتنة وضرب العنق احسن حالا واحمد عاقبة

من التعرض لارتكاب شيء من معاصي الله عز وجل فإن قارب شيئا من ذلك المريد فهو داء عضال
في حقه فقد قيل زلة بعد الارادة أقبح من سبعين زلة من قبل الارادة وفي المثل من عرف بالخيانة
لا يعتمد عليه في الامانة وقال بعض الانبياء في مناجاته لربه لو عفوت عن فلان ذنوبه بعد عظيم
نعمك فأوحى الله اليه ليس الذنب في القرب كالذنب في البعد وسئل بعضهم هل يجد العاصي
حلاوة الطاعة فقال لا ولا من هم بالمعصية ومن عظيم سوء آداب المريد أن يميل الى اهل الدنيا
او لمن يقرب منهم او أن يصاحبهم قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن شأن
المريد التباعد عن أبناء الدنيا فإن صحبتهم سم مجرب لأنهم ينتفعون به وهو ينقص بهم قال
الله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقد تقدم
من كلام المؤلف لا تصحب من لا ينهضك حاله ومن ذلك ايضا معاشرة الاحداث والشبان
وقبول ارفاق النسوان فإن تعرض لاستجلاب ذلك منهن فهو أشر قال يوسف
بن الحسين الرازي رضي الله عنه رأيت آفات الصوفية في صحبة الاحداث ومعاشرة الا
ضداد ورفق النسوان قال الامام ابو القاسم ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة
الاحداث ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فبإجماع من الشيوخ أن ذلك عبد أهانه الله عز وجل
وخذله بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أهله ثم قال بعد كلام كثير فليحذر المريد
من مجالسة الاحداث ومخالطتهم فإن اليسير منه فتح باب الخذلان وبدو حال الهجران ونعوذ
بالله من قضاء السوء وآداب المريد كثيرة وانما نبهنا هنا على بعض ما يعظم فيه الخطر
والضرر مما حذر منه ايمتنا رضي الله عنهم وبالغوا في التوصية به والنهي عنه وجميع
ذلك محتمل أن يكون مراد المؤلف رحمه الله في قوله من جهل المريد أن يسيء الادب
فرأينا أن لا نخلي هذا الوضع من التنبيه لأن ذلك ينفع المريد كثيرا والله ولي التوفيق

إذا رأيت عبدا أقامه الله بوجود الأوراد وأدامه عليها مع طول الامداد فلا تستحقرن ما منحه الله مولاه لأنك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد

عباد الله المخصوصون ينقسمون الى قسمين مقربين وأبرار فالمقربون هم الذين انحرفوا عن حظوظهم
وإراداتهم واستعملوا في القيام بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون
والمحبون والابرار هم الباقون مع حظوظهم وإراداتهم وأقيموا في الاعمال والطاعات
ليجزون عليها برفيع الدرجات في الجنات وهؤلاء هم الزاهدون والعابدون وكل واحد

منهم

منهم من هو في مقامه الذي هو فيه بمرتبة البهيمي اقتضى منهم القيام بحقوق مقاماتهم على
اختلافها فإذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى في أعمال البر الظاهرة ومواصلة الاوراد
المتواترة وأمده في ذلك بالمعونة والتيسير فذلك من اختيار الله تعالى له فلا تستحقرن
ذلك لأنك لم تر عليه سيما العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات
بين يدي المريد المختار ولا بهجة المحبين من الشغف بمرضاة محبوبهم والانبساط
والإدلال بين يدي حبيبهم فلولا الوارد الإلهي الذي أورده الله تعالى عليه ما استقام
على عمله وورده فهو لم يخرج عن دائرة عنايته وحوطة رعايته فلم تستحقر خصيص
ما منحه وتستقل كثير ما نحله وهل ذلك الا من وجود جهله ونقصان عقله
وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله تعالى لا يستحقر الورد الا جهول

قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا

الحق تعالى له الاختيار التام والمشيئة النافذة لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون فطائفة أقامهم الحق تعالى لخدمته حتى صلحوا لجنته وهم
الزاهدون والعابدون كما تقدم وطائفة اختصهم بمحبته حتى صلحوا لقربته
والدخول الى حضرته وهم العارفون العلماء قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه
الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة فإذا شهد العبد انفراد
الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص منعه ذلك مما ذكرناه من الاستحقار وسلم الامر
لمن بيده التدبير والاختيار قال ابو يزيد رضي الله عنه اطلع الله على قلوب اوليائه
فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة وذكر الحافظ ابو نعيم في
كتاب الحلية عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال إن الله تعالى يطلع على أهل
قرية او بلدة فيريد أن يقسم لهم من نفسه قسما فلا يجد قلوب العباد ولا قلوب
الزهاد موضعا لتلك القسمة من نفسه فيمن عليهم أن يشغلهم بالتعبد عن نفسه
وقال ابو العباس الدينوري رضي الله عنه إن لله عبادا لم يستصلحهم لمعرفته
فشغلهم بخدمته ولله عباد لم يستصلحهم لخدمته فأهملهم والاشارة بالآية الكريمة
التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى بينة في هذا المعنى وقال رضي الله عنه

قلما تكون الواردات الإلهية الا بغتة صيانة لها أن يدعيها العباد بوجود الاستعداد

الوارداتُ الإلهية هدايا من الله تعالى وتحف وكرامات يكرم بها عباده فلا تكون في الغالب
إلا بغتة فجأة لئلا يدّعوها ويروا أنفسهم أهلا لها بوجود استعدادهم وتهيئهم
وتحف الله تعالى وهداياه منزّهة عن أن تعلّل بأمر ومنزّهة عن أن تقابل بأعمال بل هي
محض كرم وفضل من الكريم المتفضل من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ومعبّرا لكل
ما شهد وذاكرا كلما علم فاستدل بذلك على وجود جهله
ذو الإجابة عن كل سؤال والتعبير لكل مشهود والذكر لكل معلوم أمارة على وجود جهل
من اتصف بهذا كما قال أما الإجابة عن كل سؤال فلا تتصف بها منه إلا إحاطة بجميع المعلومات
وذلك محال في حقه قال الله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فكيف يتصوّر منه مع
هذا الإجابة عن كل سؤال لولا وجود جهله وأيضا فإنه يجب عليه أن يراعي حال
السائل من وجود الأهلية لما سئل عنه فيمتنع عن الإجابة من لا أهلية فيه
لذلك ويفعله ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه السائل
الذي جاء يسأله أن يعلّمه من غرائب العلم فإنه انتهضه وقال له ما فعلت في رأس
العلم وفي كذا وفي كذا فأجابه السائل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذهب
فأحكم ما هنالك ثم تعال حتى أعلمك من غرائب العلم وكما أخذ الله تعالى على العلماء
ألا يكتموا العلم أهله كذلك أخذ عليهم أن يصونوه عن غير أهله فمن لا يسلك
هذا المسلك فهو جاهل وأما التعبير لكل مشهود فلا يفيه نوع من إفشاء
السر الذي يجب كتمه وقد قالوا قلوب الأحرار قبور الأسرار والسر أمانة الله تعالى عند
العبد فإشهاره بالتعبير عنه خيانة والله لا يحب الخائنين وأيضا فإن الأمور المشهودة
لا يستعمل فيها إلا الإشارة والإيماء واستعمال العبارات فيها إفضاح بها وإشهار لها
وفي ذلك ابتذالها وإذا التهمت العبارة عنها لا تزيدها إلا غموضا وانغلاقا لأن
الأمور الذوقية يستحيل إدراكها بالعبارات النطقية فيؤدي ذلك إلى الإنكار والقدح
في علوم السادة الأخيار قال أبو علي الروذباري رضي الله عنه علمنا هذا
إشارة فإذا صار عبارة خفي وأما الذكر لكل معلوم فلعدم تفريقه بين المعلومات
وقد يكون له علم يختص به فإذا ذكره لغيره استضرّ به وإن كان ينتفع به هو فعدم تفريقه
بين المعلومات في ذكرها من وجود جهله إنما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده
المؤمنين لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ولأنه أجلّ أقدارهم

عن أن تجازيهم في دار لا بقاء لها إنما جعل ثواب المؤمنين في الدار الآخرة فيما ظهر لنا
لوجهين أحدهما فلأن الدنيا متناهية المسافات ضيقة الأقطار ويعطي الله تعالى آخر
المؤمنين في الدار الآخرة في ملك واحد منهم كما روي في الخبر مسيرة سبع مائة عام في الأقطار
بخواصهم فتضيق لا محالة مسافة الدنيا عن كلية جزائهم وأما المعنى فلأن الدنيا
مسمومة بالرذالة والنقص والخساسة والحقارة والأشياء التي يتنعم بها أهل الجنة
أمور شريفة رفيعة كما جاء في الأخبار أن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما
فيها وأن نور سوار حوراء يطمس نور الشمس وما أشبه هذا ويكفي في ذلك قوله عز وجل
فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه
عن ربه عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر والثاني أن الله تعالى أجلّ أقدار عباده المؤمنين فلم يجعل لهم جزاء على طاعاتهم
في دار فانية منقضية منصرمة لأن كل ما يفنى وإن كانت مدته كلا شيء بل أعطاهم
الخلود في النعيم والبقاء الدائم في الملك المقيم وناهيك به شرفا تسميته إياهم
باسمه الكريم وهو الحي الذي لا يموت جاء في التفسير في قوله تعالى وملكا كبيرا أنه
يرسل الله الملك إلى وليه فيقول له استأذن على عبدي فإن استأذن لك فادخل وإلا
فارجع فيستأذن عليه من سبعين حجابا ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله تعالى
مكتوبا على عنوانه من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت فإذا فتح الكتاب وجد
فيه مكتوبا عبدي اشتقت إليك فزرني فيقول هل جئتني بالبراق فيقول نعم فيركب
البراق فيغلب الشوق على قلبه فيعجله شوقه ويبقى البراق الذي يصل إلى بساط
اللقاء من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول ثمرة
العمل وجدان الحلاوة فيه والتنعم به ويتصوّر ذلك في أكثر الأعمال المواظبة
عليها على حال تكرّه واستثقال له هذا هو غالب الأمر قال بعض العارفين
ليس شيء من البر إلا ودونه عقبة يحتاج إلى الصبر فيها فمن صبر على شدّتها
أفضى إلى الراحة والسهولة وإنما هي مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة
في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وقال ثابت البناني رضي الله عنه كابدت القرآن
عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وقال عتبة الغلام رضي الله عنه كابدت
الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال بعض العلماء كنت أقرأ القرآن

ولا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم رفعت إلى مقام فوقه وكنت أتلوه كأني أسمعه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله تعالى بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه
من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عليه وما ذكرناه
من الحلاوة والنعيم إنما تثمره الأعمال الصحيحة الصافية السالمة من الرياء
والدعوى قال أبو تراب رضي الله عنه إذا صدق العبد في العمل وجد
حلاوته قبل أن يعمله وإذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل والأ
عمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة بفضل الله تعالى ورد في الخبر لا يقبل
الله تعالى من مسمع ولا مراء دليل خطابه أن العمل السالم من الرياء والسمعة مقبول
مع قوله عز من قائل إنما يتقبل الله من المتقين وقبول الله تعالى لعمل العبد ورضاه
به هو ثواب المعجل كما يقوله المؤلف بعد هذا وذلك علامة على وجود الجزاء
عليه في الدار الآخرة حسبما يأتي في قوله وجدان ثمرات الطاعات عاجلا
بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا وقال أبو سليمان الداراني رضي
الله عنه كل عمل ليس له ثواب في الدنيا ليس له جزاء في الآخرة فحصل من هذا
أن وجدان الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضي لوجود الرضى والجزاء
ولذلك قال الحسن رضي الله عنه تفقدوا الحلاوة في ثلاث إن وجدتموها
فأبشروا وامضوا لقصدكم وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق عند تلاوة
القرآن وعند الذكر وفي السجود وزاد غيره عند الصدقة وبالأسحار وقيل في قوله
تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فالجنة معجلة وهي حلاوة الطاعات
ولذة المناجاة والاستيناس بفنون المكاشفات وجنة مؤجلة وهي فنون
المثوبات وعلو الدرجات قلت وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون إلا في مقام المعرفة
الخاصية وهي التي تنافيها المعصية قيل لبعضهم هل تعرف الله فغضب على السائل
وقال أتراني أعبد من لا أعرفه فقال له أوتعصي من تعرفه وقيل لبعضهم تعرف
أنك عرفته فقال لم أقصد مخالفته إلا ورد على قلبي استحياء منه وقال
إسماعيل بن نجيد رضي الله عنه الشهادة بالأمر قلة المعرفة بالآمر لأن العصيان
في حال العرفان بعيد فإن وقعت منه زلة وهفوة تحكم وكان أمر الله قدرا مقدورا

وجدنا مع الله لذلك مرارة وألما في قلبه فوجدان هذه المرارة في المعصية علامة
صحة ما وجد من الحلاوة والنعيم في الطاعة فهذه هي الحلاوة التي هي الميزان للأعمال
المقبولة كما ذكرناه وأما الحلاوة التي يجدها المريد دون أهل هذا المقام في بعض العبادات
فمدخولة معلولة إلا أن فيها من تنشيط العباد للمواظبة على العبادة والحلاوة
على هذا طلاوة إذا وجدها العامل في العمل لا ينبغي أن يقف معها ولا أن يفرح بها ولا يسكن
إليها وكذلك أيضا لا ينبغي له أن يقصد بعمله إلى نيلها لما فيها له من اللذة والحظ فإن ذلك
مما يقدح في إخلاص عبادته وصدق إرادته وليكن اعتناؤه بحصولها لتكون ميزانا
لأعماله ومحكا لأحواله فقط قال الواسطي رضي الله عنه استحلاء الطاعات
سموم قاتلة قال في لطائف المنن وصدق الواسطي رضي الله عنه وأقام في ذلك أنك
إذا فتح لك باب الحلاوة في الطاعات تصير قائما فيها متطلبا لحلاوتها فيفوتك
صدق الإخلاص في نهوضك لها وتجاد وامها لا قياما بالوفاء ولكن لما وجدت
من الحلاوة والمتعة فتكون في الظاهر قائما بالله وفي الباطن إنما قمت لحظ نفسك
ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعات جزاء تعجلته في الدنيا فتأتي يوم القيامة
ولا جزاء لك إذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيما ذا يقيمك هذا ميزان
صحيح وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أراد أن يعلم منزلته
عند الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فإن الله عز وجل ينزل العبد عنده
حيث أنزله العبد من نفسه وهذا الإنزال المذكور المنسوب إلى العبد معنى الإقامة
المذكورة إذ العبد لا فعل له على التحقيق قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه
إنما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه وقال الشيخ أبو طالب المكي رضي
الله عنه فإذا كان العبد لنفس مولاه مكرما ولحرماته معظما وإلى محبوبه ومرضاته
مسارعا كان الله عز وجل له في آخرته لوجهه مكرما ولشأنه معظما وإلى مسرته
من النعيم المقيم مسارعا وإذا كان العبد نحو مولاه متهاونا وبأمره مستخفا
ولشعائره مستصغرا كان الله عز وجل له مهينا وبشأنه متهاونا وإلى ما يكره
من العذاب الأليم له مسارعا والعياذ بالله من ذلك وقال وهب بن منبه
رضي الله عنه قرأت في بعض الكتب يا ابن آدم أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني
بما يصلحك إني عالم بخلقي إنما أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه أمري

بناظر في وجود غيره حتى ينظر عنده في حقه متى رزقك الطاعة والغنى به عنها فاعلم
أنه أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة المطلوب من العبد شيئان إقامة الأمر الظاهر
والتعلق بالله تعالى في الباطن وهو الاستغناء به عن غيره فإذا رزق الله تعالى العبد هذين
الأمرين فقد أسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة وأوصله إلى غاية الآمال في الدنيا والآخرة
سبحانه جل وعلا **وقال** رضي الله عنه **خير ما تطلبه منه ما هو
طالبه منك** إن كان ولا بد من الطلب فاطلب ما هو طالبه منك من الاستقامة
على سبيل العبودية له فذلك خير لك من طلبك لحظوظك وإرادتك
لذاتك حيث تكون به وله ويسعفك بمطلوبك عاجلا من غير تأخير وأما
إن طلبت منه حظ نفسك ونيل مرادك فقد يحصل في ذلك تأخير ومنع مع ما يفوتك
حينئذ من حسن الأدب في الطلب يحكى عن أبي الحسن الزيات رضي الله عنه قال وصف لي
بإنطاكية إنسان أسود يتكلم على القلوب قال فقصدته فلما رأيته رأيت معه
شيئا من المباحات يريد أن يبيعه فساومته وقلت بكم تبيع هذا فنظر إلي ثم قال
اقعد فإنك جائع منذ يومين حتى إذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئا قال فمضيت
إلى غيره وتغافلت كأني لم أسمع قال وساومت غيره ما كان يريد به ثم رجعت إليه
وقلت له بكم تبيع هذا ثم نظر إلي وقال اقعد فإنك جائع منذ يومين حتى إذا
بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئا قال فوقع على قلبي منه هيبة فلما باع ذلك
أعطاني شيئا ومضى قال فمضيت خلفه لعلي أستفيد منه شيئا فالتفت
إلي وقال إذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله إلا أن يكون لك فيها حظ فتحجب
عن الله ومن دعاء أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه اللهم وكل سؤال سألتك فعن
أمرك لي بالسؤال فاجعل سؤالي إليك سؤال محابك ولا تجعلني ممن
يعتمد بسؤاله مواضع الحظوظ بل أن يستوفي القيام بواجب حقك ومن دعائه
أيضا اللهم إني أسألك منك ما هو لك وأستغفرك من كل أمر يشغلني
اللهم ولا تشغلني شغل من شغله عنك ما أراده منك إلا أن يكون لك اللهم
اجعلني ممن يذكرك ذكر من لا يريد بذكره منك إلا ما هو لك اللهم اجعل
غاية قصدي إليك ما هو لك ولا تجعل قصدي إليك ما أطلبه منك الحزن على
فقدان الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامة الاغترار هذا هو

الحزن

الحزن الكاذب الذي يكون عليه البكاء الكاذب كما قالوا كم من عين جارية
وقلب قاس وهو من مكر الله تعالى الخفي حيث منعه ما ينفعه وأعطاه
ما يغتر به من الحزن والبكاء سمعت رابعة العدوية رضي الله عنها رجلا يقول
واحزناه فقالت وا قلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك أن تتنفس وأما الحزن
الصادق فبخلاف هذا وهو مقام من مقامات السالكين وهو يبعث على الانكماش
في الأعمال والنهوض إلى الطاعات على كل حال **قال** الشيخ أبو علي الدقاق رضي
الله عنه صاحب الحزن يقطع من طريق الله تعالى في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه
في سنين وفي الخبر إن الله يحب كل قلب حزين وفي التوراة إذا أحب الله عبدا نصب في
قلبه نائحة وإذا أبغضه نصب في قلبه مزمارا **وكان** رسول الله صلى الله عليه وسلم
متواصل الأحزان دائم الفكرة وقيل الحزن إذا فقد من القلب خرب ومن لم يذق طعم
الحزن لم يرزق لذة العبادة فإذا الحزن الذي لم يحرك العبد من نفسه إن لم يبعثه
على النهوض والانكماش والاجتهاد فذلك من علامات الاغترار وليس بمقام
للسالكين الأبرار ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته
**بل العارف من لا إشارة له لفنائه في وجوده وانطوائه
في شهوده** الإشارة ألطف من العبارة وهي كناية وتلويح
وإيماء لا تصريح وهي التي يستعملها أهل هذه الطريقة فيما بينهم عند ذكرهم
لأسرار التوحيد كما تقدم عند قوله من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا
لكل ما شهد فالمشير إلى الله تعالى الملاحظ لإشارته وإن وجد الله تعالى أقرب
إليه من إشارته غير عارف على التحقيق لأنه بوصف التفرقة بشهود في
الأغيار بل العارف الفاني في وجوده المنطوي في شهوده الذاهب عن الإشارة
والمشير والمشار به سئل الزقاق رضي الله عنه عن المريد فقال حقيقة المريد
أن يشير إلى الله عز وجل فيجد الله مع نفس الإشارة قيل له فالذي يستوعب حاله
قال هو أن يجد الله بإسقاط الإشارة وسئل أبو علي الروذباري رضي الله عنه
عن الإشارة فقال الإشارة الإبانة عما يتضمنه الوجد من المشار إليه لا غير وفي
الحقيقة أن الإشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة من عين الحقائق **وقال** الشبلي
رضي الله عنه كل إشارة أشار بها الخلق إلى الحق فهي مردودة عليهم حتى

يستبشروا الى الحق بالحق وليس لهم الى ذلك طريق وقال ابو يزيد رضي الله عنه ابعدهم
الى الله اكثرهم اشارة اليه **الرجاء ما قارنه عمل والا فهو امنية**
الرجاء مقام شريف من مقامات اليقين وهو يبعث على الاجتهاد في الاعمال
كما ذكرناه في الحزن لان من رجا شيئا طلبه ومن خاف من شيء هرب منه واما
الرجاء الكاذب فيفتر صاحبه عن العمل ويجريه على المعاصي والذنوب فليس هذا
برجاء عند العلماء ولكنها امنية واغترار بالله تعالى وقد ذم الله قوما ظنوا
ظنا حسنا واصروا على الدنيا والرضى بها وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم خلفا والخلف
الرديء من الناس فقال عز من قائل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض
هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا فقال معروف الكرخي رضي الله عنه طلب الجنة بلا عمل
ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع
جهل وحمق فقد قالوا من زعم ان الرجاء مع الاصرار صحيح فكذلك فليزعم ان طلب
الربح في الفقر وفرح النار من البحر صحيح **وفي** الحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم **قال** الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله **وقال** الحسن البصري رضي الله عنه ان قوما الهتهم اماني المغفرة
حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة يقول احدهم احسن الظن بربي كذب
لو احسن الظن بربه لاحسن العمل وتلى قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وكان يقول رضي الله عنه عباد الله اتقوا
هذه الاماني فانها اودية النوكى يحلون فيها والله ما اتى الله عبدا بامانيه
خيرا في الدنيا ولا في الاخرة وكتب ابو عميرة المنصوري الى بعض اخوانه اما بعد
فانك اصبحت تامل بطول عمرك وتتمنى على الله الاماني بسوء فعلك وانما
تضرب حديدا باردا **مطلب العارفين من الله الصدق في**
العبودية والقيام بحقوق الربوبية مطلب
العارفين من ربهم اعلى من مطالب غيرهم سواء كان عابدا او زاهدا
او عالما لان مطلب العارفين انما هو الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية
فقط من غير مراعاة حظ ولا ابقاء مع نفس وكل من عداهم لم يفارقوا الحظوظ
والاغراض في مطالبهم وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله خير ما تطلبه منه ما هو

طالبه

طالبه منك **قال** سيدي ابو مدين رضي الله عنه شتان بين من همته الحور والقصور
وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور **بسطك كي لا يبقيك مع القبض وقبضك**
كي لا يتركك مع البسط واخرجك عنهما كي لا تكون لشيء دونه
القبض والبسط من الحالات التي يتلون فيهما العارفون وهما بمنزلة الخوف والرجاء للمريدين
المبتدئين وسببهما الواردات التي ترد على باطن العبد وقوتهما وضعفهما بحسب قوة
الواردات وضعفها والمقصود هاهنا انهما وصفان ناقصان بالنسبة الى ما فوقهما
فانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده فمن لطف الله بعبده تلوينه فيهما ثم
اخراجه عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه بربه **قال** فارس رضي الله
عنه القبض اولا ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لان القبض والبسط يقعان في الوجود
واما مع الفناء والبقاء فلا **وكان** الجنيد رضي الله عنه يقول الخوف يقبضني
والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني اذا قبضني بالخوف افناني عني
واذا بسطني بالرجاء ردني علي واذا جمعني بالحقيقة احضرني واذا فرقني بالحق اشهدني
غيري فغطاني فهو في ذلك كله محركي غير ممسكني وموحشني غير مؤنسي بحضوري
لذوق طعم وجودي فليته افناني عني فمتعني او غيبني عني فروحني وقد تكلم صاحب
كتاب عوارف المعارف في القبض والبسط بكلام بديع طويل تركت نقله هاهنا
اختصارا فمن اراده فلينظره هناك **العارفون اذا بسطوا اخوف**
منهم اذا قبضوا ولا يقف على حدود الادب في البسط
الا قليل انما اشتد خوف العارفين في البسط ما لم يشتد في القبض من قبل
ملايمته لحظوظ انفسهم بخلاف القبض كما سيقوله المؤلف لان فيها بعض حظ
من رجوعهم اليهم وذلك فهم الطمع بنفوسهم وفي ذلك الطرد والبعد وقد كتب يوسف
بن الحسين الرازي الى الجنيد رضي الله عنهما لا اذاقك الله طعم نفسك فانك
ان ذقتها لا تذوق بعدها خيرا ابدا ومن ثم تتاكد عليهم في ذلك ملازمة الادب ودوام
الانقباض والانكسار وذلك امر عسير في هذا الحال ولذلك لا يقف على حدود البسط
في الادب الا قليل كما قال المؤلف رحمه الله وقد قيل قف على البساط واياك والانبساط
وقال رجل لابي محمد الجريري رضي الله عنه كنت على بساط الانس وفتح علي طريق البسط
فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل اليه دلني على الوصول الى ما كنت

عليه وبكى ابو محمد وقال يا اخي الكل في فقره اسخطه لكني انشدك ابياتا لبعضهم وانشأ
يقول:

قف بالديار فهذه آثارهم ... تبكي الأحبة حسرة وتشوقا

كم قد وقفت بربعها مستخبرا ... عن أهلها أو سائلا أو مشفقا

فأجابني داعي الهوى في رسمها ... فارقت من تهوى فعز الملتقى

وسئل بعض المشايخ بعضهم عن تلك الزلة فقال انبساط مع الحق بغير ادب
قال ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن هذا خشي الاكابر والسادات فان في
لطائف النعم البسط مزلة اقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة تجافيهم
والقبض اقرب الى وجود السلامة لانه وكر العبد اذ هو في اسر قبضة الله واحاطة
حيطة به ومن اين يكون للعبد البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم وقته
والقبض هو اللائق بهذه الدار اذ هي محل التكليف وابهام الخاتمة وعدم السابقة
والمطالبة بحقوق الله تعالى قال واخبرني بعض الصوفية قال رأيت شيخنا شيخه
في المنام بعد موته مقبوضا قال فقلت له يا سيدنا يا استاذ مالك مقبوضا فقال له
يا بني القبض والبسط مقامان من لم يوفهما في الدنيا وفاهما في الاخرة قال
وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حياته البسط انتهى البسط تأخذ
النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض لا حظ للنفس فيه
فهذا اشارة لما تقدم من أن مراعاة الادب في البسط امر عسير وذلك ان في البسط
وجود حظ النفس فيستولي عليها الفرح بذلك فلا تملك حتى تقع في سوء الادب
والقبض ليس فيه حظ للنفس فلذلك كان اسلم وكان الاستاذ ابو علي الدقاق رضي الله
عنه يقول القبض حق الحق منك والبسط حظ العبد منه ولان تكون بحقه منك اتم من
ان تكون بحظك منه واما آداب البسط والقبض فلا اعلم الآن من استوفى الكلام فيهما
من علماء الصوفية ومصنفيهم وانما وجدنا لهم من ذلك اشارات الى امور جملية كقول
الامام ابي القاسم القشيري رضي الله عنه بعد ان تكلم على لفظتي القبض والبسط وتبيين
معانيهما الى ان قال وقد يكون قبض يشكل على صاحبه يجد في قلبه قبضا لا يدري ما موجبه
وما سببه وسبيل صاحب هذا التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لانه لو تكلف نفيه
او استقبال الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد في قبضه ولعله يعتبر ذلك منه سوء
ادب واذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فان الحق سبحانه قال والله يقبض ويبسط

وقد

وقد يكون بسط يرد بغتة ويصادف صاحبه بلقية لا يعرف لها سببا يهز صاحبه ويستفزه
فسبيل صاحبه السكون ومراعاة الادب فان في هذا الوقت له خطر عظيم فليحذر صاحبه
مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح علي باب البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي انتهى كلام
الامام ابي القاسم وقد رايت كلاما مستوفى في ادب القبض والبسط لسيدي ابي الحسن الشاذلي
رضي الله عنه فاحببت ان اذكره هاهنا لتتم به الفائدة التي تعرض لها المؤلف رحمه الله تعالى
وان كان كلام الشيخ ابي الحسن في ذلك اعم مما هو عند غيره من ائمة الصوفية قال رحمه الله
القبض والبسط قل ما يخلو العبد منهما وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار والحق يقتضي
منك العبودية فيهما فمن كان وقته القبض فلا يخلو ان يعلم سببه او لا يعلم واسباب
القبض ثلاثة ذنب احدثته او دنيا ذهبت عنك او نقصت لك او ظالم يؤذيك في
نفسك او في عرضك او ينسبك لغير دين او غير ذلك فاذا ورد عليك القبض
من احد هذه الاسباب فالعبودية ان ترجع الى العلم مستعملا له كما امرك الله اما في
الذنب فبالتوبة والانابة وطلب الاقالة واما فيما ذهب عنك من الدنيا او نقص
فبالتسليم والرضى والاحتساب واما فيما يؤذيك به ظالم فبالصبر والاحتمال
واحذر ان تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك
فان فعلت ما التزمت به من الصبر والاحتمال اثابك سعة الصدر حتى تعفو
وتصفح وربما اثابك من نور الرضى ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب فيه
وما احسن ذلك اذا رحم الله بك من ظلمك فتلك درجات الصديقين الرحماء وتوكل
على الله ان الله يحب المتوكلين واما اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان
ليل ونهار فالقبض اشبه شيء بالليل والبسط اشبه شيء بالنهار فاذا ورد القبض بغير
سبب تعلمه فالواجب السكون والسكون عن ثلاثة اشياء عن الاقوال والحركات والارادات
فان فعلت فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع نهارك او يبدو نجم تهتدي به او قمر
تستضيء به او شمس تبصر بها والنجوم نجوم العلم والقمر قمر التوحيد والشمس شمس
المعرفة وان تحركت في ظلمة ليلك فقلما تسلم من الهلاك واعتبر بقوله تعالى ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فهذا حكم
العبودية في القبض جميعا واما من كان وقته البسط فلا يخلو ان يعلم له سببا او لا
يعلم له سببا فالاسباب ثلاثة زيادة الطاعة او نوال من المطاع كالعلم والمعرفة

والسبب الثاني زيادة من دنيا بكسب او كرامة او هبة او صلة والسبب الثالث المدح
والثناء من الناس واقبالهم عليك وطلب الدعاء منك وتقبيل يدك فاذا ورد عليك البسط
من اجل هذه الاسباب فالعبودية تقتضي ان ترى اثر النعمة والمنة من الله عليك واحذر
ان ترى شيئا من ذلك لنفسك وحكمها ان يلازمها الخوف خوف السلب مما به
انعم عليك فتكون موفيا في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى واما الزيادة من الدنيا
فهي نعمة ايضا كما الاول وخف مما يكون من آفاتها واما مدح الناس اليك وثناؤهم عليك
فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستر عليك وخف من الله تعالى ان يظهر دخلة مما بطن
فيمقتك اقرب الناس اليك واما البسط الذي لا تعلم له سببا فحق العبودية فيه ترك
السؤال والادلال والصولة على الناس من النساء والرجال اللهم الا ان تقول سلم سلم الى الممات
فهذه آداب القبض والبسط في العبودية جميعا ان عقلت والسلام انتهى ما ذكره
الشيخ ابو الحسن من كلامه في ذلك حسن والحمد لله الذي بيده سوابغ المنن

ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك

منع الله تعالى عبده من نيل شهواته ولذاته والكون مع سوء عاداته عطاء جزيل منه لانه
ابقاه معه واقطعه عن حظوظه واغراضه وحرره منها وعكس هذا هو
المنع على التحقيق وان كان عطاء في الظاهر **قال** الشيخ محيي الدين ابن العربي
اذا منعك فذلك عطاؤه واذا اعطاك فذلك منعه فاختر الترك على
الاخذ فالواجب على العبد ان يترك التدبير والاختيار لمن بيده ذلك فلن يعدم
منه خيرا **متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطاء** سيأتي
بيان من كلام المؤلف في قوله متى اعطاك اشهدك بره ومتى منعك اشهدك
قهره الى آخره **الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر
الى غرة ظاهرها والقلب ينظر الى باطن عبرتها**

الاكوان هاهنا
كلها كل ما يمكن ان يكون للنفس فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها وهي رائقة الظاهر قبيحة
الباطن كما قيل على وجه مي مسحة من ملاحة وتحت الثياب العار لو كان باديا
فهي من حيث ظاهرها حلوة خضرة وبالنظر الى باطنها جيفة قذرة فالنفس
تنظر الى زينتها الظاهرة فتغتر بها فتهلك صاحبها والقلب ينظر الى مقابحها
الباطنة فيعتبر بها فيسلم من شرها **وقد** روي في الكتب السالفة ان الحواريين قالوا

لعيسى

لعيسى عليه السلام يا روح الله صف لنا اولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون فقال عليه السلام هم الذين نطق بهم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا
نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها والى آجل الدنيا حين نظر الناس الى
عاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا ان سيتركهم فصار
تركهم فيها فوتا وفرحهم بها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما اشرف لهم بغير الحق
وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت
في صدورهم فلم يحيوها يهدمونها ويبنون بها آخرتهم احيوا ذكر الموت واماتوا ذكر
الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به لهم الخبر العجيب
وعندهم الخبر العجيب وكان بعض العلماء يقول ما سمع لي زينة من زخرف الدنيا الا كشف
لي باطنها فظهر لي عزوفا عنها **قال** ابو طالب المكي رضي الله عنه فهذه عناية
من الله تعالى لمن وليه من اوليائه المقربين منه فمن شهد الدنيا باول وصفها لم يغتر
بآخره ومن عرف باطن حقيقتها لم يعجبه ظاهرها ومن كوشف بعاقبتها
لم يستهوه زخرف بهائها **وكان** عيسى صلى الله عليه وسلم يقول ويلكم علماء السوء
مثلكم مثل قناة حسن ظاهرها جيف باطنها نتن **ان اردت ان يكون لك عز لا يفنى
فلا تستعزن بعز يفنى** العز الذي لا يفنى هو الغنا عن الاسباب كلها بوجود
مسببها لانه باق لا يفنى والعز الذي يفنى هو الغنى بالاسباب مع الغيبة عن
مسببها لانها فانية فالتعلق بها عز فان لا يبقى وليس لك الا احدهما لانهما
ضدان لا يجتمعان فان اخترت العز الباقي بالله تعالى لم يقدر احد ان يذلك **حكي**
ان رجلا امر بالمعروف لهارون الرشيد فحرد عليه هارون وكانت له بغلة سيئة الخلق
فقال اربطوه معها حتى تقتله برمحها ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه
في بيت وطينوا عليه الباب ففعلوا ذلك فرئي في بستان وباب البيت مسدود
فاخبر هارون بذلك فاتي بالرجل فقال له من اخرجك من البيت قال الذي ادخلني
البستان فقال ومن ادخلك البستان فقال الذي اخرجني من البيت فقال
اركبوه دابة وطوفوا به في البلد وليقل قائل الا ان هارون الرشيد اراد ان يذل عبدا اعزه
الله فلم يقدر وان اخترت العز بالاسباب خذلتك واسلمتك احوج ما تكون
اليها وكنت في غاية الذل والهوان **حكي** عن بعضهم انه قال رأيت رجلا في الطواف

ويبرئ به شاكريه بغرور الناس فبعد ذلك بمدة رأيت انسانا يتكفف الناس على الجسر
ويسأل شيئا قال فكنت انظر اليه وشبهته بذلك الرجل فقال ايش تنظر فقلت اشبهك
برجل رأيته في الطواف من شأنه كذا وكذا فقال انا ذلك تكبرت في موضع يتواضع
فيه الناس فوضعني في موضع يترفع فيه الناس قال في التنوير فان اعتززت بالله
دام عزك وان اعتززت بغيره فلا بقاء لعزك لمن انت به معتز قال وانشد بعض الفضلاء لنفسه
ليكن بربك عزك :: ليستقر ويثبتا :: فان اعتززت بمن يموت فان عزك ميت ::

قال ودخل انسان على بعض العارفين وهو يبكي فقال ما شأنك فقال مات استاذي
فقال له ذلك العارف ولم جعلت استاذك من يموت ويقال لك اذا اعتززت بغير
الله تعالى فبغفرته او استندت الى غيره فبحرمته وانظر الى الهك الذي ظلت عليه
عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع
كل شيء علما **الطي الحقيقي ان تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى
الآخرة اقرب اليك منك** طي مسافة الدنيا انما يتصور من العبد اذا
اشرق نور اليقين في قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا في نظره وتنطوي في اعتباره ويرى
الآخرة حاضرة موجودة عنده بل يراها اقرب اليه منه اذ ذاته فانية منطوية
بهذا الاعتبار فمن كانت هذه مشاهدته لا يتصور منه حب الغائب الفاني وهو
الدنيا واستبداله بالحاضر الباقي وهو الآخرة ولذلك كان اصل الرغبة في الدنيا وايثارها
على الآخرة ضعف اليقين فمن لم يشرق في قلبه نور اليقين لم يشاهد الملك الكبير ومن لم
يشاهده احب الدنيا وهي لا شيء فلم تكن قيمته عند الله تعالى شيئا فهذا هو الطي
الحقيقي لمسافة الدنيا الذي يكرم الحق تعالى بها اولياءه وبه يتحقق عبوديتهم
لربه عز وجل لا طي مسافة الارض الذي ربما يكون استدراجا ومكرا ولا طي
الليالي والأيام بالوصال للصيام وترك الشراب والطعام اذ لم يتحقق طاعة وبرا
وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله لو اشرق نور اليقين لرأيت الآخرة اقرب من ان ترحل
اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها

العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله احسان

عطية المخلوق حرمان على التحقيق لما فيه من رؤيتك لغير الله ووقوفك مع
حظوظك وشهواتك ومنع الله لك احسانه لانه الزمك الوقوف ببابه وعاملك

موجود

موجود حجابه وان شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك
لهم على ذلك وتقلد منتهم في اخذ عطيتهم والمنع من الله احسان لانه حبيبك
وكل ما يفعل المحبوب محبوب ولله در من قال فلا البس النعماء وغيرك ملبسي
ولا اقبل الدنيا وغيرك واهبها وفي وصية علي رضي الله عنه لا تجعل بينك وبين
الله منعما :: واعدد نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكماء احمل
المنة اثقل من الصبر على العدم وقال اخر عز النزاهة اشرف من سرور الفائدة
وقال رضي الله عنه **جل ربنا ان يعامله العبد نقدا فيجازيه
نسيئة** جزاء العاملة لا يختص بالدار الآخرة بل ربما اظهر الحق تعالى
منه لاوليائه في الدنيا انموذجا يحملهم على الاجتهاد في الاعمال ويتحققون به
وجود قبولها في كل الاحوال وذلك لعظم كرمه وعميم فضله سبحانه جل وعلا
كفى من جزائه اياك على الطاعة ان رضيك لها اهلا
هذا بيان جزائهم المعجل وهو انه عرفهم من عظمته وجلاله وكبريائه ما استحقروا
معه انفسهم ان يكونوا اهلا لان يكلفهم القيام بطاعته ويمدهم فيها بتيسيره
ومعونته فسبا لهم حينئذ حبه واستولى عليهم قربه فانخنست اذ ذاك
نفوسهم واضمحل وجودهم وذهب بهم الحياء كل مذهب وهذا هو غاية الجزاء
ونهاية العطاء عند العلماء العارفين الذي يمنعهم وجدانه عن التطلع الى غيره
من الحظوظ الجلية **كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على
قلوبهم في طاعته وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته**
هذا بيان اخر لما يكرمهم به من الجزاء المعجل وهو ان العاملين لربهم يفتح
عليهم المعارف ويورد على قلوبهم من انواع اللطائف ما يتنسمون منه روح
الانس ويتنعمون به في حضرة القدس وهذا من علامات وجود الرضوان الاكبر الذي
يتلاشى دونه كل جزاء ويستحقر كان بعضهم يقول التملق للحبيب والمناجاة
للقريب في الدنيا ليس من الدنيا وهو من الجنة اظهر لاهل الله تعالى في الدنيا لا يعرفه
الا هم ولا يجده سواهم روحا لقلوبهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت
يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة
وقال احمد بن ابي الحواري رضي الله عنه دخلت على ابي سليمان الداراني رضي الله عنه

يوما وهو يبكي فقلت له وما يبكيك فقال يا اخي ولم لا ابكي انه اذا اجن الليل ونامت
العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش اهل المحبة اقدامهم وجرت دموعهم على
خدودهم وتقطرت في محاريبهم اشرف الجليل سبحانه فنادى يا جبريل بعيني من تلذذ
بكلامي واستراح الى ذكري واني لمطلع عليهم في خلواتهم اسمع انينهم وارى
بكاءهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل ما هذا البكاء هل رايتم حبيبا يعذب احبابه
ام كيف يجمل بي ان اخذ قوما اذا جن الليل تملقوا بي بي حلفت اذا وردوا علي
يوم القيامة لاكشفن لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا الي وانظر اليهم
من عبده لشيء يرجوه منه او ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه
فهو قائم بحظوظ نفسه عمل العاملين لاجل الجزاء او فرارا من عقوبة المولى من خول
معلول ليس من شان العارفين والمحققين ان قيام العبد بحقوق مولاه يقتضي
ان لا يعمل لاجل حظه من جلب ثواب او دفع عقاب لانه عبد يستحق عليه مولاه
كل شيء ولا يستحق عليه هو شيئا وهذا من اعلام المحبة لله تعالى لان المحب
مجتمع الهم بامر محبوبه لا مراد له الا ما اراد فعلى العبد ان يعمل لربه عز وجل
لاجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محاسن صفاته التي لا يشاركه فيها احد فان
خالف هذا وعمل على طلب حظه لم يقم بحق صفات مولاه وكان ذلك نتيجة
جهله وغفلته وعدم حبه لربه ومعرفته قال سهل بن عبد الله التستري رضي
الله عنه ما طلعت الشمس ولا غربت على وجه الارض على احد الا وهم جهال
بالله تعالى الا من يوثر الله على نفسه وروحه ودنياه واخرته وفي
اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه ان اود الاوداء الي من عبدني
لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفيما نقل وهب بن منبه من الزبور ومن
اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع وكما قال
عز وجل وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت الفتى مشغوفا في طلب
الرب فقد الهاه ذلك عما سواه وقد مر عيسى عليه السلام على طائفة من
العباد قد احترقوا من العبادة كانهم الشنان البالية فقال ما انتم قالوا نحن
عباد قال لاي شيء تعبدتم قالوا اشوقنا الله الى الجنان وما اعد فيها لاوليائه
فنحن نرجوها فقال حق على الله ان يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم ومر باخرين يتعبدون

فقال

فقال ما انتم قالوا نحن المحبون لله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا طمعا في جنته
ولكن حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم امرت ان اقيم فاقام
بين اظهركم وفي لفظ اخر انه قال للاولين مخلوقا خفتم ومخلوقا احببتم وقال
للاخرين انتم المقربون قال الشيخ ابو طالب المكي رحمه الله تعالى وبما روي
عنه هذا القول واقيم في هذا المقام جماعة من التابعين باحسان منهم ابو حازم
المدني كان يقول اني لاستحيي ان اعبده لاجل الثواب فاكون كالاجير السوء
ان لم يعط اجر عمله لم يعمل ولكنه اعبده محبة له قال الشيخ ابو طالب وقد روينا
معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن احدكم كالعبد
السوء ان خاف عمل ولا كالاجير ان لم يعط اجرته لم يعمل وقال بعض اخوان
معروف الكرخي رضي الله عنه اخبرني عنك يا ابا محفوظ اي شيء اهاجك على العبادة
والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكر الموت فقال واي شيء الموت فقلت ذكر
القبر فقال واي شيء القبر فقلت خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا
هذا كله بيده ان احببته انساك جميع هذا وان كان بينك وبينه معرفة
كفاك جميع هذا قال ابو طالب وحدثونا عن علي بن الموفق قال رايت في النوم
كاني ادخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله
يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما على باب الجنة
يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضهم ويرد اخرين قال ثم جاوزتهما الى حظيرة
القدس فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف
فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا
شوقا الى جنته بل حبا له فاباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر
ان الاخرين بشر بن الحارث واحمد بن حنبل رضي الله عن جميعهم وقال ابو طالب ورويناه
عن رابعة العدوية وكانت اخرى الحسنيين وكان الثوري يجلس بين يديها فيقول
لها علمينا مما افادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول له نعم الرجل انت
لولا انك تحب الدنيا وكان يتعرض لها ويسمع قولها وكان عالما زاهدا الا
انه كان يوتى كتب الحديث والاقبال على الناس وهي ابواب الدنيا وقالت لها
الثوري يوما لكل عبد شريطة ولكل ايمان حقيقة فما حقيقة ايمانك

فقالت ما عبدت الله خوفا من النار فأكون كالعبد السوء إن خاف عمل ولا شوقا
إلى الجنة فأكون كالأجير السوء إن أعطي عمل ولكن عبدته حبا له وشوقا إليه
والنار والحكاية في هذا المعنى كثيرة لا تنحصر فإذا عمل المريد على ما ذكرناه
كان عبد الله حقا فإن طلب منه الثواب أو استعاذ منه العقاب فإنما يطلبه
أو يستعيذ به انتجاز الموعود به وبراءة من دعوى رؤية عمل حظه واتباعا
لما أحبه منه وأذن له فيه من طلبه أفضاله وإحسانه وكرمه واستنانه وهذا
وما أشبهه هو المعنى بالحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول في الصلاة قال أتشهد ثم أقول اللهم
إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ
فقال حولهما ندندن فلا أن يكون رجاؤه لحصول ذلك وخوفه هو مذهب العارفين
من فقره بإعانته على القيام بطاعته وملازمة عبادته فيكون عمله إذ ذاك
من حول لا معلولا هذا هو مذهب العارفين والمحققين وعليه تنبني قواعد التصوف
كلها متى أعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره
فهو في كل ذلك متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه
عليك المطلوب من العباد أن يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية
والأسماء الحسنى ولا سبيل لهم إلى معرفته إلا بتعرفه لهم وتعرفه لهم إنما
يكون بما ينزل بهم من النوازل وبورده عليهم من الأحكام ثم هي على قسمين ما وافق
الغرض والطبع ويسمى ذلك عطاء وما خالفهما ويسمى منعا فبوجود العطاء
يشهد صفاته البرية من الجود والكرم والإحسان واللطف والعطف وغير ذلك وبوجود
المنع يشهد صفاته القهرية من العزة والكبرياء والأنفة والاستغناء فينبغي
لك أيها العبد أن لا تفرق بينهما إن أردت معرفة ربك ولم يستنزلك حظ حظك
إذا منعك لك عطاء على التحقيق فهو في كلتا الحالتين منعم عليك ومقبل بوجود
لطفه إليك وهذا بيان ما تقدم ومن قوله متى فتح لك باب الفهم في المنع
عاد المنع هو عين العطاء والله أعلم قال سفيان الثوري رضي الله عنه أتيت
أبا حبيب البدوي فسلم عليه ولم أكن رأيته فقال لي أنت سفيان الثوري الذي
يقال قال فقلت نعم نسأل الله عز وجل بركتنا ما يقال فقال لي يا سفيان

ما رأينا

ما رأينا خيرا قط إلا من ربنا قلت أجل فقال فما لنا نكره لقاء من لم نر خيرا قط إلا منه
ثم قال يا سفيان منع الله إياك عطاء منه لك وذلك أنه لم يمنعك من بخل ولا عدم وإنما
منعه نظر منه واختيار يا سفيان إن فيك لأنسا ومعك شغل قال ثم أقبل على غنيمته
وتركني إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله تعالى فيه إذا كان
منع الله تعالى وعطاؤه لا يختلف عطيتين كما ذكرناه الآن فينبغي أن يكون في كلتيهما
فرحة عبد المريد فإن تألم في المنع ولذ في العطاء فذلك لعدم فهمه وقصور علمه بل الأ
كمل والأفضل له أن يتألم بالعطاء ويلذ بالمنع كما قال إبراهيم الخواص رضي الله
عنه لا يصلح الفقر للفقير حتى تكون فيه خصلتان أحدهما الثقة بالله
والأخرى الشكر لله فيما زوى عنه مما ابتلى به غيره من الدنيا ولا يكمل
الفقير حتى يكون نظر الله له في المنع أفضل من نظره له في العطاء وعلامة صدقه
في ذلك أن يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطاء لا يعرف هذا غير قاربه الذي خصه
معرفته وأياديه فهو لا يرى سوى مليكه ولا يملك إلا ما كان من تمليكه
وكل شيء له تابع وكل شيء له خاضع انتهى ربما فتح لك باب الطاعة
وما فتح لك باب القبول وقضى عليك بالذنب فكان سببا
في الوصول ينبغي أن لا ينظر العبد إلى صور الأشياء ولينظر إلى حقائقها
فصور الطاعات لا تقتضي وجود القبول لها لما قد تتضمنه من الآفات القادحة
في الإخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول لها ووجود صورة الذنب لا تقتضي
الإبعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سببا في وصوله إلى ربه وحصوله في حضرة
قربه كما قيل رب ذنب أدخل صاحبه الجنة وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده
لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم
وذلك أنه يحجبه عن عمله بالطاعة أن يعجب بها ويعتمد عليها ويتكبر
بفعلها ويستصغر من لم يفعلها ويستحيه عند وقوعه في الذنب اللجأ
إلى الله تعالى فيه والاعتذار إليه منه واستصغار نفسه وتعظيم من لم يفعله
قال أبو حازم رضي الله عنه إن العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها
وما خلق الله له من سيئة أضر له منها وإن العبد ليعمل السيئة تسوءه حين

يعملها وما خلق الله من حسنة أنفع له منها وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة تسره
فيتضعضع فيها أو يرى له فضلا على غيره فيها ولعل الله أن يحبطها ويحبط معها عملا
كثيرا وأن العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها ولعل الله أن يحدث له بها وجلا حتى
يلقى الله وإن خوفها في جوفه لباق ثم بين المؤلف رحمه الله هذا المعنى بقوله ٥
مَعْصِيَةٌ أَوْرَثَتْ ذُلًّا وَافْتِقَارًا خَيْرٌ مِنْ طَاعَةٍ أَوْرَثَتْ عِزًّا وَاسْتِكْبَارًا
الذل والافتقار من أوصاف العبودية والعز والاستكبار منافيان لهما لأنهما
من صفات الربوبية ولا خير في الطاعات إذا لزم عنها شيء مما ينافي صفات العبودية
لأنها تحبطها وتبطلها كما الأمر لأن بالمعصية إذا لازمتها صفات العبودية لأنها
أيضا تمحوها وتزيلها قال سيدي أبو مدين رضي الله عنه انكسار العاصي
خير من صولة المطيع وكان سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه كثير الرجاء لعباد
الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة وكان يكرم الناس على نحو رتبتهم عند الله
تعالى حتى أنه ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما دخل عليه عاص فأكرمه
لأن ذلك الطائع أتى وهو متكبر لعمله ناظر لفعله وذلك العاصي دخل عليه
بكسرة معاصيه وذلة مخالفته وقد تقدم مثل هذا عند قوله لا يعظم الذنب عندك
عظمة تصدك عن حسن الظن بالله ومن هذا المعنى ما روي عن أبان بن أبي عياش أنه
قال خرجت يوما عند أنس بن مالك رضي الله عنه بالبصرة فرأيت جنازة يحملها
أربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل آخر فقلت سبحان الله سوق البصرة وجنازة
مسلم لا يشيعها فلأكونن خامسهم فمضيت معهم فلما وضعوها بالمصلى قالوا تقدم
فصل فقلت أنتم أولى به فقالوا كلنا سواء فتقدمت فصليت عليه وقلت لهم ما القصة فقالوا
اكترتنا تلك المرأة قال فقعدت فدفنوه قال فلما كان بعد ساعة انصرفت تلك
المرأة وهي تضحك فدخل في قلبي شيء فقلت لا ينجيك إلا الصدق أخبريني
أيش القصة فقالت لي إن هذا ابني ما ترك شيئا من المعاصي إلا فعله فمرض منذ
ثلاثة أيام فقال لي يا أماه إذا مت فلا تخبري بموتي أحدا من جيراني فإنهم لا يحضرون
جنازتي ويشمتون بموتي واكتبي على خاتمي هذا لا إله إلا الله محمد رسول الله
واجعليه على كفني فلعل الله تعالى يرحمني وضعي رجلك على خدي وقولي هذا
جزاء من عصى الله فإذا دفنتني فارفعي يديك إلى الله تعالى وقولي إني رضيت عنه

فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما أوصى به فلما رفعت يدي إلى السماء سمعت صوته
بلسان فصيح يقول انصرفي يا أماه فقد قدمت على رب كريم رحيم غير غضبان
علي وإنما ضحكت من هذا ومن المعنى الآخر ما روي أن رجلا من بني إسرائيل أتى
عابدا من بني إسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له العابد ارفع
فوالله لا يغفر الله لك فأوحى الله عز وجل إليه أيها المتألي علي بل أنت لا يغفر الله لك
قال الحارث المحاسبي رضي الله عنه أنه إنما تألى على الله عز وجل لعظم
قدر نفسه عنده فإن الإساءة إليه عند الله عز وجل عظيمة لا يغفرها الله تعالى
لعبادته وسجوده لأنه عند نفسه عظيم القدر عند الله عز وجل فجمع عجبا
وكبرا واغترارا بالله عز وجل ومن المغترين جميعا ما روي أن عيسى عليه السلام
خرج ومعه صالح من صالحي بني إسرائيل فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق
فيهم فقعد منتبذا عنهما منكسرا فدعا الله سبحانه وقال اللهم اغفر لي
ودعا هذا الصالح وقال اللهم لا تجمع بيني وبين هذا العاصي فأوحى الله تعالى
إلى عيسى إني قد استجبت دعاءهما جميعا رددت ذلك الصالح وغفرت لذلك
المجرم وروى عن الشعبي وروي أيضا عن [illegible] أن رجلا كان في بني إسرائيل
كان يقال له خليع بني إسرائيل لكثرة فساده فمر برجل من بني إسرائيل يقال
له عابد بني إسرائيل وعلى رأس العابد غمامة تظله فقال الخليع في نفسه أنا خليع
بني إسرائيل وهذا عابد بني إسرائيل فلو جلست لعل الله أن يرحمني به فجلس إليه
فقال العابد في نفسه أنا عابد بني إسرائيل وهذا خليع بني إسرائيل يجلس إلي
فأنف منه وقال قم عني فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل
فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة على رأس
الخليع قال الحارث المحاسبي وإنما أراد الله عز وجل فرقا منه فهو أطوع لله
عز وجل من العابد والعالم به نِعْمَتَانِ مَا خَرَجَ مَوْجُودٌ عَنْهُمَا وَلَا بُدَّ لِكُلِّ
مُكَوَّنٍ مِنْهُمَا نِعْمَةُ الْإِيجَادِ وَنِعْمَةُ الْإِمْدَادِ نعمة الإيجاد
ونعمة الإمداد نعمتان لازمتان لكل مكون موجود أولا لأنه في ذاته معدوم
متلاش فنعمة الإيجاد إزالة العدم السابق ولولا ذلك لم يزل معدوما ونعمة
الإمداد إزالة العدم اللاحق ولولا ذلك لتلاشى وفني قال سيدي أبو مدين

رضي الله عنه الحق تعالى مستمر والوجود مستمد والمادة من عين الوجود
فلو انقطعت المادة انهدّ الوجود وهذا توطية لما يريد بيانه من الفقر الذاتي للعبد
أنعم عليك أولا بالإيجاد وثانيا بتوالي الإمداد قلت هذا آخر جزء بيانات
الكلية المتقدمة وهو وجودك ومما ينبغي أن لا يتغافل عنه من أنواع هذا
الجنسين نعمة إيجاد الإيمان ومحبة الطاعة في قلبك وإمدادها وكذلك كراهية
الكفر والمعصية فإن ذلك من النعم العظيمة التي لا مدخل للعبد فيها ولا له وسيلة
إليها ولولا تولي الله تعالى له بتلك النعمتين في القسمين لتاه في ظلمات الضلال
ولغرق في بحار الجهالات وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى في كتابه الكريم فقال عز
من قائل ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر
والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ثم قال فضلا من الله ونعمة **قال**
الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه وإن من أفكر في صنوف الضلال
وكثرة الآراء في طرق الحال وشرة أغاليط الناس في البدع والأهواء وما تشعب
بكل قوم من مختلف النحل والآراء ثم أفكر في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره
في الأمور وشرة جهله وتناقض تدبيره في أحواله وشرة حاجته إلى الاستعانة
بأشكاله في أعماله ثم رأى حاله في يقينه وقوة استبصاره في دينه ونقاء وجد
توحيده عن غبرة الشرك وصفاء عقده بأنه عز وجل عن شبه الشك علم أن ذلك ليس
من كافته ولا بجهده وكده ووسعه وجده بل بفضل ربه وسابغ طوله **قال** الله
تعالى ذكره وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فهو الظاهر بإنعامه وإتيان
نعمه عليك متظاهرة والباطن بالأيه وزوائد كرمه لديك متواترة انتهى
وعلى العبد أن يعرف قدر هذه النعمة ويتوكل على مولاه في حفظها وبقائها
عليه ولا يعتمد في ذلك على عقله وعمله **قال** بعض العارفين من نظر
في توحيده إلى عقله لم ينجه توحيده من النار وعن أبي النور المصري رضي الله
عنه ما هو قريب من هذا من كان في توحيده ناظرا إلى نفسه لم ينجه توحيده
من النار حتى يكون نظره إليه في توحيده إياه عز وجل فهذا من شكر هذه النعمة
العظيمة **قال** الشيخ أبو طالب المكي بعد أن ذكر ما روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قوله أحبوا الله تعالى لما أسدى إليكم من نعمه ولما يغذيكم به أيضا
من أفضل

من أفضل ما غذانا به نعمة الإيمان به والمعرفة له وغذاؤه لنا منه دوام ذلك ومزيده
بروح منه وتثبيتنا عليه في تصريف الأحوال إذ هو أصل الأعمال التي هي مكان التوالي فقلب
قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا في الذنوب فلو أقلب قلوبنا في الشك والضلال كما
يقلب نياتنا في الأعمال لعرضه لكنا نظهر ونرجو فهذا من كبائر النعم ومعرفته هو شكر نعمة
الإيمان توجب العقوبة وادعاء الإيمان أنه عن كسب معقول واستطاعة بقوة وحول هو
كفر نعمة الإيمان وأخاف على من يتوهم ذلك أن يسلب الإيمان لأنه بدل شكر نعمة الله كفرا النعمة
بكفر انتهى كلام الشيخ أبو طالب رضي الله عنه وهو حسن في هذا المعنى فافتقد لك ذاتيه
وورود الأسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها والفاقة الذاتية
لا ترفعها العوارض إذا ثبت أن نعمتي الإيجاد والإمداد لازمتان لك وأنك في ذاتك عدم
لولاهما فالفاقة إذًا ذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك وإن كنت غنيا بوجود
النعمتين المذكورتين فإن ذلك أمر عرضي والأمور الذاتية لا تزيلها الأمور العرضية
وإنما أورد عليك الأسباب التي تضاد وجودك وتنافي وجودك لتذكرك بذلك ما خفي
عليك من وجود الفاقة الذاتية لك والاضطرار اللازم لوجودك لتلازم حدك
وتقوم بحق عبوديتك ولا تجاوز حدك وطورك **قال** بعضهم إنما جعل فرعون
أن قال أنا ربكم الأعلى طول العافية والغنى لبث أربعمائة سنة لم يتصدع رأسه
ولم يحم جسمه ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته الشقيقة ساعة واحدة
أو المليلة كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية **قال** في لطائف المنن الاضطرار
تعطيه حقيقة العبد إذ هو ممكن وكل ممكن مضطر إلى ممد يمده وكان الحق
سبحانه هو الغني أبدا فالعبد مضطر إليه أبدا ولا يزال العبد هذا الاضطرار
لا في الدنيا ولا في الآخرة ولو دخل الجنة فهو محتاج إلى الله فيها غير أنه
غمر اضطراره في المنة التي أفرغها عليه فلا يشهدها وهذا هو حكم الحقائق
إذ لا يختلف حكمها لا في الغيب ولا في الشهادة ولا في الدنيا ولا في الآخرة
فالعلم صفته الكشف أي علم كان وفي أي وقت كان والإرادة صفتها التخصيص
أي إرادة كانت وفي أي وقت كانت ومن تسعها أنوارك لم يتوقف اضطراره وقد
عتب الله أقواما اضطروا إليه عند وجود أسباب ألجأتهم إلى الاضطرار فلما زالت
زال اضطرارهم **قال** الله سبحانه وإذا مسكم الضر في البحر الآية وقال وإذا مس

الانسان الضرورة عادة الجبلة الالهية وقال من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
الاية الى غير ذلك من الايات الواردة في هذا المعنى ولما لم تصل عقول العموم
الى ما تقتضيه حقائق وجوداتهم سلط عليهم الاسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا
قهر ربوبيته وعظمة الهيته انتهى **خير اوقاتك وقت تشهد فيه وجود**
فاقتك وترد فيه الى وجود ذلتك انما كان هذا خير الاوقات
لان الوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاع نظرك عن الوسائط والاسباب
الموجبة لبعدك وحجبك فهي لا محالة خير اوقاتك وهي مواسمك واعيادك
حسبما يقوله المؤلف رحمه الله بعد هذا يحكى عن عطاء السلمي رضي الله عنه
انه بقي سبعة ايام لم يذق شيئا من الطعام ولم يقدر على شيء فسر قلبه بذلك غاية
السرور فقال يا رب ان لم تطعمني ثلاثة ايام اخر لاصلين لك الف ركعة وقيل ان فتحا
الموصلي رضي الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا حطبا
فاخذ يحمد الله ويتضرع اليه ويقول الهي لاي سبب وباي وسيلة واستحقاق عاملتني
بما تعامل به اولياءك وقال بشر بن الحارث الحافي رضي الله عنه بلغني ان بنت الفتح
الموصلي رضي الله عنه عريت فقيل له الا تطلب من يكسوها فقال لا حتى يرى الله تعالى
عريها وصبري عليها قال وكان اذا كان ليالي الشتاء جمع عياله ومد بكسائه عليهم ثم قال
اللهم افقرتني وافقرت عيالي وجوعتني وجوعت عيالي واعريتني واعريت عيالي
باي وسيلة توسلت اليك وانما تفعل هذا باوليائك واحبابك فهل انا منهم حتى
وقيل ان الفضيل بن عياض رضي الله عنه بكى في ليلة فرحة ثم قال الهي اجعتني
واجعت عيالي واعريتني واعريت عيالي وافقرتني وافقرت عيالي في بيت ليس به مصباح
وانما تفعل هذا باوليائك واهل طاعتك الهي فباي عمل استوجبت هذا منك حتى ادوم
لك عليه وقيل للربيع بن خثيم رضي الله عنه قد غلا السعر فقال نحن اهون على
الله من ان يجيعنا انما يجيع اولياءه **متى اوحشك من خلقه فاعلم انه يريد**
ان يفتح لك باب الانس فتح الانس بالله تعالى هو [illegible]
ولذلك قيل الاستيناس بالناس من علامات الافلاس فاذا فتح لك هذا الباب استوحشت
من الاغيار كلها وتعلقت في انسك بربك ومعنى الوحشة منها ان تشمئز منها
بقلبك وتنقبض عنها بسرك ولا يكون للاشياء وقع عندك ولا تجد فيها مقنعا

لك

لك كما جاء عن ابي يزيد رضي الله عنه حين اطلع على انواع من العجائب ووجه بسني
الرغائب وكشف له عن الملكوت الاعلى وقيل له هذا لك فخذ منها شيئا فقال اريد شيئا
استحسنه فقيل له انت عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف كان ذلك له
علامة على تحققه بمقام الانس ونزوله في حضرة القدس وسياتي هذا المعنى في قوله
في مناجاته الهي انت المونس لهم حيث اوحشتهم العوالم **متى اطلق لسانك**
بالطلب فاعلم انه يريد ان يعطيك اطلاق اللسان بالطلب هو ان تحل عنه
عقدة الصمت الذي اوجبه الاستغناء بالاغيار وعدم روية الفاقة والافتقار فاذا
حل عنه هذه العقدة بشهود فقره وفاقته وانطلق لسانه بالطلب كان ذلك
داعيا بلسان الاضطرار وكان مجاب الدعوة لصدق الوعد باجابة دعوة المضطر
والله لا يخلف الميعاد وانشدوا

لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه ... من فيض جودك ما علمتني الطلبا

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اذن له في الدعاء منكم فتحت له ابواب الرحمة وما يسئل الله شيئا فيعطى
احب اليه من ان يسئل العفو والعافية في الدنيا والاخرة وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطي الدعاء لم يحرم الاجابة قال الشيخ ابو بكر
الخفاف رضي الله عنه وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح
له الدعاء لما عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا احب الله عبدا صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعا
قالت الملائكة صوت معروف وقال جبريل يا رب عبدك فلان اقض حاجته
فيقول دعوا عبدي فاني احب ان اسمع صوته فاذا قال يا رب قال الله لبيك
عبدي وسعديك لا تدعوني بشيء الا استجبت لك ولا تسالني شيئا الا اعطيته
لك اما ان اعجل لك ما سالت واما ان ادخر لك عندي افضل منه واما ان ادفع
به عنك من البلاء ما هو اعظم من ذلك **العارف لا يزول اضطراره ولا يكون**
مع غير الله قراره معرفة العارفين هي معرفتهم بانفسهم وبما هم عليه
من الفاقة والافتقار الى العزيز الجبار وبقدر ما يتحققون بذلك في انفسهم
تكون معرفتهم بالله عز وجل كما جاء في الخبر من عرف نفسه عرف ربه فلذلك

كان العارف لا يفارقه الاضطرار وقال شيخي ابو العباس المرسي رضي الله عنه في قوله
تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه الولي ابدا مضطر قال ابن عطاء رحمه الله في معنى
كلام شيخه ان العامة اضطرارهم بتغير الاسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة
دايرة الحس على مشهدهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا ان اضطرارهم
الى الله تعالى دائم وانما لم يكن له مع غير الله قرار لوجود وحشته من الاشياء ونفوره بقلبه
عنها كما تقدم وكانه رحمه الله قصد بهذا ان يعلمك ان ما تقدم له من الايحاش من الخلق
والانطلاق للفرار بالطلب من الحق تعالى من نعوت العارفين انوار الظواهر بانوار
الآثار وانوار السرائر بانوار اوصافه لاجل ذلك **افلت انوار الظواهر**
ولم تافل انوار القلوب والسرائر ولذلك قيل

ان شمس النهار تغرب بالليل ... وشمس القلوب ليست تغيب

انوار الظواهر
التي بها انارها الحق تعالى هي الادراكات والاحساسات والحركات التي تصف
بها ظواهر العبد وانوار السرائر التي بها انارها الحق تعالى المعارف والعلوم واللطائف
الادراكات والفهوم التي اشهد عليها باطنه وسره فانوار الظواهر متعلقة بانوار
الآثار الحادثات وانوارها معانيها المستكنة فيها ولطائفها وانوار السرائر متعلقة
بانوار الصفات الازليات ولاجل اختلاف المتعلقين في الحدوث والقدم والفناء والبقاء كان
ما ذكره المؤلف رحمه الله من افول انوار ما تعلق بالحادث الفاني وعدم افول انوار
ما تعلق بالقديم الباقي ثم انشد المؤلف البيت المذكور مستشهدا به على ما ذكره
ومعناه بين وقلبه قد طلعت شمس من احب بليل واستنارة فما لها من غروب
وفي هذا تنبيه على ان الامور الباقية هي التي ينبغي ان يغتبط بها ويفرح بحصولها
ويعتني بترتيبها ومراعاة حالها بخلاف الامور الفانية الزائلة وحقيق بكون
العبد على ملة ابراهيم عليه السلام حيث قال لا احب الافلين ويروى ان رجلا سال سهل
بن عبد الله التستري رضي الله عنه عن القوت فقال هو الحي الذي لا يموت فقال انما سالناك
عن القوام قال هو العلم قيل له سالناك عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر فقال انما سالناك
عن الجسد فقال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا دخلت عليه
علة فرده الى صانعه يصلحه اما رايت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صاحبها
حتى يصلحها وفي معناه انشدوا هذه الابيات

كمل

كمل حقيقتك التي لم تكمل ... والجسم دعه في الحضيض الاسفل
اتكمل الفاني وتترك باقيا ... هملا وانت بامره لم تحفل
فالجسم للنفس النفيسة آلة ... ما لم تحصله بها لم يحصل
يفنى وتبقى دائما في غبطة ... او شقوة وندامة لا تنجلي
اعطيت جسمك خادما فخدمته ... اتملك المفضول رق الافضل
شرك كثيف انت في حبلاته ... ما دام يمكنك الخلاص فعجل
من يستطيع بلوغ اعلى منزل ... ما باله يرضى بادنى منزل

وقيل في معناه يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالنفس واستكمل فضيلتها ... فانت بالنفس لا بالجسم انسان

وقال رضي الله عنه ليخفف الم البلاء عليك علمك بانه سبحانه
هو المبلي لك فالذي **واجهتك منه الاقدار هو الذي عودك**
حسن الاختيار اذا علم العبد ان الله تعالى رحيم به ومتعطف عليه
وناظر له فكلما يورده عليه من انواع البلايا والرزايا ينبغي له ان يكتم
ولا يبالي به فانه لم يتعود منه الا خيرا فليحسن به ظنه وليعتقد ان ذلك
اختيار وان له في ذلك مصالح خفية لا يعلمها هو كما قال تعالى وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم **قال** ابو طالب المكي
رضي الله عنه في هذه الآية فالعبد يكره العلة والفقر والخمول والضر وهو خير له في
الآخرة ويحب الغنا والعوافي والشهوة وهو شر له عند الله تعالى واسوا عاقبة
وفي معنى قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافي
وباطنة قيل ظاهرة العوافي وباطنة البلايا لانها نعمة الآخرة فاذا كل ما يصيب
المومن فهو نعمة كان ما كان فله الحمد على نعمه قال في التنوير وانما قويتم على
حمل اقداره شهود حسن اختياره يقويهم على حسن اختياره شهود اقداره
وانشدوا فيه لنفسه وخفف عني ما الاقي من العنا ... بانك انت المبتلي والمقدر
وما لامرئ عما قضى الله معزل ... ولكن له منه الذي يتخير
وكان الاستاذ ابو علي رضي الله عنه حزينا مرة وكنت في صورة وحيشة من ذلك

فرجلنا الحمام ففتح على قلبي شيء من الرضى وكنت التمس كل واحدة من تلك القروح فخرجنا
ولم يبق منها أثر شيء. وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه سمعت
أبا علي الدقاق رضي الله عنه يقول في آخر عمره وقد اشتدت به العلة فقال من أمارات
التأييد حفظ التوحيد في أوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا إلى ما كان
فيه من حاله هو أن يقرضك بمقاريض القدرة في إمضاء الأحكام قطعة قطعة
وأنت ساكن خامد. وقال الجنيد رضي الله عنه كنت نائما عند السري السقطي
رضي الله عنه فأنبهني وقال لي يا جنيد رأيت كأني قد وقفت بين يديه فقال
لي يا سري خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتي فخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم
وبقي معي العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر
فقلت للباقين معي لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم ولا من النار هربتم فماذا تريدون قالوا
إنك تعلم ما نريد فقلت لهم إني مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم
له الجبال الرواسي أتصبرون قالوا إذا كنت أنت المبتلي فافعل ما شئت فهؤلاء
عبادي حقا. **من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره**
قصور النظر في عدم رؤية اللطف في القدر من ضعف اليقين وقلة حسن الظن
بالقدير الحكيم إذ لو كمل نظر العبد وقوي بصره لرأى في ذلك من المصالح والفوائد
ما لا يحصى وما غاب عنه أكثر ولكن كما روي عن بعض الصالحين العارفين أنه قال
لقد مرضت مرضة فأحببت ألا تزول وكان عمران بن حصين رضي الله عنه قد استسقى
بطنه فلبث ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد ثقب له على
سرير من جريد وكان تحته ثقب لغائطه وبوله فدخل عليه مطرف أو أخوه العلاء
بن الشخير فجعل يبكي لما رأى من حاله فقال لم تبكي قال لأني أراك على هذه الحالة العظيمة
قال لا تبك فإن أحبه إلي أحبه إلى الله تعالى ثم قال أحدثك بشيء لعل الله تعالى
ينفعك به واكتم علي حتى أموت إن الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم
علي فأسمع تسليمها. وقال بعضهم دخلنا على سويد بن متعبة نزوره فرأينا
ثوبا ملقى فما ظننا تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداك ما
نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا لا أطعم
طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا فذكر أياما ثم قال ما يسرني أني نقصت من هذا
فلامة

فلامة كفى فهؤلاء شاهدوا في بلاياه عطاياه وفي محنته منته وفي عقابه لطفه فأوجب
لهم ذلك من الرضى بما هم فيه والتنعم به والتلذذ ما حملهم على ألا يحبوا زواله
ولا انفصاله ووجوه الألطاف والمنن في البلايا لا تحصى وإنما نذكر منها هنا ما
يزداد المريد به قوة وحسن ظن بربه عز وجل ويحمله ذلك على القيام بواجبها
فنقول البلايا التي يبتلي الله تعالى بها عباده منافية لإراداتهم ومنغصة لشهواتهم
وكلما انزعج النفس وتغصصها وألمها فهو محمود العاقبة من قبل أن ذلك رده إلى
الله تعالى وملازمة بابه بصدق اللجأ والافتقار وهذا هو أعظم فوائد البلايا ويجد ذلك
من نفسه كل من نزلت به بلية أو أصابته رزية وفيها أيضا ضعف النفس وذهاب قوتها
وبطلان صفاتها التي بوجود ذلك يقع العبد في الذنب والمعاصي وتتأخر منه الرغبة
في الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقد قيل لا يخلو المؤمن من علة أو قلة
أو ذلة. وفي الخبر عن الله تعالى الفقر سجني والمرض قيدي أحبس بذلك من أحببت
من عبادي. وفيها أيضا تحصل له طاعة القلوب وأعمالها وذرة منها خير من أمثال
الجبال من أعمال الجوارح وذلك مثل الصبر والرضى والزهد والتوكل وحب لقاء الله
تعالى. **قيل** لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه ها هنا رجل قد تعبد خمسين سنة
فقصده فقال حبيبي أخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل أنست به قال
لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فإنما مزيدك منه الصلاة والصيام قال نعم
قال لولا أني أستحيي منك لأخبرتك أن معاملتك خمسين سنة مدخولة. **قال**
أبو طالب المكي رضي الله عنه أراد بذلك أنه لم يفتح لك بأعمال إلى مقامات
المقربين فيوجدك مواجد العارفين فيكون مزيدك منه أعمال القلوب التي
يستعمل بها محبوب مطلوب لأن القناعة به حال الموقنين والأنس مقام المحب
والرضى وصف المتوكلين أي إنما أنت عنده في طبقة أصحاب اليمين فمزيدك
منه مزيد العموم من أعمال الجوارح وهذه إشارة إلى ما قلناه من فضيلة أعمال
القلوب على أعمال الجوارح فمن وفقه الله تعالى إلى منازلة هذه المقامات وتوفية
حقوقها في البلايا النازلة فقد حصل على كنوز البر. ذكر أبو إبراهيم إسحاق
بن إبراهيم التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله تعالى في كتاب النصائح له أن عروة
بن الزبير رضي الله عنه امتحن بقرحة في ساقه بلغت به إلى نشر عظم ساقه في

الموضع الصحيح منها فقال له الاطباء الا نسقيك مرقدا فلا تحس بما يصنع بك فقال
لا ولكن شانكم بها فنشروا الساق ثم حسموها بالنار فما حرك عضوا ولا انكروا منه حتى
مسته النار فما زاد على ان قال حس ثم اصيب حينئذ بابنه محمد وكان من احب ولده اليه
فلما راى القوم بين بعضهم قال اما ان الله تعالى يعلم اني لم امش بها الى معصية قط ثم قال
يا غلام اغسلها وكفنها وادفنها في مقبرة المسلمين ثم جعل يقول اللهم لئن اخذت لقد ابقيت
ولئن ابتليت لقد عافيت ولئن اخذت لقد كان ما اعطيت ذكر ابن قتيبة في كتاب
عيون الاخبار له عن المدائني قال قدم رجل من عبس ضرير محطوم الوجه على الوليد فسأله
عن ضره فقال بت ليلة في بطن واد ولا اعلم على وجه الارض عبسيا يزيد ماله على مالي
فطرقنا سيل اذهب ما كان لي من مال واهل وولد الا صبيا رضيعا وبعيرا صعبا فند البعير
والصبي معي فوضعته واتبعت البعير لاحبسه فما جاوزته الا وراس الذئب في بطنه قد اكله
فتركته واتبعت البعير فاستدار فرمحني رمحة حطم بها وجهي واذهب عيني فاصبحت
لا ذا مال ولا ذا اهل ولا ولد ولا ذا بصر فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان في الناس
من هو اعظم بلاء منه وروي عن عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه انه خرج مع بعض
اخوانه الى ناحية من نواحي البصرة فاوهم السير الى كهف جبل فاذا فيه مقطع
بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا فقال له يا هذا الذي حلت البصرة فتعالجت
من هذا الذي بك فرفع طرفه الى السماء وقال يا سيدي باي ذنب سلطت علي هؤلاء
يتحكمون علي ويكرهوك الي سيدي لك العتبى من ذلك الذنب واستغفرك
منه لا اعود فيه ابدا قال ثم اعرض عنا بوجهه فانصرفنا وتركناه وروي عن بشر
الحافي رضي الله عنه انه قال رايت ببغداد رجلا قطعه البلا وقد مالت حدقته
على خديه قال فوضعت راسه في حجري وجعلت اسال الله ان يكشف ما به وادعو
فافاق فسمع دعاءي فقال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي فيعترض عليه
في نعمته علي ونحا راسه من حجري قال بشر فعرفت الاعتراض على عبد نعمة اراها
عليه من البلاء وقد روي في بعض الاخبار ان يونس وجبريل عليهما السلام التقيا فقال
يونس لجبريل دلني على اعبد اهل الارض فاتى به الى رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه
واذا هو يقول متعتني بهما حيث شئت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول فقال
يونس يا جبريل انما اسالك ان تريني قواما صواما ان هذا كان قبل البلا هكذا وقد امرت

ان اسلبه

ان اسلبه بصره فاشار الى عينيه فسالتا فقال متعتني بهما حيث شئت وسلبتهما
حيث شئت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول فقال جبريل نعم ندعوا وتدعوا معك
ان يرد عليك بصرك ويديك ورجليك فتعود الى العبادة التي كنت فيها فقال ما احب
ذلك قال ولم قال اذا كانت محبته في هذا فمحبته احب الي من ذلك قال يونس يا جبريل
تالله ما رايت رجلا ولا احدا اعبد من هذا قال جبريل يا يونس ان هذا امر ليس يوصل
الى الرضا شيء افضل منه وفي الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي
اصطفاه وفيها ايضا يحصل له كفارة الذنوب والخطايا ويستوجب من الله جزيل
الهبات والعطايا ولا سبيل له الى ذلك الا بما يرد عليه من انواع البلايا لان
العبد قد يعجز عن القيام بوظائف الطاعات ويتكاسل على المواظبة على فعل
الخيرات فيكون حينئذ محروما من ثوابها غير حاصل له تكفير سيئاته بها وقد
عملها ولم يتكاسل عنها فمن له بتخليصها عن الشوائب وتصفيتها من الآفات
والمعايب وحينئذ يبطل عمله ويخيب من انتفاعه به امله فيحسن العبد
ظنه بمولاه وليعلم ان ما يختاره له خير مما يختاره لنفسه بشهوته وهواه
فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل الذي قال له اوصني
لا تتهم الله في شيء قضاه عليك وذكر مسلم رحمه الله من حديث صهيب رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المومن ان امره
له كله خير وليس ذلك لاحد الا للمومن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان
اصابته ضراء صبر فكان خيرا له وذكر البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابي
هريرة وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما يصيب المومن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا
كفر به من سيئاته وذلك ايضا من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى من مرض
فما سواه الا حط عنه به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها وذكر البخاري ايضا من
حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها الا كتبت له درجة ومحيت عنه بها
خطيئة وذكر البخاري ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من يرد الله به خيرا يصب منه وفي حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض اذا برأ وصح من مرضه كمثل البردة تقع من السماء
في صفائها ولونها وروي عن عيسى عليه السلام انه قال لا يكون عالما من لم يفرح
بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو بذلك من كفارة خطاياه وروي
عن نبينا صلى الله عليه وسلم اخبار كثيرة في الحمى والهم وغير ذلك ذكر
البزار من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه دخل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوضع عليه يده وعليه حمى فوجد حرها من فوق اللحاف فقال ما اشدها عليك
يا رسول الله انا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الاجر قال يا رسول الله اي الناس
اشد بلاء قال الانبياء ثم الصالحون ان كان احدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد الا عباءة
يحوصها وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان احدهم ليفرح بالبلاء
كما يفرح احدكم بالرخاء وقيل في معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا
والله يحب المطهرين اي من الاثام والذنوب بالحمى والامراض لما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم للحمى اذهبي الى اهل قباء وقد روي في بعض الاخبار ان امر اهل
قباء الانصار وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى يوما شخصا اسود
فقال من انت فقال انا ملدم صورة الحمى فقال عليه السلام اذهبي الى الانصار فان لهم
علينا حقوقا فاصبح النبي صلى الله عليه وسلم فلم ير احدا من الانصار حضر
الصلاة فطلبهم فقيل اخذتهم الحمى فقال قوموا بنا نعودهم فقال الحمى
طهارة وكفارة فقالوا يا رسول الله ادع الله حتى يذهبها وذكر مسلم رحمه الله
من حديث جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل
على ام السائب او ام المسيب فقال ما لك يا ام السائب او يا ام المسيب تزفزفين
قالت الحمى لا بارك الله فيها فقال لا تسبي الحمى فانها تذهب خطايا بني آدم
كما يذهب الكير خبث الحديد وذكر البخاري من حديث انس بن مالك رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل قال اذا
ابتليت عبدي المومن بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه كذا قال
في آخر الحديث من قول احد الرواة والحبيبتان هما العينان وهما الكريمتان ايضا وروي
ان انس بن مالك وابا ظلال رضي الله عنهما كانا في بيت ثابت البناني فقال انس يا ابا ظلال

متى

متى وقرت بصرك فقال وانا صبي لا اعقل قال الا احدثك حديثا حدثنيه حبيبي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يرويه عن جبريل ويرويه جبريل عن ربه عز وجل قال يا جبريل
ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود
في داري والنظر الى وجهي ومن طريق هلال بن سويد وهو ابو ظلال المذكور انه سمع
انسا رضي الله عنه يقول مر بنا ابن ام مكتوم فسلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا احدثكم بما حدثني به جبريل عن هذا وقرنائه الذين ذهبت
ابصارهم قال صلى الله عليه وسلم حدثني جبريل ان الله عز وجل حق على من اخذت
كريمتيه ليس له جزاء الا الجنة وفي حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما اصيب العبد بعد ذهاب دينه باشد من ذهاب بصره عبد فصبر الا لقي الله
ولا حساب عليه وذكر البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث ابن عباس
رضي الله عنه ان امراة سوداء اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني اصرع
واني انكشف فادع الله لي فقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت
الله ان يعافيك فقالت اصبر لكني انكشف فادع الله الا انكشف فدعا لها الى
غير ذلك مما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب مما لا يحصى كثرة
وفيها ايضا يحصل له تجديد التوبة واداء الحقوق والتباعات والظلامات وكثرة
الاستغفار وحسن التذكار وكثرة ذكر الموت اذ ذاك ابلغ ما يذكر به فقد قيل
الحمى بريد الموت وقيل في قوله تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون اي يختبرون بها وفي حديث عائشة وانس رضي الله
عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم قال نعم من ذكر
الموت كل يوم عشرين مرة وفي لفظ الحديث الاخر يذكر ذنوبه فتحزنه وقد كان
السلف رضي الله عنهم يستوحشون اذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص
من نفس او مال ويقال لا يخلو المومن في كل اربعين يوما ان يروع بروعة او يصاب
بنكبة وكانوا يكرهون ان يفقد ذلك في هذا العوم من غير ان يصابوا فيه بشيء وفيها
ايضا يقع له خلف ما يفوته من الطاعات ونوافل العبادات فيكتب له في مرضه مثل
ما كان يعمل من ذلك في صحته وذلك ابلغ له في الوصول الى غرضه لانه من اختيار الله
له مما اختاره لنفسه وفي الخبر يقول الله تعالى لملائكته اكتبوا الصالح

ما كان يعمله في صحته فإنه في وثاق إن أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من
دمه فإن توفيته توفيته إلى رحمتي وفي الحديث الصحيح من حديث أبي موسى
الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض
العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا إلى غير ذلك من الألطاف التي يعلمها
وإنما ذكرنا هذه المعاني هاهنا لأنها لائقة بكلام المؤلف رحمه الله وكأنها مفسرة
له وأيضا فإن العبد محتاج إليها غاية الاحتياج لأنه في حال نزول البلايا به يتسخط
ويجزع ويضعف إيمانه ويتزلزل إيقانه فيحتاج إلى من يذكره بأمثال هذه المعاني
ليحصل له بذلك من الرجاء وحسن الظن بالله تعالى والمحبة له ما يرجو له بذلك إن مات
من وجود حسن الخاتمة وحب لقاء الله تعالى والأعمال بخواتمها وهذا الغرض هو الذي
أوجب لنا في هذا الفصل الإكثار من الحكايات وإظهار نسبة أكثر الأحاديث فيه إلى
رواتها الثقات لتطمين قلوب أهل البلاء بذلك وتسليك إلى الله تعالى وإيضاح تلك
المسالك والله ولي التوفيق **لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك وإنما**
يخاف عليك من غلبة الهوى عليك الطرق إلى الله تعالى واضحة
لأن الحق تعالى هو الذي تولى ذلك وبه أنزل الكتاب وأرسل الرسل ونصب
الأدلة والبراهين ذلك عن قريبها قال أحمد بن خضرويه البلخي رضي الله عنه الطريق
واضح والحق لائح والداعي قد أسمع فما التحير بعد هذا إلا من العمى **سبحان من**
ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية
في إظهار العبودية ○ سر الخصوصية هو حقيقة المعرفة التي اختص
بها أهل ولاية الله بحيث لا يبقى معها وجود للغير ولا الكون وذلك بما جعل الله
فيهم من التهيؤ والقابلية لم لطيف حكمة الله تعالى أن ستر ذلك بما أظهره
من البشرية التي من لوازمها وجود الغير والكون ولولا هذا الستر لكان سر الله مبتذلا
غير مصون كما قال في لطائف المنن ولا بد للشمس من سحاب وللحسناء من نقاب ثم
إن من حقيقة ظهور البشرية الاتصاف بصفة الافتقار والاحتياج وغير ذلك
من أوصاف الحدوث وذلك هو حقيقة التعبد فظهر لنا من ذلك لزوم وجود
الإله معبود وهذه هي عظمة الربوبية التي ظهرت لنا من وراء حجاب العبودية
ولولا ذلك لكان باطنا لا يظهر كما قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه العبودية

جوهرة

جوهرة ظهرت بها الربوبية فسبحان اللطيف الخبير وهو على كل شيء قدير والتسبيح
الذي ذكره المؤلف هاهنا في غاية المناسبة لما ذكره من المعنى **لا تطالب ربك بتأخر**
مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك إذا دعوت ربك وسألت
منه مطلبا من المطالب ولم تظهر لك الإجابة فيه بحسب رغبتك ولا تطالبه بالوفاء بذلك
فإنه يفعل ما يشاء لا يسئل عما يفعل ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك فإنها أهل
للمطالبة وسوء أدبها من وجوه أحدها أنك دعوته لتجاب في دعوتك فيحصل لك
بذلك غرض وهذا مما يقدح في كمال عبوديتك وسيأتي هذا المعنى عند قوله لا يكن
طلبك تسببا إلى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لإظهار العبودية
وقياما بأحكام الربوبية والثاني اعتقادك أنه لم يستجب لك إذ لم تظهر لك
عدم الإجابة منه وليس من شرط الإجابة أن تظهر لك بل له أن يخفيها عنك لما في
ذلك من المصالح والإجابة إليه أمرها يجعلها ما شاء مما تعلمه أو تجهله وقد تقدم
هذا المعنى عند قوله لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا
ليأسك إلى آخره والثالث وهو أشرها اعتراضك على ربك في حكمه ومطالبتك
له إذا تأخرت إجابة دعائك ثم ذكر المؤلف رحمه الله الحالة التي إذا كان عليها العبد قام
بحق الأدب ووصل إلى غاية الأرب فقال **متى جعلك في الظاهر ممتثلا لأمره**
ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد أعظم المنة
عليك ○ هذان الأمران هما اللذان يلزمانك في إقامة العبودية لربك
لا غيره فمتى يسرهما الله تعالى وأقامك في مراعاة أحكامهما ووفقك لذلك
فقد أعظم المنة عليك فلماذا تشوفت وما الذي تلتمس بعدهما إن كنت عبدا
حقيقيا **قال** سيدي أبو الحسن رضي الله عنه صحبت إنسانا في الله تعالى في
البداية واعتزلنا في المغارة عسى أن نكون من أولياء الله وأن يفتح الله
علينا بما فتح عليهم فأقمنا زمانا نقول لعل في هذه الجمعة لعل في هذا الشهر
يفتح الله علينا فنحن كذلك فإذا بشيخ على باب المغارة يستأذن فأذنا له فدخل
فسلم ووقف فقلنا له من أنت فقال عبد الملك فعلمنا أنه من أولياء الله فقلنا
له كيف حالك فقال كيف حالك يرددها كالمنكر علينا ثم قال كيف حال من يقول
لنفسه في هذه الجمعة أكون وليا في هذا الشهر أكون وليا فلا ولاية ولا فلاح

ولا جيناد ولا اخرة يا نفس لم تعبد الله تعالى كما امرك مخلصة لوجهه قال الله
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا لغفلتنا وقلنا
من اين دخل علينا وعلمنا ان الله تعالى رحمنا به فرجعنا باللوم والتوبيخ وقلنا لها
يا نفس من انت وما عملك وما خطرك انت لا شيء وتبنا واستغفرنا فان فتح الله
علينا بجوده وفضله **ليس كل من تمت تخصيصه كملت تخليصه** التخصيص
هنا هو ان يفهم الحق تعالى على بعض عباده اثره وعنايته ويوليه لطفه
ورعايته فمنهم من يستمر له ذلك حتى يتحقق بالعرفان ويتخلى عن رؤية الاغيار
والاكوان وهولاء هم خواص المقربين اهل العلم بالله والمحبة ومنهم من يوقفه
عن بلوغ ذروة الكمال ويريحه في حاله بما يليق به من علوم واعمال وهولاء
عامة المقربين وخاصة اصحاب اليمين العباد والزهاد واهل المجاهدة والاوراد
وهولاء ان شاركوا الاولين فيما يتحفهم الحق تعالى من لطايف الكرامات
وفيما يمنحهم اياه من القيام بوظايف الطاعات والعبادات فلم يتخلصوا
من رؤية نفوسهم ولم ينفكوا عن مراعاة حظوظهم فانهم ساكنون الى الاسباب
محتبطون بوجود الحجاب وقد يختص الحق تعالى هولاء باظهار الكرامات
على ايديهم وبسببهم تسكينا لنفوسهم وتثبيتا لليقين في قلوبهم
ويمنعها الاولين لانهم لا يحتاجون اليها لما هم فيه من الرسوخ في اليقين
والقوة والتمكين كما قال صاحب كتاب عوارف المعارف وقد يكون من لا يكاشف
بشيء من معاني القدرة افضل ممن يكاشف بها اذا كاشفه الله تعالى بصرف
المعرفة بالقدرة اثر من القادر ومن اهل القرب القادر لا يستغرب ولا يستنكر
شيئا من القدرة ويرى القدرة تتجلى له من عجيب اجزاء عالم الحكمة **وسيل**
الشبلي رضي الله عنه وقيل له ان ابا تراب ذكر انه جاع في البادية فرأى
البادية كلها طعاما فقال عبد رفق به ولو بلغ الى محل التحقيق لكان كمن قال
اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني قال في لطايف المنن واعلم ان الكرامات
تارة تظهر للولي في نفسه وتارة تظهر منه لغيره فان ظهرت للولي في نفسه
فالمراد تعريفه بقدرة الله وفردانيته واحديته وان قدرته لا تتوقف على الاسباب
وان العوايد هو حاكم عليها ليست هي حاكمة عليه وانما جعل العوايد

والوسايط

والوسايط والاسباب حجب قدرته وسحب شمس احديته فواقف عندها محجوب
ونافذ منها اليه هو بالعناية موصول قال **وقال** الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه
فايدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والارادة والصفات الازلية
بجمع لا يفترق ودوام لا ينفعل كانها صفة واحدة قايمة بصفات الواحد تستوي من
تعرف الله تعالى اليه بنوره كمن تعرف الى الله بعقله ولاجل انها تثبت لمن ظهرت له
ربما وجدها اهل البدايات في بداياتهم وفقدها اهل النهايات في نهاياتهم لما عليه
اهل النهايات من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه الى مثبت
وهكذا كان السلف رضي الله عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى الى وجود
الكرامات الحسية لما اطلعهم من المعارف الغيبية والعلوم الشهادية ولا
يحتاج جبل الى موساة فالكرامة رافعة لزلزلة الشك في الصدر [illegible] بفضل
الله تعالى فمن ظهرت عليه وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه وتعالى
والناس في الكرامات على ثلاثة اقسام قوم يجعلونها غاية الامر لا جرم وجدوها
عظموا من ظهرت عليه والذين فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا
وما هي الكرامات انما هي خدع يخدع بها اهل الارادة ليقفوا على حدودهم
وحتى لا يلجوا مقام الذين هو لهم حتى قال ابو تراب النخشبي لابي العباس
الرقي ما يقول اصحابك في هذه الامور التي تكرم الله بها على عباده فقلت
ما رايت احدا الا وهو مؤمن بها فقال ابو تراب من لم يؤمن بها فقد كفر انما سالتك
من طريق الاحوال فقلت ما اعرف لهم قولا فقال ابو تراب بلى قد زعم اصحابك انها
خدع من الحق وليس الامر كذلك انما الخدع في حال السكون اليها فاما من لم يقترح بها
ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من ابي تراب بعد ان اعطش القوم
وهم اصحابه فضرب برجله الارض فنبع الماء فقال فتى اريد ان اشربه في قدح
فضرب برجله الارض فنبع له قدح من زجاج ابيض فشرب وسقانا قال ابو
العباس الرقي وما زال القدح معنا الى مكة **قال** الشيخ ابو الحسن
والقول الفصل في ذلك انه لا ينبغي ان تطلب ادبا مع الله تعالى ومن
ظهرت عليه عظم لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى قال
والقسم الثاني وهو ان تظهر الكرامة في الولي لغيره فالمراد بذلك تعريف ذلك

العبد الذي شهدها بصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه الكرامة اما ان يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف او كافرا فيعود الى الايمان او شاكا في خصوصية هذا العبد فاظهرت عليه ليعرف ذلك الله بما فيه من ودائع الاحسان انتهى كلامه وقال ابو نصر السراج سالت ابا الحسن بن سالم فقلت له ما معنى الكرامات وهم قد اكرموا حتى تركوا الدنيا اختيارا وكيف اكرموا بان جعل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك فقال لا يعطيهم ذلك لقدرها ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتجوا فيكون ذلك على انفسهم عند ظهورها وجحدهم من قوت الرزق الذي قسم الله لهم فيقولون الذي يقدر على ان يصير لك الحجارة ذهبا كما هو ذا تنظر اليه لقادر ان يسوق اليك رزقك من حيث لا تحتسبه فيحتجوا بذلك على صحيح نفوسهم عند فوت الرزق فيقطعوا بذلك حجج نفوسهم فيكون ذلك سببا لرياضات نفوسهم وتاديبا لها قال ابو نصر وقد حكى لنا ابن سالم في معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه انه قال كان رجل بالبصرة يقال له اسحاق بن احمد وكان من ابناء الدنيا فخرج من الدنيا اعني من جميع ماله وثيابه وصحب سهلا فقال يوما لسهل يا ابا محمد ان نفسي هذه ليست تركت الصياح والصراخ من خوف فوت القوت والقوام فقال له سهل خذ ذلك الحجر وسل ربك ان يصيره لك طعاما تاكله فقال له ومن امامي في ذلك حتى افعل فقال سهل امامك ابراهيم عليه السلام حيث قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي المعنى في ذلك ان النفس لا تطمئن الا برؤية العين لان من جبلتها الشك وقال ابراهيم رب ارني كيف تطمئن نفسي فاني مومن بذلك والنفس لا تطمئن الا برؤية العين قال فكذلك الاولياء يظهر الله لهم الكرامات تاديبا لنفوسهم وتهذيبا لها وزيادة لهم انتهى كلام ابي نصر وقال بعض العلماء ما رايت هذه الكرامات الا على ايدي البله من المريدين وكان رجل يصحب سهل بن عبد الله رضي الله عنه فقال يوما ربما اتوضا للصلاة فيسيل الماء من يدي قضبان ذهب وقضبان فضة فقال سهل اما علمت ان الصبيان اذا بكوا اعطوا خشخاشة ليشتغلوا بها وفي حكاية جعفر الخلدي عن الجنيد رضي الله عنه قال جاءني ابو جعفر النيسابوري مرة ومعه عبد الله الرباطي وجماعة وكان فيهم رجل املح قليل الكلام فقال يوما لابي جعفر قد كان فيمن مضى لهم

الايات

الايات الظاهرة يعني به الكرامات وليس لك شيء من ذلك فقال له ابو حفص رضي الله عنه فجاء به الى سوق الحدادين الى كير عظيم محمى فيه حديدة عظيمة فادخل يده في الكير واخذ الحديدة المحماة فاخرجها فبردت في يده فقال له يجزيك هذا فسئل بعضهم عن معنى اظهار ذلك من نفسه فقال كان مشرفا على حاله يخشى على حاله ان يتغير عليه ان لم يظهر له ذلك فخصه بذلك شفقة عليه وصيانة لحاله وزيادة لايمانه بل ربما يفر عنها العارفون ويخاف منها المحققون قال بعض السلف اكثر ما يخادع به الاولياء الكرامات والمعونات وذكر عن ابي جعفر او غيره انه كان جالسا وحوله اصحابه فنزل ظبي من الجبل فبرك عندهم فبكى ابو جعفر فسئل عن بكائه فقال كنتم حولي فوقع في قلبي ان لو كان لي شاة لذبحتها لكم فلما برك هذا الظبي عندنا شبهت نفسي بفرعون حين سال الله تعالى ان يجري معه النيل فاجراه معه فبكيت وسالته ان لا ... ويحكى ان بعض الابدال قال لتلميذ من تلامذة الشيخ ابي مدين رضي الله عنه ما بال الشيخ لا يتعاصى علينا شيء وهو يتعاصى عليه اقل الامور مع انا نتمنى مقامه ولا يتمنى مقامنا فبلغ ذلك الشيخ ابا مدين فقال قل له تركنا مرادنا لمراده وعن بعضهم انه كان يسير في البادية فانتهى الى بير فاذا الماء ارتفع الى راس البير فقال انا اعلم انك قادر على هذا ولكن لا اطيقه فلو قيضت لي بعض الاعراب ليصفعوني صفعات ويسقيني شربة ماء ما كان اسلم لي ثم اني اعلم ان ذلك لرفق لي من جهته وقال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه اذا رايت الرجل يشير الى الايات والكرامات فطريقه طريق الابدال واذا رايته يشير الى الالاء والنعماء فطريقه طريق المحبة وهو اعلى من الذي قبله واذا رايته يشير الى الذكر ويكون معلقا بالذكر الذي ذكر فطريقه طريق العارفين وهو اعلى درجة من جميع الاحوال وقال ابو يزيد رضي الله عنه كنت في بدايتي يريني الحق تعالى الايات والكرامات ولا التفت اليها فلما راى ذلك جعل لي الى معرفته سبيلا

وقال رضي الله عنه لا يستحقر الورد الا جهول الوارد يوجد في الدار الاخرة والورد ينطوي بانطواء هذه الدار واولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده الورد هو

تطالبه منك والواردات تطلبه منه واين ما هو طالبه منك مما هو
مطلبك منه الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة او باطنة
والوارد هو الذي يرد على باطن العبد من لطائف وانوار ينشرح بها صدره ويستنير
بها قلبه ويسر به فالورد ما من العبد للحق تعالى من معاملة وعبودية والوارد ما من
الحق تعالى للعبد من لطف وكرامة والورد احق ما يعتني به العبد ويراعيه من
الوارد لوجهين احدهما ان الورد مختص بهذه الدار لا يقع الا فيها فهو منقطع
بانقطاعها وبان فقدانها فينبغي للعبد ان يستكثر من الاوراد قبل فواتها لا يمكنه
خلف ما فات منها والثاني ان الورد هو حق الحق منك والوارد هو حظك منه وفيما
مك بحقوقه عليك اولى والوفاء بالعبودية من طلب حظوظك وفهمك معناها فاذا
تمت مزية الورد باعتبار العبد كان استحقاره من نهاية الجهل وكان مستحقره جهولا
كما قال في لطائف المنن واعلموا ان الله اودع انوار الملكوت في اصناف الطاعات فاي من فاته
من الطاعات صنف او اعوزه من الموافقة جنس فقد من النور بقدر ذلك فلا تهملوا
شيئا من الطاعات ولا تستغنوا عن الاوراد بالواردات ولا ترضوا لانفسكم
بما رضي به المدعون جرت الحقائق على السنتهم وخلت انوارها من قلوبهم وان الحق
بحكمته جعل الطاعة الجارية على العباد مستفرعة لباب الغيب فمن قام بالطا
عة والمعاملة بشرطها والادب لم تحتجب عنه والتطهر من العيب يفتح لك باب
الغيب ولا تكن ممن يطلب الله لنفسه ولا يطلب نفسه لله فذلك حال الجاهلين
الذين لم يفهموا عن الله ولا واجههم المدد من الله والمومن ليس كذلك بل المومن يطالب
نفسه لربه ولا يطالب ربه لنفسه فان توقف الوقت عليه ابطا احده ولا يستبطي
مطلبه ثم ذكر كلاما كثيرا وفي كلامه رحمه الله تنبيه على تاكد امر الاوراد
وعظم موقعها من الدين وان مراعاتها من احسن سمة العارفين وقد رئي الجنيد
رضي الله عنه وفي يده سبحة فقيل له انت مع شرفك تاخذ بيدك سبحة فقال نعم
سبب وصلنا الى ما وصلنا لا اتركه ابدا وكان يدخل كل يوم حانوته ويسبل
الستر ويصلي اربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته ورئي الجنيد رضي الله
عنه بعد وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات
وفنيت تلك العبارات وابيدت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم وما

نفعنا

نفعنا الا ركعات كنا نركعها في السحر وحكى ابو محمد الجريري رضي الله عنه
قال كنت عند الجنيد رضي الله عنه في حال نزعه وكان يوم جمعة وهو يقرا
القرآن فختم فقلت في هذه الحالة يا ابا القاسم فقال ومن اولى مني بذلك
وهو تطوى صحيفتي وقال ابو الحسن الزراج رضي الله عنه ذكر الجنيد اهل المعرفة وما ابدوا
عوه من الاوراد والعبادات بعد ما اكرمهم الله به من الكرامات فقال الجنيد رضي
الله عنه العبادة على العارفين احسن من التيجان على رؤوس الملوك وقال ابو بكر العطار
حضرت الجنيد عند الموت في جماعة من اصحابنا قال وكان قاعدا يصلي ويثني رجله
اذا اراد ان يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقل عليه حركتهما
فمد رجله فراه بعض اصحابه ممن حضر ذلك الوقت وكانت رجلا ابي القاسم تورمتا
فقال ما هذا يا ابا القاسم فقال هذه نعم الله الله اكبر فلما فرغ من صلاته قال له
ابو محمد الجريري رضي الله عنه يا ابا القاسم لو اضطجعت فقال يا ابا محمد هذا وقت منة
الله الله اكبر فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمة الله عليه ورضوانه وقال العمري رضي
الله عنه الناس يقولون الحصري لا يقول بالنوافل وعلي اوراد من حال الشباب لو تركت
منه ركعة لعوتبت وقال محمد بن ثابت البناني رضي الله عنه لما حضرت ابي
الوفاة جعلت القنه الشهادة فقال لي يا بني دعني فاني في وردي السابع قال ابو طالب
المكي رضي الله عنه ومداومة الاوراد من اخلاق المومنين وطريق العابدين وهي مزيد
الايمان وعلامة الايقان وفي اخبار عائشة رضي الله عنها سئلت عن عمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وفي لفظ آخر كان اذا عمل عملا اتقنه
واثبته وفي الخبر المشهور احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل وجاء كلام
تارة يروى عن الحسن بن علي وتارة عن الحسن البصري وتارة عن عائشة رضي الله
عنها وبعضهم يحكيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام من استوى يوماه
فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو محروم ومن لم يكن في مزيد فهو
في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقد يكون استحقار الورد من الطلب
والاسترواح للعبد ويكون مبدا ذلك ان تلوح له خيالات وتظهر له صور
كرامات توجب له استحسان حاله واغتراره بطالته وفي ذلك رفض العبودية
بالكلية وهو امارة لوجود الطرد والبعد والعياذ بالله وصاحب هذا عظيم

الجهالة شديد العماية والضلالة وقد قال الجنيد رضي الله عنه لرجل ذكر المعرفة
فقال الرجل اهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله فقال
الجنيد هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويزني
احسن حالا من الذي يقول هذا وان العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله واليه رجعوا فيها
ولو بقيت الف عام لم ينقص من اعمال البر ذرة الا ان يحال بي دونها وانه لآكد في معرفتي واقوى
في حالي قال السهروردي رضي الله عنه في كتاب عوارف المعارف فاما من يعتقد ثوابا ولم
يحكم اساس خلوته بالاخلاص فيدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور فيرفض العبادات
ويستحقرها ويسلبه الله لذة المعاملة ويذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتتن
في الدنيا والآخرة فيعلم الصادق ان المقصود من الخلوة التقرب الى الله تعالى بعمارة
الاوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم
الانتقال من الذكر الى الاوراد ولقوم الانتقال من الاوراد الى الذكر انتهى ما يتعلق
بغرضنا من كلام السهروردي رضي الله عنه وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله وليس
من هذا ما روي عن ابي سليمان الداراني واحمد بن عاصم رضي الله عنهما انهما قالا اذا
صارت المعاملة الى القلوب استراحت الجوارح وان كان ظاهره موهما له فان ابا نصر
السراج رضي الله عنه فسره بعد ان حكاه عن ابي سليمان الداراني رضي الله عنه فقال
وهذا الذي قال ابو سليمان يحتمل معنيين احدهما انه اراد بذلك استراحت الجوارح
من المجاهدات والمكابدات من الاعمال اذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من الخواطر
الشاغلة والعوارض المذمومة التي تشغل عن ذكر الله تعالى قلبه ويحتمل
ايضا انه اراد بذلك ان يتمكن من المجاهدة والاعمال والعبادة وتصير وطنه ويستلذ
بها بقلبه ويجد حلاوتها ويسقط عنه التعب ووجود الآلام التي كان يجدها قبل
ذلك انتهى كلام ابي نصر السراج ومعناه صحيح والله اعلم وبه التوفيق **ورود**
الامداد بحسب الاستعداد شروق الانوار على حسب صفاء الاسرار
ورود الموارد الامدادية من الله تعالى على عبده بحسب القوة الاستعدادية
المجعولة فيه وشروق الانوار الغيبية على حسب صفاء سره من كدر التعلق بالآثار
والركون الى الاغيار **الغافل اذا اصبح نظر فيما ذا يفعل والعاقل**
ينظر ماذا يفعل الله به اي اول خاطر يرد على العبد هو ميزان توجهه

فالغافل

فالغافل اذا اصبح اول خاطر نسبة الفعل الى نفسه فيقول ماذا افعل اليوم
فهو مشتغل بتدبير نفسه منصرف عن النظر الى مولاه وذلك لوجود غفلته فهو
حقيق بان يكله الله الى نفسه فيتشوش عليه قلبه وينتقض عليه مراده والعاقل
اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى الله تعالى فيقول ماذا يفعل الله بي فهو ناظر
الى الله تعالى ولما يرد عليه منه وذلك لوجود عقله ودوام يقظته فلا جرم يكفيه
الله تعالى تعلقات الآمال ويفرغه من جميع الاشغال ويرضيه ويقر عينه بما يقيمه فيه
من الاعمال او يورده عليه من الاحوال وهذه سعادة عظيمة من الله تعالى لمن [illegible]
عباده جسيمة **قال** عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اصبحت ومالي سرور
الا في مواقع القدر وقال ابو عثمان رضي الله عنه منذ اربعين سنة ما اقامني الله في حال
فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته ومن املح ما رأيت في هذا المعنى الذي ذكره
المؤلف وما يجب ان يجري على مثاله كل عاقل متصوف ما ذكره الشيخ ابو القاسم
عبد الرحمن الصقلي رضي الله عنه في كتاب صفة الاولياء ومراتب احوال
الاصفياء يسنده الى ابي محمد بن بشر الطالقاني قال حدثنا رجل من اصحابنا قال رأينا
رجلا في موج البحر ليس معه شيء فدنونا منه فسلمنا عليه فرد علينا السلام
فقلت يرحمك الله اين تريد فقال لا ادري قال هل رأيت احدا يبرح من مكانه ولا يدري اين
يريدهما فقال انا واحد فقلت فاين تنوي فقال الى مكة فقلت تنوي مكة ولا تدري اين
تذهب فقال نعم وذلك اني كم مرة اردت ان اذهب الى مكة فيردني الى طرسوس
وكم مرة اردت طرسوس فيردني الى عبادان فيبقيني الى مكة ولا ادري فقلت
فمن [illegible] فقال لا ادري فقلت اخبرني باسباب ذلك قال من حيث يريد يجيعني
مرة ويشبعني اخرى ويكرمني مرة ويهينني مرة ومرة يقول لي ما على الارض
ازهد منك ومرة يقول لي انت لص ومرة ينومني على الفراش ويطعمني الطيب ويدهن
راسي ويكحل عيني ومرة يطردني الطرد العنيف ولا ينومني الا عند النواويس فقلت
يرحمك الله من يفعل ذلك بك قال الله عز وجل قال الفاني في بحر فقلت فسر لي يرحمك
الله كيف هذا قال انا رجل اسير نهاري فاينما جن علي الليل بت فربما كان ويفي الى
قرية فاذا نظر الي اهلها قال بعضهم لبعض هذا اللص لا تدعوه هنا يأوي الليلة
في هذه القرية فاذا صلينا عشاء الآخرة يدخل المسجد رجل فيقول لي يا [illegible]

فاقول اليك فيقول لي بالعنف ثم من هاهنا اليس لك ها هنا موضع فاقول له وكرامة
فاين ابيت الليلة فيقول خارج النواويس فاقول نعم وكرامة لا يكون لي ماوى الا
عند النواويس تلك الليلة فاذا اصبحنا سرنا فيؤويني الليل الى قرية فاذا راني
اهلها قال بعضهم لبعض قد ورد عليكم رجل زاهد فاضل خير فيقول هذا
عندي يبيت ويقول هذا عندي يبيت ويقول هذا عندي يبيت فاذا اصلينا عشاء
الاخرة فيقول رجل منهم قم بنا الى البيت فاقول وكرامة فامضي معه الى
المنزل فيأتيني بالطعام الطيب ويدهن راسي ويكحل عيني ويأتيني بالفراش
اللين فينومني عليه ولا يدع شيئا من البر الا فعله بي حتى اصبح فهذا حالي
مع سيدي فقلت رحمك الله متى قدر لك ان تدخل بغداد فان منزلي في موضع
كذا وكذا قال فانا يوما قاعد اذا بانسان يدق الباب فخرجت فاذا انا بصاحبي
فسلمت عليه وادخلته البيت فقلت له ايش صنع بك مولاك قال اخرما فعل
بي ضربني ضربا شديدا وقال لي بالضرتم راني ظهره فاذا اثر الضرب عليه فقلت ايش
القصة قال كان اجاعني جوعا شديدا فلما بلغت الانبار جئت الى مقثاة فوجدت
فيه الدود والثوم فقعدت اكل منه فنظر في صاحب المقثاة فاقبل علي بعصاه فجعل
يضرب ظهري ويقول يا لص ما خرب مقثاتي غيرك منذ كم ارصدك حتى وقعت
علي قال واذا بفارس قد اقبل مسرعا اليه فقلبت الشوك في راسه وقال تعمد
الى رجل زاهد فتضربه ويقال المثل هذا يا لص قال فما كان باسرع ان كنت عنده كلص
الا صرت زاهدا الا كما حرمتك قال فاخذ بيدي صاحب المقثاة فذهب الى منزله
فما ابقى من الكرامة شيئا واستحلني فخرجت من عنده وجئت اليك وقد يكون
من معنى نظره الى ما يفعل الله به ان ينظر ما يرد على قلبه من الاشارة من قلبه
فيكون افرامه واحجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا ميراث شريف
اقتضاه دوام التجايه وصدق افتقاره وقال سيدي ابو مدين رضي الله عنه
اهدموا تصبح وتمسي مفوضا مستسلما لعله ينظر اليك فيرحمك
وقال بعضهم من اهتدى الى الحول لم يهتد الى نفسه ومن اهتدى الى نفسه
لم يهتد الى الله فانظر اذا استقبلك شغل فان عاد قلبك في اوله
الى حولك وقوتك فانت المنقطع عنه وان عاد قلبك الى الله فانت الواصل

الى الله وكل العالم في قبضته وتخصيص اهل الوصلة بانهم في كنف ابوابه
لا يكلهم الى غيره واعتبر هذا بعمرة الحديبية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما صده المشركون فيها عن مكة ومنعوه ان يتم بيرا كهم نسكه رجع في الحال
عن تلك العمرة ولم يتعرض لهم بما نجحه الله به في الظاهرة عزة او نصرة بعد ما كان دعا اليه
من بيعة الرضوان تحت الشجرة وما عزم عليه من مناجزة من جاده من الكفرة وعمل
في ذلك على ما اظهره الله له من ايات العظام عندبروك ناقته لما اراد توجيهها
الى البيت الحرام وقال حينئذ مظهرا للمقاصد وقد رأى ما اعتمده انما حبسها حابس
الفيل لا تدعوني اليوم قريش الى خطة فيها صلة رحم الا اجبتهم اليها فكان
كما قال صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم صالحهم على وضع الحرب فيما بينهم عشر
سنين ليتقلبوا في الارض امنين فلما استتم بينهم الصلح وانزل الله سورة الفتح
ظهرت الفوايد التي تضمنها ذلك التدبير الحسن وقد تمنا ان غير اصحابه رضي الله عنهم
بما ابرزه اليهم من الكافي وسنرو قد صح بمعنى جميع ما قلناه الخبر ونقله الينا علماء
الحديث والسير والبكر من دعاء صاحب هذا المقام ومناجاته ليوافق عقده وقوله
في جميع تصرفاته **اللهم** اني اصبحت لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة
ولا نشورا ولا استطيع ان اخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني **اللهم**
وفقني الى ما تحبه وترضاه من القول والعمل في عافية انك ذو الفضل العظيم
وليقل ايضا ما رايته لسيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه اللهم ان الامر
عندك وهو محجوب عني ولا اعلم امرا اختاره لنفسي فكن انت المختار لي واحملني في
اجمل الامور عندك واحمدها عاقبة في الدين والدنيا والاخرة انك على كل شيء
قدير انما استوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله
في كل شيء فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء
العباد والزهاد في حجبة عن ربهم ينظر لنفوسهم ومراعاة حظوظهم
فهم يفرون من الاشياء ويستوحشون منها لانها موجودة في نظرهم
والزهد في المزهود شاهد له بالوجود كما قال سيدي ابو الحسن رضي الله
عنه والله لقد عظمتها اذ زهدتم فيها فهم يخافون منها ان تغدر عليهم
اغراضهم وتفوتهم مقاصدهم فيملهم اليها وافتتانهم بها ولو كانوا من اهل

العلم بالله والمحبة لله لرأوه ظاهرا في الأشياء كلها وأن كان لهم في ذلك مرفوة أعينهم
ما يشغلهم عن رؤيتهم لنفوسهم فلا يكون لهم من الأشياء وحشة ولا يخشون
منها فتنة لأنها فانية متلاشية بهذا الاعتبار أمرك في هذه الدار بالنظر
في مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته ورؤية العباد
لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم ففي هذه الدار يرونه ظاهرا في المكونات بأنوار
بصائرهم لما تجلى لهم من وراء حجابها ولذلك أمرهم بالنظر فيها وفي الدار الآخرة يرونه
معاينة بأنوار أبصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف
علم منك أنك لا تصبر عنه فأشهدك ما برز منه عدم الصبر
عن الله من وجود الإحسان بمعرفته وهو حال شريف يقتضي وجود المعية الإ
اختصاصية تقتضي دوام المشاهدة والحضور والمشاهدة الحقيقية غير متصورة
في هذه الدار لما هي عليه من الزيادة والنقص والفناء والذهاب فأكرم الله تعالى
عبده لعلمه بعدم صبره عنه بأن أشهده ما برز منه من الآثار والأكوان تسلية
له بالأثر عن النظر فحصلت له حينئذ المعية الاختصاصية اللائقة
بحاله حتى إذا أفضى في مقعد الصدق وحصلت له عندية الحق خلع عليه خلع
التقريب والتكريم وواجهه الكريم فحصلت له حينئذ المعية الحقيقية والمشاهدة
المستمرة وما ذلك على الله بعزيز لما علم الحق منك وجود الملل لون
لك الطاعات وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك
في أوقات ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود
الصلاة فما كل مصل مقيم تلوين الطاعات لأجل وجود الملل
وتحجيرها في الأوقات لوجود الشره نعمتان عظيمتان فالعبد على
سبيل عبوديته والملل تكره يعرض للإنسان من عمل تلحقه فيه مشقة
فيصبر عليه ويتحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم فيترك ذلك العمل
ويرفضه استثقالا له وهو شيء يعرض الطبع بعد ابتدائه للشيء
ومحبته له والشره مجاوزة الحد في التسارع إلى العمل والحرص عليه والذي
يوجب وجود الملل المداومة على نمط واحد من العبادات فتسأم منها النفس
وتستثقلها فإذا لونت عليها استحلتها وقد قال بعض الشعراء لا يصلح النفس

إذا كانت

إذا كانت مدبرة إلا التنقل من حال إلى حال والموجب لوجود الشره صلاحية الأوقات
كلها لإيقاع العبادات فيها مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير
فيها فلذلك عين لها أوقاتا توقع فيها وأوقاتا لا توقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها
في الأوقات فأركان الملل والشره وأفضى في الصلاة لم يكن لأتى بها مقيما لها لوقوع
التقصير منه فيها ولم يوفق إلا بإقامة الصلاة لا بوجود صورة الصلاة قال سيدي
أبو العباس المرسي رضي الله عنه كل موضع ذكر فيه المصلون في معرض المدح فإنما جاء
لمن أقام الصلاة إما بلفظ الإقامة أو المعنى يرجع إليها قال الله سبحانه الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلاة رب اجعلني مقيم الصلاة أقم الصلاة وأقاموا الصلاة والمقيمي
الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة فالإقامة أنه إذا صلى اليوم من صلاة فتقبلت منه خلق
الله من صلاته صورة في ملكوته راكعة ساجدة إلى يوم القيامة وثواب ذلك لصاحب
الصلاة وإقامة الصلاة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا قال ابن عطاء رضي الله عنه
إقامة الصلاة حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل لا يختلج بسرك سواه
قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه هو القيام بأركانها وسننها
ثم الغيبة عن شهودها برؤية من تصلي له فيجري عليه أحكام الأمر بما يجري
عليه منه وهو عن ملاحظتها محو فنفوسهم مستقبلة إلى القبلة وقلوبهم
مستغرقة في حقائق الوصلة وتمثيل المؤلف رحمه الله بالصلاة دون سائر العبادات
أحسن لأن ذلك أكثر ما يقع فيها وقد يكون ذلك استطراد الكلام على الصلاة
حسبما يقوله بأثر هذا الصلاة طهرة للقلوب مراده ما أشار إليه بما روي في الحديث
الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله إنما مثل الصلاة كمثل نهر
عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترى ذلك يبقي من درنه
واستفتاح لباب الغيوب لأن القلوب إذا طهرت وتركت رفع عنها الحجب
والأستار فرأت ما غاب عنها من الأسرار الصلاة محل المناجاة لأن فيها
يكون فيها الثناء والدعاء والمناجاة مخاطبة الأسرار عند صفاء الأذكار للملك
الجبار ومعدن المصافاة وهي زوال الأكدار الكونية بينك وبين ربك حتى يصفو
قلبك وسرك فيصفو لك حينئذ شهوده وتمحو ذاتك وجسو د له

تتسع فيها ميادين الاسرار حتى تتكاثر عليك في الظهور **وتشرق فيها شوارق الانوار** فيكون قلبك نورا على نور وهذه العبارات
البيت معانيها متقاربة ولما كانت هذه الاحوال التي ذكرها المؤلف من فوائد
الصلاة وان المقصود منها انما هو تحصيلها كان ذكر المؤلف لها كالدليل على ما قاله
من ان المامور به انما هو اقامة الصلاة وان الصلاة المعتبرة انما هي صلاة الخاشعين
لا صلاة الغافلين التي لا تنتهض لبلوغ هذه المقاصد السنية ولذلك كانت الصلاة
ام العبادات واساس الخيرات **قال** الله تعالى اقم الصلاة لذكري فاخبر
ان الصلاة المراد منها الذكر وقد روي معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما فرضت الصلاة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله
ولذلك كانت قرة عين حبيب الله صلى الله عليه وسلم على ما سياتي الكلام عليه
حيث تعرض المؤلف له وفي بعض الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله
الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى
الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينتثر عليه البر من اعنان
السماء الى مفرق راسه ويناديه مناد لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل وان ابواب
السماء تفتح للمصلي وان الله تعالى يباهي ملائكته بصفوف المصلين وفي التوراة
يا ابن ادم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك
وبالغيب رايت نوري فكانوا يرون ان تلك الرقة والبكاء وتلك الفتوح التي
يجدها المصلي في قلبه من دنو الرب من القلب **وقال** محمد بن علي الترمذي رضي
الله عنه دعا الله تعالى الموحدين الى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم
وهيأ لهم فيها الوان الضيافات لينال العبد من كل قول وفعل شيئا من عطاياه
فالافعال كالاطعمة والاقوال كالاشربة وهي عرس الموحدين هيأها رب العالمين
لاهل رحمته في كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار وقال
ابو طالب المكي رضي الله عنه حدثت ان المومن اذا توضا للصلاة تباعدت عنه الشياطين
في اقطار الارض خوفا منه لانه يتاهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه
ابليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه فاذا قال
الله اكبر اطلع الملك في قلبه فاذا ليس في قلبه اكبر من الله فيقول الملك

صدقت الله في قلبك كما تقول قال فيتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش
فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض ويكتب له حشو ذلك النور
حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام الى الوضوء احتوشته الشياطين كما
يحتوش الذباب على نقطة العسل فاذا كبر اطلع الملك في قلبه فاذا كل شيء
في قلبه اكبر من الله عنده فيقول الملك كذبت ليس الله في قلبك كما تقول قال
فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت قال
فيرد ذلك الحجاب صلاته وتلتقم الشياطين قلبه ولا تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس
اليه وتزين له حتى ينصرف من صلاته لا يعقل ما كان فيه ومعاني هذه الاخبار
والاثار موافقة لمعنى ما ذكره المؤلف رحمه الله واحال عليه فلذلك اوردتها
هاهنا والله ولي التوفيق برحمته عَلِمَ وُجُودَ الضَّعْفِ مِنْكَ فَقَلَّلَ أَعْدَادَهَا
وَعَلِمَ احْتِيَاجَكَ إِلَى فَضْلِهِ فَكَثَّرَ أَمْدَادَهَا هذا من فضل الله تعالى الذي
عوده عبده بتقليل اعدادها بان جعل الخمسين خمسة وذلك تخفيف منه لما
علم من وجود ضعفه وتكثير امدادها بان جعل الخمسة ثواب خمسين وذلك
فضل منه عليه اذ كان محتاجا اليه فله الحمد والشكر على ذلك وهذه المعاني
مذكورة في حديث الاسراء **مَتَى طَلَبْتَ عِوَضًا عَنْ عَمَلٍ طُولِبْتَ بِوُجُودِ الصِّدْقِ فِيهِ وَيَكْفِي المُرِيبَ وِجْدَانُ السَّلَامَةِ**
تقدم ان العمل لاجل حصول الجزاء من دخول معلول وجلبنا هنالك من الحكايات
والاثار عن العارفين وارباب القلوب ما فيه مقنع وقد كرر المؤلف هذا المعنى
في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وما ذكره هاهنا تقبيح لطالب الجزاء
على العمل ومعنى ما ذكره ان العمل على هذا الوجه معرض للبطلان لانه اذا طالب
الجزاء على عمله طالبه ربه بوجود الصدق فيه والصدق والوفاء
يخفى في العمل وانى له توفيه ذلك مع كونه طالبا للحظ من ربه فهو
لا محالة مريب فيكفيه وجدان السلامة من غير مزيد عليها قال
الواسطي رضي الله عنه العبادات الى طلب العفو عنها اقرب منها الى طلب
الاعواض والجزاء عليها **وقال** خير النساج رضي الله عنه ميراث
اعمالك ما يليق بافعالك فاطلب ميراث فضله فانه اتم واحسن قال الله

تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون لا تطلب
عوضا عن عمل لست له فاعلا يكفي من الجزاء لك على العمل ان كان
له قابلا المنفرد بخلق اعمال العباد واختراعها هو الله عز وجل فكيف يطلب
العبد الجزاء على عمل الامر لحاصل فيه على الحقيقة ومعنى كون القبول جزاء
تقدم **إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك**
فضل الله تعالى عظيم فاذا اراد ان يظهره عليك خلق لك الطاعة
وحلاك بها ونسبها إليك وقال لك يا عبدي انت مطيع ومتق ومجتهد
وعامل وسنوفيك على ذلك فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى
عليه الخجل والحياء من سيده الكريم وانطلق لسانه في هذا الحال بالدعاء
والشكر وقال يا رب كما تفضلت علي بخلق الطاعة لي وحليتني بها ووصفتني
بصفات جميلة انا خلي عنها في الحقيقة ووعدتني مع ذلك جزيل الثواب
والنجاة من العقاب فتقبل مني عملي وانجز لي ما وعدتني كان في ذلك مصيبا
والا فلا يجوز للعبد الا ينسب الى نفسه شيئا من الصفات الحميدة ولا من محاسن
الاعمال حقيقة ولا ادعاء الا اهليته فيها لذلك وانما من تلك الصفات والاعمال
ومساويها بمقتضى الادب ان يضيف ذلك الى نفسه وان يعترف بان ذلك
من ظلمه وجهله قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه اذا عمل العبد حسنة
وقال انتما يا رب بفضلك استعملتنا وانت اعنت وانت سهلت شكر
الله تعالى ذلك له وقال يا عبدي بل انت اطعت وانت تقربت واذا نظر
الى نفسه وقال انا عملت وانا اطعت وانا تقربت اعرض الله تعالى عنه
وقال يا عبدي انا وفقت وانا اعنت وانا سهلت واذا عمل سيئة وقال
يا رب انت قدرت وانت قضيت وانت حكمت غضب المولى جل قدرته عليه
وقال يا عبدي بل انت اسأت وانت جهلت اقبل المولى جل قدرته عليه
وقال يا عبدي انا قضيت وانا قدرت وقد غفرت وقد حلمت وقد سترت
لا نهاية لمذامك إن أرجعك إليك ولا تفرغ مدائحك إن أظهر
جوده عليك من رجعه الحق تعالى الى نفسه ووكله الى عقله وحدسه
فقد طرده عن بابه وابعده عن جنابه وكانت احواله مدخولة معلولة واعماله

مستقبحة مردودة ومن اواه اليه واظهر جوده عليه واعماله كلها مستحسنة
مقبولة كما قيل لما انتسبت الى جنابك تعرفت ذاع بقربك أنا والأمر أنا
وقال رضي الله عنه كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك
متحققا ان التعلق باوصاف الربوبية ان تشهد وجوده ولوازم وجوده لا شيء
من جميع ذلك لك ولا منك فلا غنى عنك فلا ترى وجودك الا بوجوده ولا بقاءك
الا ببقائه ولا عزك الا بعزته ولا قدرتك الا بقدرته ولا غناك الا بغناه الى غير
ذلك من الاوصاف ولا يتم لك ذلك الا ان تتحقق باوصاف عبوديتك من عدمك
وفقرك وذلك وعجزك والتعلق والتحقق المذكوران متلازمان بل هما شيء واحد
لا تعدد فيهما على التحقيق **منعك أن تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين**
أفيبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين
اورد هذا كالدليل على ما ذكرناه انما من انه لاحظ للعبد من صفات
مولاه الا التعلق بها فقط واراد ان شيئا منها من كبائر معاصي القلب ومن
مشاركة المربوب للرب ومن مقتضى الغيرة التي اتصف بها واعلمنا بشأنها
على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ما احد اغير من الله تعالى ومن غيرته
حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن تحريم ذلك على العبد والتسجيل عليه باستحقاق
الطرد والبعد ومن افحش الفواحش عند العارفين وجود شيء من الشركة في قلب
من العبد بادعاء شيء من اوصاف الربوبية لنفسك عقدا او قولا لان ذلك منازعة
له وتكبر عليه وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
في واحدة منهما القيته في النار ومعنى المنازعة الدعوى قولا وعبارة والاضمار
فعلا واشارة ومعنى الغيرة في حقه تعالى انه لا يرضى بمشاركة غيره له فيما
اختص به من صفات الربوبية ومما هو حق له من الاعمال الدينية واذا كان الحق
تعالى مانعا لك ومحرما عليك ان تدعي ما ليس لك مما اعطى المخلوقين
من الاموال ومسميا ذلك ظلما وعدوانا فكيف يبيح لك ان تدعي وصفه
وهو رب العالمين لا شريك له في ذلك لا انت ولا غيرك فهو اذا من اعظم
الظلم واشد العدوان عافانا الله من ذلك قلت وهذا المعنى الذي ضمنه المؤلف

رحمه الله هذه المسئلة هو الغرض الأقصى الذي جرى نظر الصوفية وكل ما صنفوا
ودونوه وامروا به ونهوا عنه من الأفعال والأقوال والأحوال إنما هي وسائل إلى هذا القصد
الشريف والمقام المنيف فشأنهم أبدا إنما هو العمل على موت نفوسهم ومحق
حظوظها الكلية كما قيل الصوفي دمه هدر وملكه مباح وليس ذلك
هو المقصود لهم بالذات وإنما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه من انفراد الله
تعالى عندهم بالوجود ولوازم الوجود انفرادا لا تشاركونه في شيء منها
البتة كما ذكرناه آنفا وهذا هو كيمياء السعادة الذي أعوز أكثر الناس
ولم يحظوا منه إلا بالإفلاس إذ بذلك يستحق المرء عبودية الله عز وجل
الذي لا مقام للعبد أشرف منه كما قال الشاعر

السعد لي خلعا مني كفى شرفا ∴ فما وراءه ما لي قصد ومطلوب

ولهذا المعنى كانت عندهم دقائق خطرات الحظوظ وخفياتها هواجس
الهوى وكلما يقتضي بقاء النفس وثبوتها من محبة المقامات وإيثار الأحوال
والكرامات ذنوبا عظيمة واختلافات قادحة في صدق العبودية والإخلاص
للربوبية يتوبون من جميع ذلك إلى ربهم ويتعوذون بربه من شره ويحاذرون
من مساكنته وملاحظته غاية الحذر ونهاية المكر والطرد كما قيل

إذا قلت ما أذنبت قلت مجيبة ∴ وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

ذكر أنه كان لبعض الملوك عبد يقدمه على أشكاله وأقرانه فشكا
أهل إقليم عاملهم إلى الملك فقال تخيروا من شئتم أوليه عليكم فاختاروا
ذلك العبد وسألوا الملك إليه فقال الملك راجعوه فإن اختار الولاية
وليته عليكم فرغبا الغلام في الولاية فأمر بكتب المنشور وأمر
باستقباله إذا أوفى محل ولايته والمبالغة في الملاطفة بأنواع الكرامات
والمبار ثم أمر بمن يرش عليه ماء ورد فيه سم ثم أمر من يقول إذا أشرف
على الموت هذا جزاء من اختار الولاية على خدمة مولاه ففي هذا عبارة لأولي
الأبصار وتبصرة لأرباب الاعتبار وإلى هذا المعنى الجليل المومي إلى سواء
السبيل تشير الحكاية المشهورة المروية عن أبي يزيد رضي الله عنه أنه رئي
في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الآخرة إلى طلوع الفجر مستوفزا

علي

على صدور قدميه رافعا أخمصيه مع عقبيه عن الأرض ضاربا بذقنه على صدره
شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فأطال ثم قعد فقال اللهم إن قوما
طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك وأنا أعوذ
بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيتهم طي الأرض فرضوا بذلك وأنا أعوذ
بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فانقلبت لهم الأعيان
فرضوا بذلك وأنا أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيتهم عشرك
خضرا فرضوا بذلك وأنا أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما
من الكرامات التي أعطاها الله أولياءه ثم التفت فرآني فقال يحيى قلت نعم يا سيدي
قال منذ متى أنت هنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال
أحدثك بشيء يصلح لك أدخلني في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت السفلي
فأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السماوات
وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلني أي شيء رأيت حتى
أهبه لك فقلت يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنته فأسألك إياه فقال أنت
عبدي حقا تعبدني لأجلي صدقا لأفعلن بك ولأفعلن وذكر أشياء فقال يحيى
بن معاذ فهالني ذلك فامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لم تسأله
المعرفة به إذ قال لك سلني ما شئت فصاح صيحة وقال اسكت ويلك غرت
عليه مني لا أحب أن يعرفه سواه قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه
بعد أن ذكر هذه الحكاية فهذا حال عبد عن نفسه مأخوذ إذ كان ربه
عز وجل له موجودا أطال مقامه في المقامات فقصرت عن وصفه الصفات
وحوله إذ نظر إلى الحسن الذي حسنت المحاسن كلها عن حسنه وشانت
الزينات جميعها بعد النظر إلى زينته وشهد الجمال الذي تجمل الجمال والمتجملون
بجماله فلا يستحسن سواه وكيف يحب غيره استحسانا أو يزيد في عينه
إلا إياه أم كيف ينظر غير إياه أم كيف يطلب غير ما أحب أو يصير مع
غير ما طلب بل كيف يهتم بغير ما طلب فهذا نعت عبد مطلوب بمعنى ما طلب
ووصف شخص محبوب بغير ما أحب الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس
انتهى وفي الإشارات عن الله سبحانه يا عبدي إن نفسك ينعزل

معها الملك والملكوت فتلحق الزاير بالملك وتلحق العلوم بالملكوت فتكون
عندي مرورا ما ابدي فلا يستطيعك ما ابدي لانك عندي واذا كنت عندي
كنت عندي واذا كنت عندي كان عليك نوري فلا يستطيعك ما ابدي وان
ارسلته اليك لان نوري عليك وليس نوري عليه فاذا جاءك لم يطفك فلو ذكرت
فنا ذكرنا له والعبارات عنهم في هذا المعنى خارجة عن الحصر وفيما رسمناه
منها كفاية وانما ذكرنا هذه المعاني وان كانت في الظاهر اعلى من ان تتناولها
كلام المؤلف رحمه الله تعالى لان من رجع امره اليها اذا فقنا فيه لنكون تعرفنا
فيه بوجوه العيب وكان باطنه هو المقصود وكلام الصوفية رضي الله
عنهم كثيرا ما يجري هذا المجرى والله تعالى يجزيهم عنا خيرا ويمن علينا
بالفهم عنهم وحسن القبول منهم ويفتح اسماعنا للاصغاء اليهم
ويشرح صدورنا لاستحسان ما يرد منهم وايثروا عليهم بمنه وفضله
كيف تطلب ان تخرق لك العوايد وانت لم تخرق من نفسك العوايد
خرق العوايد بانكشاف علم الغيب لا يكرم الحق تعالى به الا من خرق عوايد
نفسه وفني عن ارادته وحظوظه فمن لم يصل الى هذا المقام لا يطمع فيها
وان ظهر له ما صورته صورة الكرامة ينبغي له ان يخاف عند ذلك من الاستدراج
والمكر ولا يحب ذلك ولا يطلبه فان احبه او طلبه فهو دليل على بقايه مع
ارادته وحظوظه وعاداته فكيف تخرق العوايد لمن هذه صفته على سبيل
الكرامة ومثل هذه الاعمال لا يستقيم قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله
عنه وجميع الاسرار من الغيوب التي تكنها الحجب والاستار لا يظهر عليها الا مطلوب
والمطلوب لا يكون محجوبا هو عن نفسه مسلوبا لمن بقيت عليه من نفسه
بقية ونظر الى حركته وسكونه بعينه نظرة خفية فيسترها عليها
رحمة له لانه لو كشف بها هلك في حيرة الهوى وغرق في بحر الدنيا ونفسه حبه
وعين كلية اياها هو حجابه عنها واستتارها عنه حتى يكون كارها
لظهورها كراهية لظهور الخلق على معصيته وخايفا منها لخوفه على
نفسه في تظاهرها عليه بهلكته فهناك حين يبتلى بهلكته فهناك
حين يبتلى بها او يحتمي ليظهر كيف يعمل وكذا قال الشيخ ابو عبد الله القرشي

رضي

رضي الله عنه قال من لم يكن كارها لظهور الايات وخوارق العادات وخرق العوايد
منه كراهية الخلق لظهور المعاصي فهي في حقه حجاب وسترها عنه رحمة
فان من خرق عوايد نفسه لا يريد ظهور شيء من الايات وخوارق العادات له بل
تكون نفسه عنده اقل واحقر من ذلك فاذا فني عن ارادته جملة وكان له
تحقق في روية نفسه بعين الحقارة والذلة حصلت له الاهلية لورود الالطاف
ووجود الاسعاف وسلك الى مرتبة الصديقية المنهج الناهج ومن با مع
اهل الارادة بالفرج الملايح قال الشيخ ابو العباس بن العريف رضي الله عنه اجتمعنا
يوما فقلت للشيخ ابو القاسم بن روبيل حدثني بحكاية عسى الله ان يريح
ما بي فقال نعم وصف لي رجل ببعض السواحل يعرف بابي الخيار فقصدته
فوجدته على ساحل البحر فسلمنا عليه وجلسنا فلم يتكلم ولا كلمة
حتى اذا كان وقت الصلاة اقبل نفر من بعض الاودية متفرقون فاجتمعوا اليه
وتقدمهم واحد منهم فصلى بهم ثم افترقوا ولم يتكلم احد منهم احدا وجلس
الشيخ مكانه وجلسنا عنده حتى اذا كان وقت الصلاة اقبل النفر
وصلوا ثم انصرفوا حتى جاء وقت صلاة العصر اجتمعوا وصلوا ثم جلسوا
بعد ذلك وتذاكروا في سير الصالحين ومقامات الاولياء الى قريب الاصفرار
ثم تفرقوا واجتمعوا للمغرب ثم تفرقوا فجلسنا عندهم ثلاثة ايام وهم
على ذلك ثم وقع في نفسي ان اسأله عن مسئلة استفيدها فتقدمنا اليه
فقلت ايها الشيخ مسئلة اسأل عنها فقال قل فنظر الجماعة الي كالمنكرين
علي ففزعنا فقلت ايها الشيخ متى يعلم المريد انه مريد فاعرض عني
ولم يجبني فخفنا ان يكون اغضبته فقمنا عنه فلما كان في اليوم الثاني
قلت لا بد ان اسأله عن المسئلة وعزمنا على ذلك فتقدمنا اليه وقلنا ايها
الشيخ متى يعلم المريد انه مريد فاعرض عني كالاولى ولم يجاوبني فقمنا وعدنا
في الثالث وسألته عن المسئلة بعينها فاجتمع وقال لا تقل هكذا ولكن تسل
عن اول قدم يضعه المريد في الارادة فقلت نعم فقال لي اذا اجتمع فيه اربع خصال
احدها ان تطوى له الارض وتكون عنده كقدم واحد وان يمشي على الماء وان ياكل
من الكون متى اراد وان لا ترد له دعوة فعند ذلك يضع اول قدمه في الارادة واما

متى ما علم المريد عندنا أنه مريد سقط من حيز الإرادة. قال الشيخ أبو العباس بن
العريف رضي الله عنه بصفة صحيحة كادت نفسي تذهب معها، ثم قلت له: أيأستنا
من الإرادة يا أبا القاسم، وعجبنا من علو همة هذا الشيخ. انتهى. واعلم أن أول ما تخرق
له من عادة نفسه تسميته باسم مريد مع مسلوبية الإرادة، وما أحسن ما قال الشاعر:

تكون مريدا ثم فيك إرادة ∴ إذا لم ترد شيئا فأنت مريد

والتحقيق في هذا أن من تمحضت إرادته لعبودية الله عز وجل وعبادته لله عز وجل
بمراعاة حقوقه لأجل ما وجب عليه من ذلك لا يتوصل به إلى نيل حظ ما هو الذي يسمى
مريدا، فلم يسم بذلك إلا لأنه متصف بالإرادة الحقيقية المتعلقة بأشرف المطالب
ونهاية الآمال والمآرب، وذلك أمر وجودي يصح أن يشتق منه اسم لمن قام به ذلك
الأمر، إلا أنه سمي بذلك لأجل ما سلب عنه من الإرادة المجازية المتعلقة بحظوظه،
لكن لما كان سلب أحدهما يقتضي وجود الأخرى لاقتضاء الواجب صح لذلك
للشاعر أن يطلق اسم الإرادة على من سلبت منه، ونحوه عمر(?) وجرت رشاقة وملاحة
وتعمية. وبهذا تبين لك صحة كلام أبي يزيد رضي الله عنه واستقامته حين قيل له:
ما تريد؟ فقال: أريد ألا أريد، وأنه ليس بمختل ولا متناقض كما توهم بعضهم. **قال** في
التنوير: واعلم أنه قد قال بعضهم إن أبا يزيد لما أراد أن لا يريد فقد أراد، وهذا قول
من لا معرفة عنده، وذلك أن أبا يزيد رضي الله عنه إنما أراد أن لا يريد لأن الله عز وجل اختار
له وللعباد أجمع عدم الإرادة معه، فهو في إرادته أن لا يريد موافق لإرادة الله
له، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن: بكل مختارات الشرع وترتيباته هو مختار الله، ليس
لك منه شيء، واسمع وأطع، وهذا موضع الفقه الرباني والعلم اللدني، وهو
أرض لتنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله عن الله. قال: فإن أبان الشيخ هذا الكلام
أن كل مختار للشرع لا ينافي اختياره مقام العبودية المبني على ترك الاختيار
لئلا يتخرع عقل قاصر عن درك الحقيقة بذلك، فيترك الوظائف والأوراد
ورواتب السنن إرادتها تخرج بها العبد عن صريح العبودية لأنه قد اختار، فبين
الشيخ أن كل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منه شيء، فإنما أنت مخاطب
أن تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها لا على تدبير الله ورسوله
لك، فافهم. قال: فقد علمت إذا أن أبا يزيد ما أراد أن لا يريد إلا أن الله أراد منه

ذلك

ذلك، فلم تخرجه هذه الإرادة عن العبودية المقتضاة منه. انتهى. وقد طال بنا
الكلام في هذا المعنى حتى أدى إلى بعد المناسبة بينه وبين المسألة المنبه عليها
من الكتاب، والحديث يجر بعضه بعضا، لكن لما كان مقصودنا في هذا التنبيه
استغنام ذكر الفوائد في مفاصلها ومظانها لتفرع مسائل هذا العلم الغريب
اتساع من أراد الله تعالى توفيقه بمن يتيه(?) ويتيه بعد المشرف فيصح منا ذلك(?)
وكنا سائرين فيه على أوضح المسالك، وبالله تعالى التوفيق. ما الشأن وجود (بالحمرة)
الطلب، إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب (بالحمرة). إذا التزم العبد طلب حوائجه وحظوظه
من مولاه ولم يطلب ذلك من غيره فلا يغتر أنه وفى بما يجب عليه من حق
الربوبية، فليعلم لك بأن الشأن المعتبر عند المحققين، وإنما الشأن أن يتأدب
العبد بين يدي مولاه أدبا حسنا بأن يفوض أمره إليه ويرضى بما قسم له ولا
يطلب منه، كما سيقوله المؤلف بعد هذا، أن يطلب منه لا القصد نيل حظه
فيصير الوجه بحسن أدبه ويصح سؤاله ويطلبه، وذلك هو الوفاء على
التحقيق. ما طلب لك شيء مثل الاضطرار، ولا أسرع لك
بالمواهب مثل الذلة والافتقار. أمن (بالحمرة) أن العبد هو أخص أوصاف
عبوديته، ولذلك لم يطلب من العبد شيء أجل منه. **قال** أبو محمد عبد الله بن منازل
رضي الله عنه: العبودية الرجوع في كل شيء إلى الله عز وجل، وفيها أيضا
خاصية إجابة الدعاء، قال الله عز وجل: أمن يجيب المضطر إذا دعاه. والاضطرار
المطلوب منه أن لا يتوهم العبد من نفسه شيئا من الحول والقوة ولا يرى لنفسه
شيئا من الأسباب يعتمد عليه أو يستند إليه، ويكون بمنزلة الغريق في البحر
أو الضال في التيه القفر، لا يرى لغياثه إلا مولاه، ولا يرجو النجاة من هلكته أحدا
سواه. وقال بعض العارفين: المضطر الذي يقف بين يدي مولاه ويمد يديه إليه
بالمسألة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيئا فيقول: هب لي يا مولاه
بلا شيء. والذلة والافتقار أمران لازمان له، وهما موجبان لاتساع مواهب الحق تعالى
إلى العبد المتصف بهما، وإليه الإشارة بقوله عز من قائل: ولقد نصركم الله ببدر
وأنتم أذلة، فذلتهم أوجبت لهم عزتهم ونصرتهم، وإذا تذللت الرقاب تقربا
منها إليك فعزها في ذلها. وقيل: حين أسلمتني الرزايا والليالي تلقيتني بعز(?)

وان يرتفع الرجاء لطائف المنن الجالب للتوفيق وعلامة صدق الرجوع الى الله في اول كل
فعل وترك بتحقيق الفقر والفاقة اليه والانغماس في بحر الذلة والمسكنة بين يديه
واستمطار ما لديه الى الفراغ من ذلك ابدا وقد قال الله سبحانه ولقد نصركم الله
ببدر وانتم اذلة وقال سبحانه انما الصدقات للفقراء والمساكين فلا تدخل جنة
عملك وعلمك وما اعطيتنا من نور وفتح فتقول كما قال من خذل فيما اخبر الله عنه ودخل
جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا ولكن ادخلها كما يدخلك وقل
كما رضي لك ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله وافهم هاهنا
قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة وفي رواية
اخرى كنز من كنوز تحت العرش والترجمة ظاهر الكنز والمكنون فيها صدق التبري
من الحول والقوة والرجوع الى حول الله وقوته لولا انك لا تصل اليه الا بعد
فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه ابدا ولكن اذا اراد
ان يوصلك اليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته
فوصلك اليه بما منه اليك لا بما منك اليه الوصول الى الله تعالى لا يكون
الا عن صفات النفس وقطع علائق القلب وشيء من ذلك لا يتصور من العبد من حيث
هو لا ان ذلك كطبعه وجبلته ولو لم يكن الا ارادته وعمله في تحصيل هذا الغرض
بنفسه وهما من جملة المساوي والدعاوي المحتاج الى محوهما قال سيدي ابو
العباس رضي الله عنه لن يصل الولي الى الله حتى ينقطع عنه شهوة الوصول
الى الله يعني انقطاع ادبا لا انقطاع ملل وقال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه
ولن يصل الولي الى الله ومعه شهوة من شهواته او تدبير من تدبيراته او اختيار من
اختياراته فلو خلى الله تعالى عبده وذاك لم يصل اليه ابدا ولكن اذا اراد الله
تعالى ان يوصل عبده اليه تولى ذلك له بان يظهر له من صفاته العلية ونعوته
القدسية ما يغيب بذلك صفات عبده ونعوته عنه ويكون ذلك علامة على محبته
كما اشار اليه بقوله في الحديث الصحيح فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها وعند ذلك لا تكون
له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره مولاه واراده فيكون حينئذ واصلا الى الله اليه
من الفضل والكرم لا بما من العبد اليه من الاجتهاد والعمل فسبحان المتفضل على من

شاء

شاء بما شاء وقال رضي الله عنه لولا جميل ستره لم يكن عمل اهلا
للقبول العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه وشهوده
حوله وقوته عليه وهذا لا يحصل له عنده الا ما اشار به وقد يكشف حجابه
فيرائي به ويطلب حمد الناس له وهذا كله من الشرك الخفي القادح في الاخلاص
الحقيقي والاخلاص شرط في قبول الاعمال كما تقدم قال يحيى بن معاذ رضي الله
عنه مسكين ابن ادم جسم معيب وقلب معيب يريد ان يخرج من معيبين عمل
بلا عيب فعمل العبد لما كان بهذه المثابة لم يكن فيه اهلية لوجود القبول لولا
جميل ستر الله تعالى وعظيم حلمه وبره فليعتمد المريد على فضل الله تعالى وكرمه
لا على اجتهاده وعمله قال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه اذا طالبهم
بالاخلاص تلاشت اعمالهم زاد فقرهم وفاقتهم فتبرءوا عن كل شيء ومن كل شيء
لهم ومنهم **انت الى حلمه اذا اطعته احوج منك الى حلمه**
اذا عصيته شرف العبد وعلو قدره انما يكون بنظره الى ربه
عز وجل واقباله عليه وسكونه اليه واعتماده عليه ودناءته وخسته
وسقوطه من عين الله انما يكون بنظره لنفسه واقباله على غيره واستناده
الى سواه فالعبد عند عمله بالطاعة معرض لهذه الاخطار من نظره لنفسه
واستعظام عمله وعجبه بطاعته وسكونه الى معاملته وليته يسلم
فيه من دقائق الرياء والتصنع بخلاف المعصية في جميع هذه الاشياء
فانها تحمله على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع
وشدة الافتقار اليه فكان العبد الى حلم الله اذا اطاعه احوج منه الى حلمه
اذا عصاه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اوحى
الله تعالى الى نبي من الانبياء قل لعبادي الصديقين لا يغتروا فاني ان اقمت
عليهم عدلي وقسطي اعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي الخاطئين لا تياسوا من رحمتي
فاني لا يكبر علي ذنب اغفره ولهذا المعنى قال ابو يزيد رضي الله عنه توبة المعصية
واحدة وتوبة الطاعة الف توبة الستر على قسمين ستر عن المعصية
وستر فيها فالعامة يطلبون **الستر من الله فيها خشية**
سقوطهم من رتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون الستر عنها

خشية سقوطهم من نظر الملك الحق العامة يغلب عليهم شهود الخلق
والتصنع والتزين لهم ومحبة حمدهم وكراهة ذمهم فهم يعملون المعصية ويستخفون
بها ويطلبون الستر من الله عليهم فيها اي في حال كونهم عاملين بها لئلا يراهم الخلق
فيسقطوا من اعينهم وفي امثالهم قال الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون
من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول قال الامام ابو القاسم القشيري
رضي الله عنه في هذه الاية الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا يشعرون ان الحق
مطلع عليهم اولئك الذين وسم الله قلوبهم بوسم الفرقة وروى عدي بن حاتم رضي
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يؤمر يوم القيامة بناس من الناس
الى الجنة حتى اذا دنوا منها ونظروا اليها واستنشقوا رائحتها وما اعد الله
لاهلها نودوا ان اصرفوهم لا نصيب لهم فيها قال فيرجعون بحسرة ما رجع
الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان ترينا ما اريتنا من ثوابك
وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا قال ذلك اردت بكم كنتم اذا
خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس
بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني اجللتم الناس ولم تجلوني
وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم اليم العذاب مع ما حرمتكم من الثواب
وفي بعض الكتب ان لم تعلموا اني اراكم فالخلل في ايمانكم وان علمتم اني اراكم فلم جعلتموني
اهون الناظرين اليكم وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى يعلم خائنة الاعين
وما تخفي الصدور هو الرجل تمر به المرأة فيري القوم انه يغض بصره فاذا غفلوا
نظر اليها ويريهم انه يغض بصره ويود لو انه يطلع على عورتها ويقدر عليها
وقال ايضا في رواية اخرى هو الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم انه يغض
بصره عنها فاذا رأى من القوم غفلة لحظ اليها ونظر فاذا خاف ان يفطنوا غض
بصره فقد اطلع الله عز وجل من قلبه يود لو انه نظر الى عورتها وهذا كله شأن
المرائين الذين يستخفون بنظرة الجبار ويهابون الناس ان يطلعوا عليهم فيما يرتكبونه
من الاوزار والخاصة من اهل الايمان واليقين برآء من هذا الوصف الذميم
لا التفات لهم الى الخلق مدحا ولا ذما وهمتهم مصروفة عن النظر اليهم والاعتماد
عليهم في نفع او دفع وحالهم انما هو القناعة بعلم الله تعالى ومراقبة نظره

فيهم

فيهم يطلبون الستر من الله عنها في ان يغيبها عن نظرهم ولا يحضرها بقلوبهم
فتميل اليها نفوسهم فيعملون بها فيقعون في مخالفة ربهم والتعرض لسخطه
والسقوط من عينه وشتان ما بين الحالين والى هذا المعنى اشار سيدي ابو الحسن
رضي الله عنه في دعائه اللهم انا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ
بك من المعصية واسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها
واحملنا على النجاة منها ومن التفكر في طرائقها وامح من قلوبنا حلاوة ما
اجتنيناه منها واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها من اكرمك
فانما اكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن اكرمك
وشكرك العبد محل الآفات والعيوب وستر الله الجميل هو الذي يحبب
الناس الى الناس فاذا اكرمك احد فلا تذهبن ذلك بك الى ان ترى لنفسك
وصفا محمودا تستحق به الاكرام فتكون جاهلا بنفسك ولا يحملنك ايضا
رؤية اكرام الخلق لك لوجود جهلهم بحالك على ان تحمدهم عليه دون
ربك الذي اضطرهم الى اكرامك وستر عنهم عيوبك واظهر لهم محاسنك
فتكون بذلك كافر النعمة ربك ظالما بوضع الحمد في غير موضعه

ما صحبك الا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك الا
مولاك خير من تصحب من يطلبك لا لشيء يعود منك
اليه الصاحب على الحقيقة هو من بر احسانه لك واسبغ نعمه عليك ولم
يمنعه من ذلك ما يعلمه من عيوبك التي يكرهها منك وليس ذلك الا مولاك
وخير صاحب لك ايضا من اعتنى بك وآثرك وارادك من غير منفعة
ينالها منك وليس ذلك ايضا الا مولاك فاتخذه صاحبا ودع الناس جانبا
لو اشرق نور اليقين لرأيت الآخرة اقرب من ان ترحل اليها ولرأيت
محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها نور اليقين تتراءى
به حقائق الامور على ما هي عليه فيحق به الحق ويبطل به الباطل والآخرة
حق والدنيا باطل فاذا اشرق نور اليقين في قلب العبد ابصر به الآخرة التي كانت
غائبة عنه حاضرة لديه حتى كانها لم تزل فكانت اقرب اليه من ان يرتحل اليها
فيحق بذلك حقيقتها عنده وابصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها واسرع

اليها الفناء والذهاب فعاينت عن نظرة فعرفت كانت حاضرة فظهر له بطلانها حتى
كانها لم تكن فيوجب له هذا النظر اليقيني الزهادة في الدنيا والتجافي عن زهوتها
والاقبال على الاخرة والتهيء لنزول حضرتها وجوار العين لهذا هو علامة انشراح
صدره بذلك النور كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح
له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافي
عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله او كما قال
صلى الله عليه وسلم وعند ذلك تموت شهواته وتذهب دعاوي نفسه فلا تامره
بسوء ولا تطالبه بارتكاب ما نهي عنه ولا تكون له همة الا المسارعة في الخيرات
والمبادرة لاغتنام الساعة والاوقات وذلك لاستشعاره حلول الاجل وفوات
صالح العمل والى هذا المعنى هي الاشارة بحديث حارثة ومعاذ رضي الله عنهما
روى انس بن مالك رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمشي اذ استقبله شاب من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف
اصبحت يا حارثة فقال اصبحت مومنا بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل
قول حقيقة فقال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي واظمات
نهاري فكاني بعرش ربي بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكاني انظر
الى اهل النار يتعاوون فيها فقال ابصرت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه فقال
يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنودي يوما في الخيل يا خيل الله اركبي فكان اول فارس ركب واول فارس استشهد
فبلغ امه ذلك فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله اخبرني عن ابني فان يك في الجنة فلن ابكي ولن اجزع وان يك
غير ذلك بكيت ما عشت في الدنيا فقال يا ام حارثة انها ليست بجنة
ولكنها جنة في جنان والحارثة في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول
بخ بخ لك يا حارثة وروى انس رضي الله عنه ايضا ان معاذ بن جبل دخل على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له كيف اصبحت يا معاذ قال
اصبحت بالله مومنا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل قول مصداقا
ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول قال يا نبي الله ما اصبحت صباحا

فقط

قط الا ظننت اني لا امسي ولا امسيت قط الا ظننت اني لا اصبح ولا خطوت خطوة
قط الا ظننت اني لا اتبعها اخرى وكاني انظر الى كل امة جاثية تدعى الى كتابها
معها نبيها واوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكاني انظر الى عقوبة اهل النار وثواب
اهل الجنة قال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم فهذان الرجلان العاملان حارثة
ومعاذ بن جبل الانصاريان قال رضي الله عنهما لما اشرق عليهما نور اليقين وتمكن
من قلوبهما اي تمكن صار بما ذكرناه من فنون العبر وشاهدوا الامر الذي بمنزلة
راي العين فسلمت اعمالهما من العيوب والافات وحفظا من المساءات والسيئات
وطهرت منهما الاسرار والقلوب وسارعا في كل امر محبوب وطارت ارواحهما
اشتياقا الى لقاء الواحد الفرد وطابت انفسهما بالموت حتى صارت عندهما
احلى من الشهد حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم .. وكذلك غيرهما
من اصحابه وكبار التابعين وائمة الدين رضي الله عنهم اجمعين

ولقد اصابا معشر عن حالهم باسمع مقالا صادقا مقبولا

ان الالى ماتوا على دين الهدى وجدوا المنية منهلا معسولا

روى انس بن مالك رضي الله عنه ان حارم بن ملحان رضي الله عنه وهو خال
انس طعن يوم بير معونة في راسه فتلقى دمه بكفيه ثم نضحه على راسه
ووجهه وقال فزت ورب الكعبة وكان جابر بن سلمى فيمن حضر بير
معونة مع عامر بن الطفيل ثم اسلم بعد ذلك فكان يقول مما دعاني الى الاسلام
اني طعنت رجلا منهم فسمعته يقول فزت والله فقلت في نفسي والله ما فاز
اليس قتلته حتى سالت بعد ذلك عن قوله فقالوا الشهادة فقلت فاز لعمر الله
والمطعون هاهنا والله اعلم هو عامر بن فهيرة رضي الله عنه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في شان الامراء الثلاثة يوم موتة اخذ الراية زيد
فاصيب ثم اخذها جعفر فاصيب ثم اخذها ابن رواحة فاصيب ثم اخذها
خالد بن الوليد عن غير امرة ففتح الله عليه اظنه قال صلى الله عليه وسلم
ما يسرني انهم عندنا او قال ما يسرهم انهم عندنا وعيناه تذرفان فلله درهم
لقد حازوا مرتبة شريفة ومنزلة عالية منيعة ونيلا لا مثالنا الذين عميت بصائرهم
ابصارهم واظلمت سرائرهم فحجبت عنا شموس المعارف ووقعنا في اودية

المهالك والمتالف واغتررنا بهذه الدار الغرارة الفانية الغدارة فتشبثنا بحبالها
بشباكها وارتكبنا في مصايدها واشراكها من غير شعور منا بحالها وكنا في قصرنا اليها
وتعويلنا عليها بمنزلة ظمآن لاح له سراب حسبه ماء فلما جاءه لم يجده شيئا
ولا غناء ثم مع هذا الحال ننتسب الى الدين وندعي كمال المعرفة والتقرب والدخول
في عمار اولياء الله المتقين مع ان احدنا لو خير بين حلول الحيرا والبقاء في الدنيا معلقا
باشجار الغيرا لاختار البقاء فيها على هذه الحال مع كونه لا يحرث نفسه في طاعة
يزداد بها ولا عن معصية بانتقال وهذه كلها اخلاق يهودية لا تليق بمن ينتسب
الى الملة المحمدية **قال** الله عز وجل مخبرا عن حال اليهود وكاشفا لأسرارهم وهاتكا
لأستارهم ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف
سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون. فلو لم ينبه العاقل
عن محبة البقاء في هذه الدار وبامره بايثار دار القرار لئلا يتشبه باليهود الناقضين
للعهود المبدلين المحرفين والمعبود لكان ذلك ابلغ نائل وادام بفضل ما ورد في ذلك من
مواعظ وزواجر نزع الله عن قلوبنا حجاب الغفلة والغرور ومحا عنا مشابهة كل
ظلوم وكفور وحبب الينا لقاءه ورزقنا ما رزق اولياءه واحباءه بمنه وكرمه
ما حجبك عن الله وجود موجود معه اذ لا شيء معه ولكن
حجبك عنه توهم وجود معه تقدم ان لا موجود
سوى الله تعالى على التحقيق وان وجود ما سواه انما هو وهم محض
فلا حاجب لك عن الله تعالى الا توهم وجود ما سواه لا غير والتوهمات
باطلة فلا حجاب لك عن الله تعالى اذا وقد استوفى المؤلف ذكر جميع انواع
اعتبارات هذا المعنى قبل هذا فانظره في لطائف المنن واشبه شيء بوجود
الكائنات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظل لا موجود باعتبار
جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم واذا ثبتنا ظلية
الاثار لم تنسخ احدية المؤثر اذ الشيء انما يشفع بمثله ويضم الى شكله كذلك
ايضا من شهد ظلية الاثار لم تعقه عن الله فان ظلال الاشجار في الانهار لا تعوق السفن
عن التسيار ومن ههنا يتبين لك ايضا ان الحجاب ليس امرا وجوديا بينك وبين
الله ولو كان بينك وبينه حجاب وجودي للزم ان يكون اقرب اليك منه ولا شيء

اقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب عن الله فما حجبك عن الله
وجود موجود معه وذلك كرجل بات في مكان واراد البراز فسمع صوت الرياح
مركوزة هناك فظنه نومه اسيرا فمنعه ذلك عن البراز فلما اصبح لم يجد هناك
اسدا وانما هو ريح انضغط في تلك الكوة فما حجبه وجود اسد وانما حجبه
وجود الاسد **لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود ابصار
لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته** ظهور الحق تعالى وراء المكونات
هو الذي اوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا وجود حجابها لم تقع
عليها ابصار ولتلاشت لوجود التجلي الحقيقي كما قال لو ظهرت صفاته
اضمحلت مكوناته بل لم يكن هناك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء في الحديث
حجابه النار وفي رواية النور لو كشف عنها لاحرقت سبحات وجهه كل شيء
ادركه بصره **اظهر كل شيء بانه الباطن وطوى وجود كل شيء
لانه الظاهر** من اسمائه تعالى الظاهر الباطن فاسمه الظاهر يقتضي
بطون كل شيء حتى لا ظاهر معه فيطوي حينئذ وجود كل شيء واسمه
الباطن يقتضي ظهور كل شيء حتى لا ظاهر معه فيظهر الحدثان وجود
كل شيء فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار والحمد لله
**اباح لك ان تنظر ما في المكونات وما اذن لك
ان تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ما
ذا في السموات والارض ولم يقل انظروا السموات
فقال انظروا ماذا في السموات فتح لك باب الافهام
ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود
الاجرام** امر الله تعالى بالنظر في المكونات ليس لذاتها لان في ذلك
البعد عن الله تعالى بالنظر الى ما سواه ولم يبح هذا وانما امرهم بذلك
ليتوصلوا بنظرهم فيها اليه لوجود ظهوره فيها والاشارة الى هذا المعنى
في قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض فالمعنى المقصود في وجود
الظرفية ومنها يستفاد وهو معنى قوله فتح باب الافهام فلو اسقطها
وقال انظروا السموات لكان منه دلالة على وجود الاجرام وهي اغيار له وفيها

البعد عنه فكيف يدل على ذلك وهو لم يأذن فيه قال في لطائف المنن فانصبت
الكائنات لتراها ولم تثبت فيها مولاها فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا
يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها قال ولنا في هذا المعنى

لك ما أثبت المعالم إلا :: لتراها بعين من لا يراها
فارق عنها رقي من ليس يرضى :: حالة دون أن يرى مولاها

الأكوان ثابتة بإثباته وممحوة بأحدية ذاته الأكوان من
ذاتها العدم المحض كما تقدم وإنما حصل لها وصف الشهود بإثبات الله تعالى
لها وجعلها أكوانا فالثبوت لها أمر عرضي والحق اللازم هو وجود أحدية الله
تعالى والأحدية مبالغة في الوحدة ولا تتحقق إلا إذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن أن يكون
أشد ولا أكمل منها فمن مقتضى حقيقتها محو الأكوان وبطلانها بحيث لا توجد إذ
لو وجدت لم تكن أحدية ولكان في ذلك تعدد واثنينية كما قيل وربما عبر وفي خده
فلتاه ليس ذاك عندي فقال ما عندكم فقلنا :: وجود فقد وفقد وجد
توحيد حق بترك حق وليس حق سواه وحد :: وأنشدوا أيضا

يسري سري من جانب القدس أقبل :: لكي يدرك الفتى عمن قد اختار
وردني للبقاء حتى أعبر عن :: جمال حضرته لكل هيمار
وطرت في ملكوت من عجائبه :: لم ألف غير وجود ما له ثار

وأنشد المؤلف لنفسه في لطائف المنن يوصي رجلا من إخوانه اسمه حسن فقال

حسن بأن ترع الوجود بأسره :: حسن فلا يشغلك عنه شاغل
وليرفعنك لتعلمن بأنه :: لا ترك إلا الذي هو حاصل
ومتى شهدت سواه فاعلم أنه :: من وهمك إذ أنت وقلبك ذاهل
حسبت إله شهوده لوجوده :: والله يعلم ما يقول القائل
ولقد أشرت إلى الصريح من الهدى :: دلت عليه إن فهمت دلائل
وحقيقة كان وليس شيء دونه :: يقضي به ذا اللبيب العاقل
لا غرو أن لا نسبة منشوته :: لبزوم ترك وجمع فاعل

الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها ذم العبد لنفسه واحتقارها لما يتحققه من عيوبها

وإذا تمها

٧٢

وإذا تمها مطلوبا منه لأن ذلك يؤديه إلى الحذر من غرورها وسرورها فيصلح بذلك
أعماله وتصفو أحواله ولا فسرت عليه وأغلق لدخول الآفات عليها ولا يصرفه
عن ذلك ثناء الناس عليه ومدحهم له لأنه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره
ثم إنهم لما قاموا بحق ما يجب عليهم من المدح له وحسن الظن به ينبغي أيضا أن يقوم
هو بحق ما يجب عليه من اتهام نفسه اعتقاده فيها قال بعضهم من فرح بمدح
فقد أمكن الشيطان أن يدخل في بطنه وقال آخر إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان
أحب إليك من أن يقال لك بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل أنت فأنت
والله بئس الرجل وقيل لبعض الصحابة رضي الله عنهم لن يزال الناس بخير
ما أبقاك الله فيهم فغضب وقال إني لأحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح
اللهم إن عبدك تقرب إلي بمقتك فأشهدك على مقته وقال آخر اللهم
اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون قال
الإمام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه وإنما كره المدح حقيقة أن يفرحوا
بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله تعالى
يبغض إليهم مدح الخلق لأن الممدوح هو المقرب إلى الله تعالى والمذموم على الحقيقة
هو المبعد عن الله تعالى الملقى في النار مع الأشرار فهذا الممدوح إن كان عند الله
تعالى من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة
فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثنائه عليه إذ ليس أمره بيد
الخلق ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته إلى مدح الخلق
وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه انتهى
كلام أبي حامد رضي الله عنه. **المؤمن إذا مدح استحيا من الله
أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه** المؤمن الحقيقي هو الذي
لا يشهد من نفسه صفة محمودة يستحق بها أن يمدح أو يثنى عليه
وإنما يشهد ذلك من ربه عز وجل فإذا أثنى الناس عليه وذكروا محاسنه
استحيا من الله تعالى استحياء تعظيم وإجلال أن يثنى عليه بصفة ليست
فيه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واحتقارا لها ونفورا عنها وبقوا عنده
رؤية إحسان الله تعالى إليه وشهود فضله في إظهار المحاسن عليه وهذا

فهو الشكر الذي يثاب به المزيد مع سلامته من الشكور الذي ينشاء الكبير ○

أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس لاغترار بمدح
الناس وثنائهم غاية في الجهل والغباوة وذلك من علامات الحمق لأن المغتر
بذلك ترك يقينه لظن غيره به وهو على كل حال أعلم بنفسه وقد شبه
الحارث المحاسبي رضي الله عنه الراضي بالمدح بالباطل بمن يهزأ به ويقال له
إن الفضلة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى
بالسخرية به قلت ولا شك أن الذنوب والعيوب التي يعلمها العبد من نفسه
أشد وأقذر من العذرة التي تخرج من جوفه ولا فرق بين الحالين إلا أنه في المدح
يعلم أن المادح لم يشاركه في معرفة ذنوبه وعيوبه مشاركة ذلك المستهزئ
للمستهزأ به في معرفة حال ما يخرج من جوفه فهو لجهله وغباوته قد رضي
بأن يكون له في قلوب الغير الجاهلين قدر وجاه من غير مبالاة بسقوطه من عين
مولاه الذي يعلم من حاله ما لا يعلمه ولا غيره من حيث رضي بالمدح وفرح بها
ولم يقابل ذلك بالإباء والكراهية هذا إذا كان المادح من أهل العلم والدين
وأما إذا كان جاهلا أو فاسقا فلا عبارة أعظم من الرضا بمدحهم والفرح به قال
يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه تزكية الأشرار هجنة بك وحبهم لك عيب
عليك وقيل لبعض الحكماء إن العامة يثنون عليك فقال أخاف الوحشة من ذلك
وقال لعلهم رأوا مني شيئا أعجبهم ولا خير في شيء يسرهم ويعجبهم وروي
عن بعض الحكماء أنه مدحه بعض العوام فبكى فقال له تلميذه أتبكي وقد
مدحك فقال له إنه لم يمدحني حتى وافق بعض خلقي خلقه فلذلك بكيت
فانظر هذا فقد نبهك هذا الحكيم على العلة في ذلك **إذا أطلق الثناء
عليك ولست له بأهل فأثن عليه بما هو أهله**
المؤمن هو الذي لا يرى نفسه أهلا أن يمدح أو يثنى عليه لأن موجبات ذلك
لم ير له منها شيء كما تقدم فإذا أطلق الله ألسنة الناس بالثناء عليه ولا
أهلية فيه لذلك فينبغي أن يعرف الحق لأهله فيستعمل نفسه بالثناء
على الله بما هو أهله ليكون ذلك شكرا لنعمة إطلاق الألسنة بالثناء عليه
من غير استحقاق لذلك ولا ثبوت أهليه **الزهاد إذا مدحوا انقبضوا**

تشهد

٧٣

**لشهود هم الثناء من الخلق والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم
ذلك من الملك الحق** تقدم أن الزهاد في غير الله تعالى فهم لا يشاهدون
إلا الخلق فإذا مدحوا أو أثني عليهم شهدوا ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك
لأنهم يخافون من فوات نصيبهم من ربهم لأجل ما يتوقعون من الاغترار بذلك
والعارفون حاضرون مع ربهم فهم لا يشاهدون معه غيره فإذا مدحوا شهدوا
الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك وكان ذلك مزيدا في حالهم ومقامهم ليغيبهم
عن أنفسهم كان بعضهم يمدح وهو ساكت فقيل له في ذلك فقال وما علي من
ذلك ولست أعلمه في نفسي بل الستار في البين والممدوح والمثني هو الله
عز وجل وقيل هذا المعنى في الخبر المروي إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه
قال أبو طالب المكي رضي الله عنه وفيه تعريف للعارفين أن يعلوا الإيمان
العلي إلى المولى الأعلى فيفرح بذلك لمولاه ويضيفه إلى سيده الذي تولاه
فيرد الصنعة إلى صانعها ويشهد من الفطرة فاطرها فيكون ذلك مدحا
للصانع ووصفا للفاطر لا ينظر إلى وصفه ولا يتعجب بنفسه انتهى **قلت**
وللمؤلف رحمه الله قصائد في مدح شيخه أبي العباس المرسي رضي الله عنه وكان
ينشدها بين يديه ويقع منه ذلك موقعا عظيما وكان يستعيد من بعضها
ويقول له في بعضها أيدك الله بروح القدس نحو ما كان يقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لشاعره حسان بن ثابت مع أن حب المدح عندهم من
الرذائل التي تشبه الفضائل ولهذا الشكر والشهود الجمعي استقام
لهم من مدحهم لأنفسهم وثنائهم عليها ما لم يستقم لغيرهم كما وقع لجماعة
منهم وقد روي في ذلك عن سيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي أبي الحسن
الشاذلي وسيدي أبي العباس المرسي رضي الله عن جميعهم غير شيء مع أن ذلك
معروف عندهم من الصرف القبيح وما ذلك إلا لما ذكرناه ولا يتأول ما وقع
لهم من ذلك بما يتأول به علماء الظاهر مدح يوسف عليه السلام لنفسه
وثنائه عليها بغاية الحفظ والعلم لعدم الحاجة إليه في هذا المقام والله
تعالى أعلم وعلامة الصادق في حب المدح وإن كان صاحب هذا المقام
لا يحتاج إلى علامة أن لا يكره ذم الناس له من حيث نسبة ذلك إليهم

لأنهم مصروفون في قبضة القدرة فيسمح لهم ويصفح عنهم ولا يجري في قلبه عليهم
ولا يحمل بشيء من الأذى إليهم كما قيل: رب رام لي بأحجار الأذى لم أجد بدا من
العطف عليه ۞ فعسى يطلع الله على فرح القوم فيدنيني إليه ۞ متى كنت
إذا أعطيت بسطك العطاء وإذا منعت قبضك المنع فاستدل
بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك
۞ القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات بقاء الحظ
والعمل على قلبه وهو مناقض للعبودية عند العارفين فمن وجد ذلك فليعرف
به عدم صدقه في عبوديته وأنه طفيلي بين أهل الله تعالى في ادعائه مقاما
لهم وهو لم يصل له والطفيلي هو الذي يأتي إلى الولائم والضيافات فيدخل مع أهلها
من غير دعوة وهو منسوب إلى رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان
كان يقال له طفيل الأعراس وطفيل العرائس وكان يأتي الولائم من غير أن يدعى
إليها فشبه صاحب الكتاب هذا به قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي
رضي الله عنه أكثر الخلق مع الله تعالى في أحوالهم وإرادتهم على الظنون والتحقق
منهم له قليل ألا ترى أنه تعالى يقول وما يتبع أكثرهم إلا ظنا فمن تحقق في حاله
مع الله تعالى غاب عن كل ما منه وله من الأحوال والأفعال نظرا إلى ما إليه من
رعاية الحق وحياطته وتوليه وكان للحق من حيث الحق له لا من حيث
هو للحق ولكن أكثر الفقير يشيرون إليه بالمعرفة ويظهرون حالة المحبة
فإذا أورد عليهم وارد بلاء أو خلاف مراد رجعت نفوسهم إلى حد الإشفاق
عليها والاهتمام بها ونسوا ما دعوا به وما أشاروا إليه ولو كانوا للحق
من حيث الاستحقاق لنسوا في جنب ما أشاروا إليه جميع المراد سواه ومن
كان من حصل في ميدان الوصول لا يعترض عليه عارض خلاف وأذهله
حاله عما سواه وقال رضي الله عنه إذا وقع منك ذنب
فلا يكن سببا يؤيسك من حصول الاستقامة مع
ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك
۞ الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الفلتة
والهفوة إذا أجرى القدر عليه بذلك وإنما يناقضها الإصرار عليه

فإذا وقع

فإذا وقع من العبد ذنب فينبغي له أن يبادر إلى التوبة منه والإياس بسببها ووقوعه
فيه من الاستقامة مع ربه فيرى أنه لم يزكه وأبعده رؤية توجب له القنوط من رحمة
الله والإياس من روح الله لأنه قد يكون ذلك الذنب آخر ذنب قدر عليه وقد وقع
ذلك وفرغ منه وقال رضي الله إذا أردت أن ينفتح لك باب الرجاء فاشهد
ما منه إليك وإذا أردت أن ينفتح لك باب الحزن فاشهد ما منك إليه
الرجاء والحزن حالان عن مشاهدتين فمن أراد أن ينفتح له باب الرجاء فليشهد ما
من الله له من الفضل والكرم والإسعاف والألطاف فسيغلب عليه حينئذ حال
الرجاء ومن أراد أن ينفتح له باب الحزن فليشهد ما منه إلى الله تعالى من المخالفة
والعصيان وسوء الأدب بين يديه فسيغلب عليه حينئذ حال الحزن وقال
أيضا رضي الله عنه ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده
في إشراق نهار البسط لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا
تقدم أن القبض يؤثره العارفون على البسط لما فيه من عدم حظ النفس
ووجود قدرتهم على الوفاء بأدائه دون البسط وقد ينفتح لهم فيه من أبواب
المعارف ما لا ينفتح لهم في البسط فينبغي للعبد أن يعرف نعمة الله تعالى
عليه في ليل القبض كما يعرفه في إشراق نهار البسط كما يعلم أن في الليل
من المنافع ما ليس في النهار فليكن على ذلك الدربة ويحسن ظنه به فإنه
لا يدري أيهما أقرب له نفعا كما أشار إليه بالآية الكريمة وتشبيه القبض بالليل
والبسط بالنهار مجاز بديع وقد تقدم نحوه في كلام سيدي أبي الحسن رضي الله
وقال رضي الله عنه مطالع الأنوار القلوب والأسرار ۞
نجوم العلم وأقمار التوحيد وشموس المعرفة مطالعها وموضع شروقها
قلوب العارفين وأسرارهم وهذه هي الأنوار الحقيقية من المطالع الروحانية
بخلاف الأنوار المحسوسة قال في لطائف المنن واعلم أن الله سبحانه إذا تولى
وليا صان قلبه من الأغيار وحرسه بدوام الأنوار حتى لقد قال بعض العارفين إذا كان
الله سبحانه قد حرس السماء بالكواكب والشهب كي لا يسترق السمع منها فقلب
المؤمن أولى بذلك يقول الله تعالى فيما يحكيه عنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن فانظر رحمك الله هذا

والأمر الكبير الذي أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة أهلا ولهذا قال الشيخ
أبو الحسن رضي الله عنه لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء
والأرض فما ظنك بنور المؤمن المطيع قال ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي
الله عنه يقول لو كشف عن حقيقة الولي لعُبد لأن أوصافه من أوصافه ونعوته
من نعوته قال ولقد أخبرني بعض المريدين قال صليت خلف شيخي
صلاة فشهدت ما بهر عقلي وذلك أني شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته وانبثقت
الأنوار من وجوده حتى أني لم أستطع النظر إليه قال فلو كشف الحق تعالى
عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات أنوار
قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب
وأنوار قلوب أولياء الله لا كسوف لها ولا غروب كذا قال قائلهم

إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب ه **وقال** رضي الله عنه
نور مستودع في القلوب مدده النور الوارد من خزائن الغيوب
نور اليقين المستودع في القلوب يستمد ويتزايد ضياؤه من النور الوارد من خزائن
الغيوب وهو نور الأوصاف الأزلية كما ذكرناه عن الشيخ أبي العباس المرسي
رضي الله عنه فقال هذا وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله أنار الظواهر
بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه ه **وقال** رضي الله عنه
**نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به
عن أوصافه** النور المدرك بالحواس يكشف لك به عن آثاره وهي
الأكوان المحدثة وليس لك إليه كبير حاجة من حيث تستدل بها على
المؤثر والنور المستودع في القلوب يكشف لك به عن أوصافه الأزلية حتى
تراها عيانا وفي هذا غاية بغيتك وبه شرف قدرك ومنزلتك إذ بذلك تتحقق
في المعرفة وترتفع في المشاهدة ولا تحتاج إلى دليل برهان وهذا من قبيل ما بين النورين
قال في لطائف المنن نور الشمس يشهد به الآثار ونور اليقين يشهد به المؤثر قال
ولنا في هذا المعنى: هذه الشموس قابلتنا بنور ولشمس اليقين أبهر نورا
فرأينا بهذه النور لكن بها تيك قد رأينا المنيرا ه **وقال** رضي الله عنه ربما
وقفت القلوب مع الأنوار كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار القلوب نورانية

فتنحجب

فتنحجب بوقوفها مع لطائف الأغيار النورانية من العلوم والمعارف والنفوس

ظلمانية فتنحجب بصحبتها الكثائف الأغيار الظلمانية من العادات والشهوات
فالقلوب محجوبة بالأنوار كما النفوس محجوبة بالظلمات والحق وراء ذلك كله
قال أبو الحسن الششتري رحمة الله عليه في قصيدته النونية

تعينت للأوهام لما تراكمت : عليك ونور العقل أورثك السنا ه
وهمت بأنوار فهمنا أصولها : ومنبعها من أين كان فهمتنا ه
وقد تحجب الأنوار للعبد مثلما : تبعد من إظلام نفس حوت ضنا ه

وقال رضي الله عنه **ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر إجلالا لها
أن تبتذل بوجود الإظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار** أنوار السرائر إنما
حجبها عن العيان بما سترها به من كثائف الظواهر مع ظهورها التام لأنه ينبغي
أن يكون إجلالها لأنها رفيعة القدر جليلة الخطر فأجلها عن الابتذال لها بوجود
إظهارها وصانها من أن ينادى عليها بلسان الاشتهار بين الأغيار فيكون ذلك
نوعا من الإهانة بها وقد تقدم مثل هذا المعنى في قوله سبحان من ستر
سر الخصوصية بظهور البشرية ه **وقال** رضي الله عنه **سبحان من لم
يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل
إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه** لا دليل على الله سواه ولا وصول
إليه بغيره وكذلك أولياؤه ولما كان الوصول إلى الله تعالى لا يكون إلا بالعناية
والخصوصية يستحيل أن يكون بطلب أو بسبب كان أولياؤه المخصوصون بالقرب
كذلك لما خلع عليهم الخلع العظيم وتولاهم بمنته الجسيمة واصطفاهم لنفسه
واختصهم بمحبته وأنسه وطهر أسرارهم من أدناس الأغيار وصار قلوبهم بما
أودع فيها من الأنوار والأسرار فكانوا لذلك صيانته في عباده وخباياه في بلاده
كما قال في بعض الإشارات عنه سبحانه أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم أحد غيري
وهذا من غيرته عليهم لأن الحق تعالى أغير على أوليائه من أن يظهرهم إلى من لا يعرفهم
فلم يجعل لأحد دليلا عليهم إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم إلا من أراد
أن يوصله إليه لأنه يلبسهم لباس التلبيس بين الأنام ويظهرهم بما يخفي لهم
في أعين الخواص والعوام فلا يكون لأحد دليل عليهم أو وصول بسبب إليهم

قال في لطائف المنن فأولياء الله أهل كهف الإيواء فقليل من يعرفهم قال وقد سمعته يعني
شيخه أبا العباس رضي الله يقول معرفة الولي أصعب من معرفة الله فإن الله معروف
بكماله وجماله وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب
قال فيه وإذا أراد الله أن يعرفك بولي من أوليائه طوى عنك وجود بشريته
وأشهدك وجود خصوصيته وقال صاحب كتاب أنوار القلوب لله سبحانه
عباد ضن بهم عن العامة وأظهرهم للخاصة والعامة وعباد أظهرهم للخاصة
فلا يعرفهم إلا أشكالهم أو محب لهم ولله عباد ضن بهم عن الخاصة والعامة وعباد أظهرهم
للخاصة والعامة ولله عباد لا يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية ولله عباد
يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية ولله عباد لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم إلى
الحفظة فمن سواهم حتى يأتونه بما أودعهم منه في قلوبهم وهم شهداء الملكوت الأعلى
والصفح الأيمن من العرش الذين يتولى الله قبض أرواحهم بيده فتطيب أجسادهم
به فلا يعدو عليها الثرى حتى يبعثوا بها مشرقة نور البقاء المجعول فيهم ببقاء
الأبد مع الباقي الآخر عز وجل انتهى وقال أبو يزيد رضي الله عنه أولياء الله تعالى
عرائس ولا يرى العرائس إلا من كان محرما لهم وأما غيرهم فلا وهم محذورون عنده في حجال الأ
نس لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة وقال أبو علي الجوزجاني رضي الله عنه
الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة الحق تولى الله سبحانه سياسته
فتوالت عليه أنوار لم يكن له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله عز وجل قرار وفي الإشارات
عن الله سبحانه إنما سمي الولي وليا لأنه يليني دون ما سواه فهم منزهون
بتنزيه الحق تعالى لهم من أن يوصل إليهم بغيره ولذلك صدر المؤلف رحمه الله
كلامه بالتسبيح وقال رضي الله عنه ربما أطلعك على غيب ملكوته
رُبَّمَا أَطْلَعَكَ عَلَى غَيْبِ مَلَكُوتِهِ وَحَجَبَ عَنْكَ الاِسْتِشْرَافَ عَلَى أَسْرَارِ
العِبَادِ من لطف الله تعالى إخفاء أسرار الناس بعضهم عن بعض لا سيما سر
يقتضي وجود عيب وهو ظاهر ما ذكره المؤلف هنا بدليل الكلام الذي عقبه به
وقد يظهر لبعض الناس ما سوى ذلك من الأسرار الملكوتية ووجه الفرق بينهما
ما ذكره المؤلف الآن ويحتمل أن يريد ما هو أعم مما ذكرناه ويدخل في ذلك أسرار
الولاية إذا اختص الحق تعالى بها بعض عباده ويكون في ذلك تنبيه على العلة

الموجب

الموجبة لخفاء الولي حسبما ذكره المؤلف في المسألة التي فرغنا منها حتى يمتنع
الوصول إليه بسبب أو طلب وإخفاء ذلك أيضا عن عامة المؤمنين من النعم العظيمة
إذ لو ظهرت أسرار الولاية على أحد لأوجبت على من ظهرت له حقوقا لا يقدر على القيام
بها فإن فرط في ذلك وفرط القيام فتلك الحقوق ربما وقع بسبب ذلك في محذور إن
لا يقام لها شيء وقد فهمنا هذا المعنى من كلام سهل بن عبد الله رضي الله عنه وقد
سأله بعض تلامذته كيف يعرف أولياء الله فقال إن الله تعالى لا يعرفهم إلا أشكالهم
لهم أو من أراد أن ينفعه بهم ولو حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم ومن خالفهم
بعد علمه بهم كفر ومن قعد عنهم حرج ولكن الله تعالى جعل اختياره تغطية
أمورهم رحمة منه لخلقه ورأفة ولكن الله قد أخبر بكراماتهم فقال جل وعز الله ولي
الذين آمنوا والله ولي المؤمنين فلا بد لهم به ولو حتى يعرفهم لكانا في النظر إليهم
حجة وكان الاستماع لحديثهم فرضا انتهى كلام سهل رضي الله عنه وفهمته
أيضا من الكلام الذي ذكره الشيخ أبو طالب رضي الله عنه في كتاب الشكر قال فيه
ثم بعد ذلك من لطائف النعم شمول ستره لهم بعضهم من بعض وسترهم عن العلماء
والفجر منهم لولا ذلك لما نظروا إليهم ثم حجب الصالحين عنهم ولو أظهر عليهم آيات
يعرفونها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقربه منهم
لبطل ثواب المحسنين إليهم ولحرم قبول إحسانهم إليهم ولحبطت أعمال المسيئين
إليهم فلحي حجب ذلك وستره ما عمل العاملون لهم في الخير والشر على الرجاء وحسن
الظن من وراء حجاب الغيب وتأخرت عقوبات المؤذين لهم عن المعاجلة لما استتر
عليهم من عظيم شأنهم عند الله عز وجل وجليل قدرهم وفي ستر هذا نعم عظيمة
على الصالحين في نفوسهم من سلامة دينهم وفيه بقيتهم ونعم جليلة على
المنتهكين بحرمتهم المصغرين لشعائر الله تعالى من أجلهم إذ كانوا أساؤوا إليهم
من وراء حجاب فهذا هو لطف خفي من لطف المنعم الوهاب كما جاء في الخبر من
آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم إن الناس لولي فقد يكون مثل ذلك من
آذى لي نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل أن يخبر أنه رسول الله وأن الله عز وجل نبأه
فلا يكون وزره وزر من انتهك حرمة من كان أعلمه أنه نبي الله عز وجل لعظم
حرمة النبوة انتهى ما ذكره الشيخ أبو طالب والوجه الأول أولى في تقرير معنى

ما ذكره المؤلف والله اعلم **وقال** رضي الله عنه **من اطلع على أسرار العباد**
ولم يتخلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببا يجر الوبال
إليه المطلع على الأسرار التي تقتضي وجود العيب اذا لم يتخلق صاحبه بالرحمة
الإلهية فيرحم المذنبين ويحلم على الظالمين ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين
ويرأف بعباد الله اجمعين فانه يكون ذلك الاطلاع فتنة عليه لان ذلك يؤديه
الى رؤية نفسه واستعظام امرها والعجب بعمله والتكبر على غيره وهذا هو
اعظم الفتنة ويكون ايضا سببا الى جر الوبال اليه من اجل منازعته الصفات ربه ومنازعة
لكبريائه وعظمته وهذا هو اعظم الوبال وغاية الخزي والنكال وفي بعض الاخبار
المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزعت الرحمة الا من شقي وفي حديث
عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وفي الاشارات
عن الله سبحانه ان استخلط شفقتك من الرحمانية شفقا فكن ارحم بالمرء
من نفسه وقد ادب الله خليله ابراهيم عليه السلام في بعض مواطنه العظيمة القرار
وعلمه كيف يتخلق بهذا الخلق الكريم عند اطلاعه على الاسرار روي عن قسامة بن زهير
رضي الله عنه انه قال بلغني ان ابراهيم عليه السلام حدثته نفسه انه ارحم الخلق فقال
فرفعه الله تعالى حتى اشرف على اهل الارض فابصر اعمالهم وما يعملون فقال
يا رب دمر عليهم فقال الله تعالى انا ارحم بعبادي منك يا ابراهيم اهبط فلعلهم
يتوبون ويرجعون وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما
ارى الله ابراهيم ملكوت السموات والارض اشرف على رجل بمعصية من معاصي الله
عز وجل فدعا الله عليه فهلك وكذلك على اخر واخر فهلكوا فاوحى الله تعالى
اليه يا ابراهيم انك مستجاب الدعوة فلا تدع على عبادي فانهم مني على ثلاثة
خصال اما ان يتوب الي فاتوب عليه واما ان اخرج من ظهره نسمة تسبح لي
واما ان يبعث الي فان شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته وقيل ان سبب
امر الله تعالى له بذبح ولده هو هذا المعنى الذي ظهر منه من غلظته على العصاة وقلة
رحمته لهم ذكر في بعض التفاسير انه عليه السلام كان يعرج به كل ليلة الى السماء وهو قوله
تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض فعرج به ذات ليلة فاطلع على مذنب

على

على فاحشة فقال اللهم اهلكه يا كان رزقك ويمشي على ارضك ويخالف امرك
فاهلكه الله تعالى فاطلع على اخر فقال اللهم اهلكه فنودي يا ابراهيم خل عن
عبادي رويدا رويدا فاني كما ما رايتهم عاصين فلما اصبح اري في المنام ما ذكر الله
تعالى حيث يقول اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى فلما تشمر لذلك واخذ
السكين بيده قال اللهم هذا ولدي وثمرة فؤادي واحب الناس الي فسمع قائلا يقول
اما تذكر الليلة سالت اهلاك عبيدي وما تعلم اني رحيم بعبادي كما انت شفيق بولدك
فاذا سالتني اهلاك عبيدي اسالك ذبح ولدك واحدا بواحد والبادي اظلم

٧٧

حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي
ومداواة ما يخفى صعب علاجه النفس من شأنها ابدا طلب الحظوظ
والفرار من الحقوق فهي لا تسعى الا في ذلك ولو في عملها بالطاعات فضلا عن
المعاصي ومن حاسب نفسه وراقب خواطره تبين له مصداق هذا وقد تجد
من النشاط واللذات في نوع من العبادة ما لا تجده في نوع اخر وان كان هذا النوع
الاخر اتم فضيلة منه وما ذلك الا لاجل الحظوظ فيه اكثر من الاخر فاهل الخبرة
والبصيرة يتهمون انفسهم اذا انفتح باب من الابواب في العبادات لمعرفتهم بخدعها
ومكايدها فيفتشون ذلك عليها ويتنقلون فيها وقد حكي عن ابي محمد المرتعش رضي
الله عنه انه قال حججت كذا وكذا حجة على التجريد فبان لي ان جميع ذلك كان مشوبا بحظي
وذلك ان والدتي سألتني يوما ان استقي لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسي
فعلمت ان مطاوعة نفسي في الحجات كانت بحظ وشوب من نفسي اذ لو
كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع فهذا مما يبين ان حظ
النفس في الطاعة موجود ولكنه خفي على العامل فلذلك تعسر مداواته لانه يحتاج
الى دقة فهم ونفوذ ادراك ليتفطن بذلك لافات نفسه ولطائف خدعها وخفايا
حظوظها فيعمل على تصفية اعماله من ذلك فلا جرم اذ كان ذلك متعذرا يجب
عليه اتهام نفسه ومخالفتها في كل ما تدعو اليه كائنا ما كان قال الشيخ
ابو بكر الخفاف رضي الله عنه سمعت بعض مشايخنا يقول عن احمد بن ارقم البلخي
قال حدثتني نفسي بالخروج الى استحباب الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى
يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها

استوحشت فتبرز لفي الناس وتستروح اليهم وتسامع الناس فيستقبلونها
بالتعظيم والبر والاكرام فقلت لها لا اسلك العمران ولا انزل على معرفة فلا جابتني
واساتها بها وقلت الله اصدق قولا فقلت لها قاتل العدو حاسرا فتكوني اول قتيل
فاجابتني وعن اشياء مما اراد هابه وهي في كل ذلك تجيب قال فقلت يا رب انبهني لها
فاني لها اتهم ولقولك مصدق فالهمت كانها تقول اني انك تقتلني كل يوم مرات
بخالفتك اياي ومنع شهواتي ولا يشعر بي احد فان قاتلت فقتلت كانت قتلة واحدة
فنجوت منك وتسامع الناس فيقال استشهد احمد فيكون شرفا لي وذكرا في الناس
قال فقعدت ولم اخرج العام فهاكذا خروج النفس وغرورها اعاذنا الله من شرها
وسيئات من كلام المؤلف رحمه الله اذا التبس عليك امران انظر اثقلهما على النفس
واتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا ومن علامة تحقق الرياء عليك عشقك
لا ينظر الخلق اليك فرياء العمل بالعمل حيث يكون مرادا من الناس كاظهار
لا يحتاج الى امارة عليه ورياء لا يعلمه حيث لا يراه احد امر خفي لا يعرف
الا بالامارات والعلامات بل هو اخفى من دبيب النمل ومن اماراته ان يلتمس
بقلبه توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه في المحافل والمجالس ومسارعتهم
الى قضاء حوائجه واذا قصر احد في حقه الذي يستحقه عند نفسه استبعد
ذلك واستنكره وتجد تفرقة بين احترامه واكرام غيره واهانته واهانة
سواه حتى ربما يظهر بعض ضعفاء العقول ذلك على السنتهم فيتوعدون من
قصر في حقه بمعاجلة الله له بالعقوبة وان الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لهم
وياخذ بثارهم فاذا وجد العبد هذه الامارات في نفسه فليعلم انه مراء بعمله وان
خفاه عن الناس وقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى يقول
للعلماء يوم القيامة الم تكونوا ايرخص عليكم السعر الم تكونوا تبادرون بالسلام
الم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال
عبد الله بن المبارك رضي الله عنه روى وهب بن منبه رضي الله عنه ان رجلا من
العباد قال لاصحابه انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل
علينا في امرنا هذا اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب
ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا

احب

احب ان يرخص عليه لمكان دينه اي فصرك فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكبه
من الناس فاذا السهول والجبال قد امتلئ من الناس فقال السائح ما هذا فقيل له هذا
الملك اي فصرك فقال للغلام ائتيني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر
فاقبل يحشو شدقه وياكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم فقالوا هذا
قال كيف انت قال كالناس وفي حديث اخر بخير فقال الملك ما عند هذا
من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام
ومن هذا النوع من الرياء خاف الكبار وعدوا انفسهم بسببه من الاشرار
كما روي عن الفضيل بن عياض رضي الله عنه انه قال من اراد ان ينظر الى مرائي
فلينظر الي وسمع مالك بن دينار رضي الله عنه امراة وهي تقول له يا مرائي
فقال لها يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة ودخل رجل على داود
الطائي رضي الله عنه فقال له ما حاجتك قال زيارتك فقال اما انت
فقد عملت خيرا حين زرتنا ولكن انظر ماذا ينزل بي انا اذا قيل لي من انت
فتزار امن الزهاد انت لا والله امن العباد انت امن الصالحين انت لا والله ثم اقبل
يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما كبرت صرت مرائيا والله
للمرائي شر من الفاسق الى غير هذا مما روي عنهم في هذا المعنى ولا يسلم
من الرياء الجلي والخفي الا العارفون الموحدون لان الله تعالى طهرهم من دقائق
الشرك وغيب عن نظرهم رؤية الخلق بما اشرق على قلوبهم من انوار اليقين
والمعرفة فلم يرجوا منهم حصول منفعة ولم يخافوا من قبله وجود مضرة
فاعمالهم هواء خالصة وان عملوها بين اظهر الناس وبمرأى منهم ومن لم يحك بهذا
وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار فهو مراء بعمله وان
عبد الله تعالى في قنة جبل بحيث لا يراه احد ولا يسمع به وقد تقدم قول يوسف
بن الحسين الرازي رضي الله عنه اعز شيء في الدنيا الاخلاص وكم اجتهد في اسقاط
الرياء عن قلبي فكانه ينبت فيه على لون اخر **استشرافك ان يعلم الخلق**
بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك
الخصوصية ها هنا ما اختص الله تعالى به بعض عباده من علم نافع

او عمل صالح وصرف العبودية فيه ان يقنع بعلم الله تعالى بحاله ولا يتطلع الى
ان يعرف بذلك احد من الخلق فيشغله حينئذ الحياء من ربه والشكر له عن الاستشراف
الى معرفة الخلق بذلك ويغار على حاله من رؤية الاغيار له ولهذا فضل عمل
السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا كما ورد في الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم
وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه وليمسح
شفتيه فاذا خرج الى الناس راوا انه لم يصم واذا اعطى احدكم فليعط بيمينه
وليخفها من شماله واذا صلى احدكم فليرخ عليه ستر بابه فان الله تعالى يقسم
الثناء كما يقسم الرزق وقد سئل حكيم من الحكماء عن علامة الصادق فقال كتمان
الطاعة وقال احمد بن ابي الحواري رضي الله عنه من احب ان يعرف بشيء من الخير
ويذكر به فقد اشرك في عبادته لان من عبد على المحبة لا يحب ان يرى خدمته سوا
مخدومه وقال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه كل من لم يقنع
في احواله واقواله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء لا محالة وقال بعضهم
ما اخلص احد قط الا احب ان يكون في جب لا يعرف وقال سهل بن عبد الله التستري
رضي الله عنه من احب ان يطلع الخلق على ما بينه وبين الله فهو غافل وقال
ابو الخير الاقطع رضي الله عنه من احب ان يطلع الناس على عمله فهو مراء ومن
ومن احب ان يطلع الناس على حاله فهو كذاب وقال بعضهم لمن استوصاه
لا تحب ان تعرف ولا تحب ان يعرف انك ممن لا تحب ان يعرف فعلى العبد اخفاء حاله
جهده وان يبلغ في كتمانه اقصى ما عنده قال الحسن رضي الله ادركت اقواما
ما من احد منهم يستطيع ان يسر شيئا من عمله الا اسره وان كان الرجل ليجلس
مع القوم وانه لفقيه وما يعلم حتى يقوم ولقد ادركت اقواما ياتي احدهم
الزور فيقوم فيصلي وما يشعر به الزور ولقد ادركت اقواما وما من عمل يقدرون
ان يعملوه لله تعالى سرا فيكون علانية ابدا ولقد ادركت اقواما يجمع احدهم
القران وما يعرف به جاره ولقد ادركت اقواما يجتهدون في الدعاء وما يسمع
وقال محمد بن واسع رضي الله عنه ادركت رجالا كان الرجل يكون راسه
مع راس امراته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به

امراته

امراته ولقد ادركت رجالا يقوم احدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا
يشعر به الذي الى جنبه وفي رواية عنه ان كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامراته معه
لا تعلم فان وقع منه اعلان واظهار في وقت ما فليشتغل حينئذ بمراقبة قلبه وصونه
عن ان يعمل فيه الفرح باطلاع الناس على حاله ولينكر ذلك على نفسه ويكرهه ولا
يرضيه منها وليجاهد نفسه في ذلك اشد المجاهدة فان خالف هذا واستشرف
الى معرفة غير الله بحاله وغفل عن مجاهدة نفسه في حال ظهور ذلك منه ولو في
لحظة خفيفة عليه ان يعمل الفرح في قلبه فيقع عند ذلك في الفتنة فان كان ضعيف
الارادة لم يسلم من الوقوع في الرياء الجلي والخفي لا بسببه قد استقصت له وان كان
قوي الارادة وسالكا سبيل المعرفة لم يسلم من السكون والركون فيعقد حينئذ الغيرة
على الحال ويحط بذلك عن درجة الكمال ولهذا كان اسقاط المنزلة عند الناس من ضروريات
سالكي هذه الطريق كما تقدم عند قوله ادفن وجودك في ارض الخمول فان تحقق
العبد في المعرفة ومشاهدة الوحدانية الصرفة جاز له الاخبار باعماله والاظهار
لمحاسن احواله فيكون منه على نفي الغير واداء الواجب حق الشكر كان بعض
السلف يصبح فيقول صليت البارحة كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا
سورة فيقال له اما تخشى من الرياء فيقول ويلكم ارايتم من يراءي بفعل غيره وكان
اخر يفعل مثل ذلك فيقال له لم لا تكتم ذلك فيقول الم يقل الله سبحانه واما
بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث فان قصد من هذا حاله الى هداية عباد الله
ودعائهم الى الله فاظهر احواله واعماله للاقتداء والاهتداء بهديه فهو خارج عن
النمط كله وداخل في حكم هذا المنزع الثاني وعلانية هذا افضل من سره لانه
سلم من الافات التي تعرض لمن اسره وحصلت منه الفوائد التي تضمنها اظهاره
وجهره وقد جاء في الخبر السر افضل من العلانية والعلانية افضل لمن اراد
الاقتداء وهذا ارجح الوجوه عند العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم للرجل
الذي ساله عن فرحه باطلاع الناس على بعض اعماله لك اجران اجر السر
واجر العلانية وقد فعل ما ذكرناه من الاظهار جماعة من الصحابة والتابعين
منعنا من ذكر وقائعهم خشية الاطالة وكان ذلك منهم لاجل هذا الغرض
ومقام هذا العبد مقام النصحاء لعباد الله والدعاة لهم الى الله فلا جرم

كان له الدرجات العلى عند الله لانه من أئمة المتقين لله وقد اخبر الله تعالى بجزائهم
وذكر عقيب دعائهم بذلك فقال عز من قائل اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون
فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قال في لطائف المنن اعلم
ان مبنى امر الولي على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاغتناء بشهوده قال الله
سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه اليس الله بكاف
عبده وقال الم يعلم بان الله يرى وقال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد فمن
امرهم في بدايتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الاعمال وكتم الاحوال
تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص
اعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وايدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة
الفناء وردوا الى وجود البقاء فهنالك ان شاء الحق اظهرهم هادين لعباده اليه
وان شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شيء اليه وظهور الولي ليس بارادته لنفسه لكن
بارادة الله تعالى له بل من مطلبه ان كان له مطلب الخفاء لا الجلاء كما قد شاهدنا فلما
لم يكن الظهور مطلبهم واراد الله سبحانه اظهارهم فاظهرهم تولاهم في ذلك بتأييده
ووارداته من بركة لقوله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا تطلب الامارة
فانك ان اعطيتها عن غير مسألة اعنت عليها وان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها
ومن تحقق منهم بالعبودية لله تعالى لم يطلب ظهورا ولا خفاء بل ارادته
وقف على اختيار سيده **وقال** الشيخ ابو العباس رضي الله عنه من احب الظهور
فهو عبد الظهور ومن احب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله سواء عليه
اظهره ام اخفاه انتهى غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب
عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك هذا المعنى هو حقيقة
صدق عبودية العبد التي اشار اليه في المسألة التي قبل هذه وهو ان لا يكون له
شعور بما من الخلق اليه من نظر او اقبال ولا تشوف اليه ولا طلب له وانما يكون
شعوره وتشوفه وطلبه لما من الله تعالى اليه من نظره اليه واقباله عليه
فيغيب ادنى الحالين باعلاهما وذلك بان يعلم ان ما من الخلق اليه امر وهمي
باطل فينقاد اليه كل ذي عقل فاصل يوجب له هذا الانقياد انواعا من الكبائر
والرذائل من الانحطاط في اهواء الناس وتحسين مواقع نظرهم منه بالتصنع

والتزين

والتزين لهم وتربية الجاه والحشمة لديهم تكبرا وتعظما عليهم ومعاشرتهم بالنفاق
والدهان وتخالف الاسرار والاعلان وهذا عذاب اليم استعجله في دنياه اذ يفوته بذلك
راحة قلبه وطيب عيشه ويسلبه ثوب الغنى والعزة ويسلبه لباس الطمع والذلة
فتردى بذلك همته وتقل قيمته ولعذاب الآخرة اكبر وقال الشاعر
من راقب الناس مات غما ... وفاز بالراحة الجسور ورأى سهل بن عبد الله رضي الله
عنه رجلا من الفقراء بمكة فقال له اتريد شيئا فقال يا استاذ لا اقدر على هذا من اجل
الناس فالتفت سهل الى اصحابه فقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون
باحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدار الا هو وخالقه فان احدا
لا يقدر ان يضره ولا ينفعه او تسقط نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه انتهى
ثم من له بحصول ما اراده منهم واغراضهم مختلفة وطباعهم متباينة فربما
استحسن من نفسه شيئا لم يستحسنه غيره وربما ارضى شخصا فابغض
آخر فهو يعمل بزعمه فيما ينفعه عند الناس وهو ساع فيما يضره عندهم وعند الله تعالى
مع مقاساة التعب والنصب في نفسه وفي الحكاية المذكورة عن لقمان وابنه
تنبيه على هذا المعنى ذكر ان لقمان دخل يوما السوق وهو راكب حمارا وابنه يسوقه
فقال الناس حبر وادا شيخ لم يشفق على صبي فاركبه خلفه فقالوا اثنان على
حمار وهلا زاد ثالثا فنزل لقمان ونفى الولد فقالوا شيخ ماش وصبي راكب فنزل
يمشي مع ولده وساقا جميعا الحمار فقالوا حمار فارغ وهذان يسوقانه وكان
غرض لقمان بهذا ان يرى ابنه شأن الناس مع من يراعي نظرهم وانه لا يسلم منهم على
اي حالة يكون فرضى الناس غاية لا تدرك واحمق الناس من طلب ما لا يدرك فهذا حال
من انقاد الى الاوهام من ضعفاء العقول وسخفاء الاحلام واما من كان له عقل
وافر وحلم فاخر فلا يميل الا الى ما هو حق ووجود صدق وهو ما من الله تعالى
اليه من نظر واقبال وجزيل عطاء وعظيم فهو يعمل فيما يؤدي به الى هذه المطالبة
من غير اكتراث بذم ذام او عيب عائب ويقول بلسان حاله ما قال الذي ذكرهن
مني ذاك الذي تشتهيه قلبي ويقول ايضا ما قاله محمد بن اسلم رضي
الله عنه ما لي ولهذا الخلق كنت في صلب ابي وحدي ثم صرت في بطن امي
وحدي ثم دخلت الدنيا وحدي ثم يقبض روحي وحدي ثم ادخل قبري وحدي

ويأتيني منكر ونكير ويسألاني وحدي فإن صرت إلى خير صرت وحدي وإن صرت
إلى شر صرت وحدي ثم أوقف بين يدي الله تعالى وحدي ثم يوضع عملي وذنوبي في
الميزان وحدي فإن بعثت إلى الجنة بعثت وحدي وإن بعثت إلى النار بعثت وحدي
فما لي وللناس وقد سئل الحارث بن أسد المحاسبي رضي الله عنه عن علامة الصادق
فقال الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج قدره من قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه
ولا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذرة من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على
السيء من عمله فإن كراهيته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا
من أخلاق الصادقين **من عرف الحق شهده في كل شيء** فلا يستوحش من
شيء ويستأنس به كل شيء كما تقدم من نعت العارفين **ومن فني به غاب
عن كل شيء** فلا يكون منه على الأشياء اعتماد ولا له إليها استناد
ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئا من مراداته وشهواته وهذه الأمور
التي ذكرها المؤلف رحمه الله هي علامات بلوغ هذه المقامات العلية
فيها تصح وتكمل فمن لم يجدها في نفسه فلا ينبغي له أن يدعي تلك المقامات
وليجعل على مجاهدة نفسه بتصحيحها وتكميلها **إنما حجب الحق
عنك شدة قربه منك** ن شدة القرب حجابا كما أن شدة البعد
حجاب لأن شدة قربه منك موجبة لاضمحلالك وذهابك والمضمحل
الذاهب لا مناسبة بينه وبين الثابت الموجود فكيف يراه قال في لطائف
المنن فعظيم القرب هو الذي غيب عنك شهود القرب قال الشيخ أبو الحسن
حقيقة القرب أن تغيب في القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك
فلا يزال يدنو وكلما دنا منها تزايد ريحها فلما دخل البيت الذي هو فيه انقطعت
رائحته عنه وأنشد بعض العارفين كم ذا تموه بالشعبين والعلم ... والأمر أوضح من نار على علم ن
أراك تسأل عن نجد وأنت بها ... وعن تهامة هذا فعل متهم ن ن
إنما احتجب بشدة ظهوره وخفي عن الأبصار لعظم نوره هذه عبارة
تداولها الناس وضربوا لمعناها مثالا بالشمس وذلك أن الشمس نورها أقوى
من سائر الأنوار المحسوسة وقوة نورها هي التي حجبت الأبصار الضعيفة
عن إدراك كنهها فقد صار ظهورها الذي أوجبه وجود نورها حجابا لها وليس

الحجابا

الحجاب على الحقيقة منها فإن الظاهر لذاته لا تحجبه من ذاته وإنما الحجاب عليه من غيره
والحجاب هاهنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور فالحق تعالى احتجب عن الخلق بشدة
ظهوره وخفي ن عن الأبصار لعظم نوره وأنشدوا في هذا المعنى
لقد ظهرت فما تخفى على أحد ... إلا على أكمه لا يعرف القمرا ن
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا ... وكيف يعرف من بالعزة استترا ن
وأنشدوا أيضا في النور بظهر ما ترى من صورة وبه وجود الكائنات بلا امترا
لكنه يخفى لفرط ظهوره ... حسا ويدركه البصير من الورى فإذا نظرت بعين عقلك
لم تجد شيئا سواه على الذوات مصورا ... وإذا طلبت حقيقة من غيره فبدا جهلك
لا تزال معترا **وقال** رضي الله عنه **لا يكن طلبك تسببا إلى العطاء منه فيقل
فهمك عنه وليكن طلبك لإظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية**
لم يأمر الله تعالى عباده بالطلب له والسؤال منه إلا ليظهر افتقارهم إليه وتذللهم
بالتضرع والخضوع بين يديه ليكون ذلك إظهار العبودية وقياما بحقوق ربوبية
ربهم لا أن يتسببوا به إلى حصول ما طلبوه ونيل ما رغبوه مما لهم فيه منفعة
وهكذا هو فهم العارفين عن الله تعالى ويدل على هذا المعنى ما ذكره المؤلف
الآن **قال** أبو نصر السراج رضي الله عنه سألت بعض المشايخ عن الدعاء ما وجهه لأهل
التسليم والتفويض فقال ندعو الله على وجهين أحدهما نريد بذلك تزيين الجوارح
الظاهرة بالدعاء لأن الدعاء ضرب من الخدمة فيريد أن يزين جوارحه بخدمة الخدمة
والوجه الثاني أن ندعو ائتمارا لما أمر الله تعالى من الدعاء انتهى وقد قيل فائدة
الدعاء إظهار الفاقة بين يديه وإلا فالرب يفعل ما يشاء ومقتضى هذا لا ينقطع
سؤاله ولا رغبته وإن أعطاه كل مطلب وأناله كل سؤل ومأرب ولا يفرق بين العدم
والوجود والمنع والعطا فيما يرجع إلى إظهار الفاقة والفقر فيكون عبد الله في
الأحوال كلها كما أنه ربه في الأحوال كلها وقبيح بالعبد أن يصرف وجهه عن باب مولاه
لما ينيله من شهوته وهواه **قال** سيدي أبو الحسن رضي الله عنه لا يكن همك في دعائك
الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا وليكن همك مناجاة مولاك **قال** الإمام أبو القاسم
القشيري رضي الله عنه شر الناس من يبتهل إلى الله تعالى على هجوم البلاء بخلوص
الدعاء وشدة التضرع والبكاء فإذا زالت شكايته ورفعت عنه البلية ضيع

الوفاء ونسي البلاء وقابل الفرض بنقض العهد وابدال الغفر ببعض الود اولئك الذين ابعدهم الله في سابق العلم وخذلهم في سلك اهل الرد وقد قيل بلاء يلجأك الى الله تعالى خير من نعماء بنسيك ذكره ونعمة تلهيك عنه

كيف يكون طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق هذا دليل على نفي السببية المذكورة لان طلب العبد امر سابق في الازل تقديره وطلبه امر لاحق فيما لا يزال وكيف يكون اللاحق سببا في وجود السابق وهل السبب ابدا الا متقدم على المسبب **جل حكم الازل ان ينضاف الى العلل** هذا دليل اخر على ما ذكره وهو ان حصول ما طلبه الداعي حكم من الله تعالى في الازل فلا يكون سببه الدعاء والسؤال لان احكام الله تعالى تجل عن ان تضاف الى علة من قبل انه لا ارادة المكلفة والمشيئة النافذة وصنعه علة لكل شيء ولا علة لصنعه كما قاله العارفون المحققون

عنايته فيك لا لشيء منك واين كنت حين واجهتك عنايته **وقابلتك رعايته لم يكن في ازله اخلاص اعمال ولا وجود احوال** بل لم يكن هنالك الا محض الافضال وعظيم النوال

عناية الله بك في الازل حين لم تكن شيئا حين غير معلل بشيء كاين منك من اخلاص اعمال او وجود احوال تتوسل بجميع ذلك اليه واين كنت اذ ذاك وانت عدم محض بل لم يكن هنالك الا محض كرمه وافضاله وعظيم احسانه ونواله لا غير **قال** الواسطي رضي الله عنه اقسام قسمت ونعوت اجريت كيف تستجلب بحركات او تنال بسعايات

علم ان العباد يتشوفون الى ظهور سر العناية فقال يختص برحمته **من يشاء وعلم انه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا** على الازل فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين ظهور سر العناية التي مقتضاها الرحمة هو تخصيص المشيئة في قوله عز من قائل يختص برحمته من يشاء لا علة له من العبد ولا احسان المنسوب اليه في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين امارة وعلامة على تلك العناية وليس بعلة موجبة وانما اسند الرحمة اليه وعلقها به لئلا يتكل العباد على السابقة ويتركوا

العمل

العمل الذي هو مقتضى العبودية الواجبة لله عليهم الى المشيئة لكل شيء لان وقوع ما لم يشأ الحق تعالى محال **ولا تستند هي الى شيء** لاستحالة وجود النقص فيما يجب له الكمال وهذه العبارات التي ذكرها المؤلف رحمه الله من اول الفصل الى هنا بلغت الغاية في الحسن واستغنت بتمدادها وتكرارها عن البيان والشرح وفيها اشارة الى احكام الازل وقطع الاسباب والعلل فيجب على العبد ان يبني عليها اعماله واحواله فيلتزم العبودية والافتقار ويدع التدبير والاختيار لمن يدبره ذلك وهذا هو ادب التوحيد جعلنا الله من اهله بمنه وفضله **قال** ابو بكر محمد بن موسى الواسطي رضي الله عنه ان الله لا يقرب بفقير لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاعراض عنده خطر حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والاخرة ما اوصلك اليه بها ولو اخذتها كلها ما قطعك بها قرب من قرب من غير علة وقطع من قطع من غير علة كما قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقال ايضا رضي الله عنه ما خلقه احد ولا وافقه وكلهم مستعملون بمشيئته وقدرته انى يكون الوفاق والخلاف وهو يقلب الليل والنهار بما فيهما وهو قائم على الاشياء وفي الاشياء وفي بقائها وفنائها لا يونسه وجد ولا يوحشه فقد بل لا فقد ولا وجد انما هي رسوم تحتها رسوم **وقال** رضي الله عنه وما لهم الا ادب على ترك الطلب اعتمادا **على قسمته واشتغالا بذكره عن مسئلته**

قد يكون الادب ترك السؤال والطلب لمن هو مستغرق في الاذكار راض بما يجري عليه من تصاريف الاقدار وهو احد مذاهب القوم **قال** الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه واختلف الناس في ان شيء افضل الدعاء ام السكوت والرضا فمنهم من قال الدعاء في نفسه عبادة **قال** صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة فالاتيان بما هو عبادة اولى من تركها ثم هو حق الحق سبحانه وتعالى فان لم يستجب للعبد ولم يصل الى حظ نفسه فقد قام بحق ربه لان الدعاء اظهار فاقة العبودية ... وقالوا السكوت والخمود تحت جريان الحكم اتم والرضا بما سبق من اختيار الحق اولى ولهذا قال

الواسطي اختيار ما جرى لك به في الأزل خير لك من معارضة الوقت وقد قال صلى الله
عليه وسلم خبرا عن الله تعالى من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل
ما أعطي السائلين وقال قوم يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه صاحب
رضى بقلبه ليأتي بالأمرين جميعا قال الإمام والأولى أن يقال إن الأوقات مختلفة
ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب وفي بعض الأحوال السكوت
أفضل من الدعاء فالدعاء له أولى وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت
له أولى ويصح أن يقال ينبغي للعبد أن لا يكون ساهيا عن شهود ربه تعالى
في حال دعائه ثم يجب أن يراعي حاله فإن وجد من الدعاء زيادة بسط في وقته
فالدعاء له أولى وإن عاد إلى قلبه في وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض فالأولى
ترك الدعاء في هذا الوقت وإن لم يجد في قلبه لا زيادة بسط ولا حصول زجر فالدعاء
وتركه هاهنا سيان وإن كان الغالب عليه في هذا الوقت المعرفة والحال فالسكوت
والشكر أولى ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو للحق سبحانه فيه حق
فالدعاء أولى وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم وفي الخبر المروي أن العبد
يدعو والله تعالى يحبه فيقول يا جبريل أخر حاجة عبدي فإني أحب أن أسمع
صوته وإن العبد يدعو وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض لعبدي حاجته فإني
أكره أن أسمع صوته انتهى كلام الإمام أبي القاسم وهو حسن بديع وهو
أوفى مما ذكره المؤلف رحمه الله إنما يذكر من يجوز عليه الإغفال وإنما
ينبه من يمكن منه الإهمال أورد هذا كالدليل على ما ذكره من أن ترك
الطلب قد يكون من الأدب وذلك أن في الطلب إشعارا بتجويز الإغفال عليه
فيقع بذلك التذكير له وتلويحا باحتمال وجود الإهمال منه فيكون ذلك تنبيها
له وجميع ذلك محال على الحق تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلأجل هذه العلل
كان ترك الطلب عند هؤلاء أدبا وقد سئل الواسطي رضي الله عنه أن يدعو
فقال أخشى إن دعوت أن يقال لي إن سألتنا ما لك عندنا فقد اتهمتنا وإن
سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا وإن رضيت أجرينا لك
من الأمور ما قضينا لك في الدهور وروي عن عبد الله بن منازل رضي الله عنه أنه قال
ما دعوت منذ خمسين سنة وما أريد أن يدعو لي أحد كأنه ماض على ما سبق له

وورود

ورود الفاقات أعياد المريدين الأعياد عبارة عن الأوقات
العائدة على الناس بالمسرة والأفراح وهم مختلفون فمنهم من مسرته وفرحه بوجود
حظه ونيل شهوته وغرضه وهذا هو حال عامة المسلمين ومنهم من مسرته وفرحه
بفقد حظه وإعواز أمانيه وأغراضه وهذا هو حال الخاصة من المريدين لأن مرادهم
إنما هو على مراعاة قلوبهم وتصفية أسرارهم من كدرات الأغيار والآثار ولا يتأتى لهم
ذلك إلا بوجدانهم لما يقهرهم من ضروب الفاقات وأنواع الحاجات والضرورات
فتراهم يؤثرون الفقر على الغنى والشدة على الرخا والذل على العز والمرض على
الصحة إذ تحصل لهم بذلك رقة وحلاوة لا تجدها في فقدها لأنها من وجودهم
لقرب ربهم ورؤيتهم له في حال فقدان حظهم وكلما ازدادوا فاقة وبلاء ازداد لهم
مولاهم قربة وولاء إذ كان بعضهم يطوف حول الكعبة وهو يقول مئزر بشملتي
كما ترى وصبية باكية كما ترى وامرأة عريانة كما ترى يا من يرى الذي بنا ولا يرى
أما ترى ما حل بي أما ترى فسمعه بعضهم فجمع له كثيرا ودفعها إليه فقال
له إليك عني لو كان معي شيء لما أمكنني أن أقول هذا القول قال في التنوير وفي
البلايا والفاقات من أسرار الألطاف ما لا يفهمه إلا أولو البصائر من أن البلايا
تخمد النفس وتذللها وتدهشها عن طلب حظوظها ويقع مع البلايا وجود
الذلة ومع الذلة تكون النصرة ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال أبو إسحاق
إبراهيم المروزي رضي الله عنه من أراد أن يبلغ الشرف فليختر سبعا على
سبع فإن الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام الخير اختاروا الفقر على
الغنى والجوع على الشبع والدون على المرتفع والذل على العز والتواضع
على الكبر والحزن على الفرح والموت على الحياة وقد تقدم عند قول
المؤلف رحمه الله تعالى من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره
أشياء في هذا المعنى فواجب إذا أن يكون ورود الفاقات أعياد المريدين كما قال
فإذا فقدوا ذلك بمراتاة الأسباب استشعروا وجود الحجاب بعدهم
عن محل الاقتراب فحزنوا لذلك وتأسفوا ووجدوا إلى أن يعاد إليهم الحال
الأول ومن هذا المعنى ما حكي عن خير النساج رضي الله عنه قال دخلت
بعض المساجد فإذا فيه فقير فلما رآني تعلق بي وقال لي أيها الشيخ تعطف

على فإن محنتي عظيمة فقلت وما هي قال فقدت البلاء وقد تنبأ العافية
فنظرت فإذا هو قد فتح عليه شيء من الدنيا وقال بعضهم إن الفقير الصادق
ليتحرز من الغنى حذرا أن يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما أن الغني
يتحرز من الفقر خوفا أن يدخل عليه فيفسد غناه وقد تقدم من حكايات
عطاء السلمي وفتح الموصلي والفضيل بن عياض والربيع بن خثيم رضي الله
عنهم ما يوافق ما ذكرناه وأنشدوا في ذكر أعياد المريدين والعارفين قيل
إنها لأبي علي الروذباري رضي الله عنه

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه :: فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباي تحتهما :: قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به :: يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي مأتم إن غبت يا أملي :: والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا

ربما وجدت من المزيد في الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلاة
ورود الفاقات يحصل للمريد بها مزيد كثير من صفاء القلب وطهارة السر
وقد لا يحصل له ذلك بالصوم والصلاة لأن الصوم والصلاة قد تكون له فيهما
شهوة وهوى كما تقدم وما كان هذا سبيله لا يؤمن فيه من دخول الآفات
فلا يفيد تحلية ولا تزكية بخلاف ورود الفاقات فإنها مباينة للشهوة
على كل حال وقد تقدم نحو من هذا المعنى عند قوله إذا فتح لك وجهة من
التعرف فلا تبال معها إن قل عملك إلى آخره **الفاقة بسط المواهب**
الفاقة تحضره مع الحق وتجلسه على بساط الصدق وناهيك بما يكون
في تلك المحاضرة والمجالسة من المواهب الربانية والنفحات الرحمانية
إن أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك إنما
الصدقات للفقراء. هذا مثل ما ذكره دأب وذكر الآية عقيبه إشارة
بديعة وتصحيح الفاقة والفقر هو التحقق بأوصاف العبودية المذكور
في المسألة التي تأتي بإثر هذه ومما يتعلق بظاهر الآية التي استشهد بها
المؤلف رحمه الله على طريقة القوم ما قال بعضهم من الفقير أخذه الصدقة
من معطيه لأمر تقبل إليه على يديه فالحق تعالى هو المعطي على الحقيقة

كأنه

٨٤

كأنه جعلها إليهم فإن قبلها من الحق فهو الصادق في فقره لعلو همته ومن قبلها من
الوسائط فهو المتوسم بالفقر مع دناءة همته. تحقق بأوصافك يمدك بأو
صافه تحقق بذلك يمدك بعزته تحقق **بعجزك يمدك بقدرته**
تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته. هذا مناسب لما ذكره من
الفاقات والمواهب وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله كن بأوصاف
ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا قال سيدي أبو الحسن الشاذلي
رضي الله عنه بعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز
والضعف والذل لله تعالى وأضدادها أوصاف الربوبية فما لك ولها فلازم
أوصافك وتعلق بأوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير غيرك
ومن بساط الضعف يا قوي من للضعيف غيرك ومن بساط العجز يا قادر من للعاجز
غيرك ومن بساط الذل يا عزيز من للذليل غيرك تجد الإجابة كأنها طوع يدك
واستعينوا بالصبر إن الله مع الصابرين انتهى كلام سيدي أبي الحسن وهو
معنى ما ذكره المؤلف ههنا وأكثر كلام المؤلف جار على منهاج كلام
أبي الحسن رضي الله عنهما ونفع بهما **وقال** رضي الله عنه ربما رزق الكرامة
من لم تكمل له الاستقامة. الكرامة الحقيقية إنما هي حصول الاستقامة
والوصول إلى كمالها ومرجعها إلى أمرين صحة الإيمان بالله عز وجل واتباع
ما جاء به **رسول الله** صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على العبد
أن لا يحرص إلا عليهما ولا تكون له همة إلا في الوصول إليهما وأما الكرامة بمعنى
خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين إذ قد يرزق ذلك من لم تكمل له الاستقامة
قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه إنما هما كرامتان جامعتان
محيطتان كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان وكرامة العمل على
الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل
يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب
كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضى فجعل يشتاق إلى سياسة
الدواب وخلع الرضى وكل كرامة لا يصحبها الرضى عن الله تعالى
ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور ناقص أو هالك مثبور وقال سيدي أبو

العباس المرسي رضي الله عنه ليس الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكة وغيرها
من البلدان إنما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فإذا هو عند الله وذكر
عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه الكرامات فقال وما الآيات وما الكرامات
هي شيء تنقضي لوقتها ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق
نفسك بخلق محمود وقال بعض المشايخ لا تعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيئا
فيدخل يده في جيبه فيخرج منه ما يريد ولكن تعجبوا ممن يضع في جيبه شيئا
فيدخل يده في جيبه فلا يجده فلا يتغير وقيل لأبي محمد المرتعش رضي الله عنه إن فلانا
يمشي على الماء فقال عندي من مكنه الله تعالى من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي
على الماء وفي الهواء وقال أبو يزيد رضي الله عنه لو أن رجلا بسط مصلاه على الماء
وتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر والنهي وقيل له
فلان يقال إنه يمر في ليلة إلى مكة فقال الشيطان يمر في لحظة من المشرق إلى المغرب
وهو في لعنة الله وقيل له يقال إن فلانا يمشي على الماء فقال الحيتان في الماء والطير
في الهواء أعجب من ذلك وقال الجنيد رضي الله عنه حجاب قلوب الخاصة المختصة
برؤية النعيم والتلذذ بالعطاء والسكون إلى الكرامات وقد تقدم مثل هذا عند
قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه **من علامات إقامة الحق
لك في الشيء إدامته إياك فيه مع حصول النتائج** لا عبرة بما يقوم
العبد فيه بنفسه من عمل أو حال وإنما العبرة بما يقيمه فيه ربه وعلامة
إقامة الله تعالى عبده في الشيء أن يديمه عليه وتحصل له ثمرته ونتيجته
وتنبني على هذا آداب ومعاملات وفوائد تأتي نحو من هذا عند قول المؤلف
رحمه الله إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب إلى آخره **من عبر
من بساط إحسانه أصمتته الإساءة ومن عبر من بساط إحسان
الله إليه لم يصمت إذا أساء** من شاهد إحسان نفسه وعمله
بطاعة ربه انبسط لسانه بالنصيحة والموعظة لعباد الله فإن وقعت
منه إساءة ومخالفة انقبض عن ذلك وصمت لما يعتريه من الخجل والحياء
وهذه طريقة أهل التكليف الذين ينظرون إلى ما منهم إلى الله تعالى من عمل
صالح وطالح ومن شاهد إحسان الله إليه وغاب عن رؤية إحسانه فإن انبسط

لسانه

لسانه في الحالين من غير فرق لأن مشاهدته لوحدانية ربه وقيوميته أوجبت جرأته
على ذلك وقد قيل جرأة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وهذه طريقة أهل
التعريف الذين ينظرون ما من الله تعالى إليهم قلت وما ذكرته هاهنا من الطريقتين
التعريف والتكليف وما نبهت به عليهما من الكلام اللطيف أشرت به إلى مسألة
عظيمة مهمة ينبني عليها آداب وأحكام جمة وهي مسألة اختلاف الناس
في معاملتهم لربهم بحسب تباينهم في مراتب قربهم ومن أحكامها مسألة النعيم
التي اقتصر المؤلف عليها في هذا الفصل ولم يذكر معها سواها مما ينبني على ذلك
لأنه قد نبه عليها في لطائف المنن وأتى فيها بكلام مستوعب حسن فرأينا
أن ننقله هاهنا بكماله ليتميز به مقصدنا في تفصيله وإجماله قال فيه
وقال رضي الله عنه يعني شيخه أبا العباس الناس على ثلاثة أقسام
عبد بشهود ما منه إلى الله وعبد هو بشهود ما من الله إليه وعبد بشهود ما من
الله إلى الله قال ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من يكون الغالب عليه شهود
تقصيره وإساءته فيقوم مقام المعتذر بين يدي الله وتلازمه الأحزان ومخالفة
الأشجان ويستولي عليه الخوف كلما بدت منه سيئة أو كشف له عن أوصاف
سوء وعبد آخر الغالب عليه شهود ما من الله إليه من الفضل والإحسان والجود
والامتنان فهذا تلازمه المسرة بالله والفرح بنعمته قال الله سبحانه وتعالى
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالأول حال العباد
والزهاد والثاني حال أهل العناية والوداد الأول إشارة أهل التكليف والثاني إشارة
أهل التعريف الأول حال أهل اليقظة والثاني حال أهل المعرفة ولذلك قال الشيخ
أبو الحسن رضي الله عنه العارف من عرف شدائد الزمان في الألطاف الجارية
من الله عليه وعرف إساءته في إحسان الله إليه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون
وقال رضي الله عنه قليل العمل مع شهود المنة من الله خير من كثير العمل مع
رؤية التقصير من النفس وقال بعض أهل المعرفة لا يخلو شهود التقصير
من الشرك في التقدير وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه قرأت ليلة
من الليالي قل أعوذ برب الناس إلى أن انتهيت إلى قوله تعالى من شر
الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس فقيل لي

شر الوسواس وسواس من بين يديك ومن خلفك ينسيك الكاتبة الحسنة
ويذكرك أفعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال
ليعدل بك حسن الظن بالله ورسوله إلى سوء الظن بالله ورسوله فاحذر هذا
الباب فقد أخذ منه كثير من العباد والزهاد وأهل الجد والاجتهاد وكذلك قد
تجد الزاهد والعابد مكمودا حزينا لما أنه علم أن الله طالبه بالعبودية وحمله
أعباءها وألزمه ما أشفقت السماوات والأرض والجبال من حمله قال الله سبحانه
إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها
وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا فالعابد والزاهد ثقل ما حملوا ولم ينفذوا
إلى شهود لطف الحامل للأثقال عن عباده المتوكلين عليه فلذلك لزمهم الكمد
واستولى عليهم الحزن وأهل المعرفة بالله علموا أنهم حملوا من التكليف أمرا عظيما
وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام به متى وكلوا إلى أنفسهم قال الله عز وجل
وخلق الإنسان ضعيفا وعلموا أنهم إذا رجعوا إلى الله تعالى حمل عنهم ما حملهم
قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فرجعوا إليه بصدق
الرجعى فحمل عنهم الأثقال فصاروا إلى الله محمولين في محفات المنن مروح عنهم
بنفحات اللطف والآخرون صاروا إلى الله حاملين لأثقال التكاليف فتلازمهم
المشقات وتطول بهم المسافات فإن شاء أدركهم بلطفه فأخرجهم
من شهود معاملتهم إلى شهود سابق توفيقه لهم وكفايته لهم وإلا فاتتهم
وأشرفت فيهم العنايات وأما القسم الثالث وهم الذين هم مع الله تعالى بشهود
ما من الله إلى الله هؤلاء هم أهل التوحيد والداخلون في ميادين التجريد وأهل
القسم الأول وهم الذين غلب عليهم شهود ما منهم إلى الله لم يخرجوا عن أهل
الشرك وإن خرجوا عن ظاهره لأنهم وقفوا على أنفسهم موبخين لها شاهدين
لتقصيرهم وإساءتهم فلو لم يشهدوا الفعل لها ومنها لما توجهوا إليها بالتوبيخ
إذا قصرت فلذلك قال ذلك العارف الذي سبق قوله لا يخلو شهود التقصير
من الشرك في التقدير فإن قلت إذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم
دقيقة الشرك فكيف نصنع والله تعالى قد ذم النفس وأمرنا بتوبيخها
إذا قصرت وذمها إذا كانت كذلك فالواجب أن تذمها لأن الله تعالى أمرك

بذمها

بذمها من غير أن تشهد لها قدرة أو تضيف إليها فعلا تراها هي الفاعلة له وأما
القسم الثاني وهو الذي يشهد ما من الله إليه فهو وإن كان خيرا من القسم الأول لكنه
ما سلم من إثبات لنفسه إذ أثبت نفسه منزلا إليها ظاهرا بالحق فلولا إثباته لنفسه
ما شهد ذلك فلأجل هذين القسمين آثر أهل الله تعالى القسم الثالث وهو أن يكون
بشهود ما من الله إلى الله فافهم انتهى كلامه رحمه الله ولأجل ما تضمنه من الفوائد
الجليلة والمقاصد النبيلة ذكرناه لقرب المناسبة الذي ذكره على ما هو عليه في هذا
الموضع والله الموفق ثم قال **تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيثما صار
التنوير وصل التعبير** الحكماء هم العارفون بالله تعالى العاملون به والأنوار المنسوبة
إليهم هي أنوار معرفتهم وهي قوة يقينهم بأن الأمور كلها بيد الله تعالى لا شريك له
فيها فإذا أرادوا إرشاد عباد الله ونصيحتهم بإذن الله تعالى لهم سبقت أنوار
قلوبهم إلى الله تعالى بالالتجاء والافتقار إليه بأن يتولاهم من قلوب عباده أن يجعل فيها
أهلية واستعدادا لقبول ما يريدون إيراده عليهم من كلام الحكمة فيجيبهم إلى ذلك
فإذا تكلموا به تلقته قلوبهم التي وصل إليها آثار أنوار أسرار الحكماء كما تتلقى
الأرض الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك أتم انتفاع وقد أوصى لقمان الحكيم ابنه
فقال يا بني ما بلغنا من حكمتك قال لا أتكلف ما لا يعنيني قال يا بني إنه
قد بقي شيء آخر جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله تعالى يحيي القلوب
الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر وإنما قلنا إن الحكماء هم
العارفون بالله تعالى العاملون به لأنهم خائفون من الله تعالى وفي بعض الآثار رأس
الحكمة مخافة الله والخوف من ثمرات العلم بالله قال الله تعالى إنما يخشى الله
من عباده العلماء والعلم الموجب للخشية هو العلم بالله تعالى فقط فالحكماء
هم العالمون بالله تعالى وإن كانوا ضعفاء في سائر العلوم الرسمية كليلة
ألسنتهم في البيان عنها ثم قال رضي الله عنه **كل كلام يبرز وعليه
كسوة القلب الذي منه برز** اللسان ترجمان القلب فإذا صفا من الأكدار
وتزكى من الأغيار وأشرقت فيه الأنوار كانت ترجمانية لسانه على حسب ذلك
فيتكلم بالكلام النوراني الذي يلج آذان السامعين فينفتح به أقفال قلوبهم
ويستجيبون لنداء حبيبهم روى الحافظ أبو نعيم رحمه الله عن سعيد بن عاصم

قال وكان قاسم يجلس قريبا من مسجد محمد بن واسع فقال يوما وهو يوبخ جلساءه ما لي
أرى القلوب لا تخشع وما لي أرى العيون لا تدمع وما لي أرى الجلود لا تقشعر فقال
محمد بن واسع يا عبد الله ما أرى القوم أتوا إلا من قبلك إن الذكر إذا خرج من القلب
وقع على القلب قلت وقد حاز المؤلف رحمه الله قصب السبق في هذا المعنى الذي ذكره
ومن مارس كلامه في هذا الكتاب وفي غيره وحصل له منها التأثير المحمود يسلم
ما قلناه وكفى بشهادة شيخه أبي العباس المرسي رضي الله عنه على عظم
قدره وعنايته له برهانا على ذلك قال في لطائف المنن وكنت قد قلت لبعض
أصحاب الشيخ يعني أبا العباس نود لو نظر إلي الشيخ بعنايته وجعلني
في خاطره فقيل ذلك للشيخ فلما دخلنا على الشيخ رضي الله عنه قال لا تطالبوا
الشيخ بأن تكونوا في خاطره بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ في خاطركم
فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونوا عنده ثم قال لي أي شيء تريد أن تكون والله
ليكونن لك شأن عظيم والله ليكونن لك كذا لم أثبت منه إلا قوله ليكونن
لك شأن عظيم قال فكان من فضل الله سبحانه ما لا أذكره قال وأخبرني سيدنا
جمال الدين ولد الشيخ قال قلنا للشيخ هم يريدون أن يصدروا ابن عطا في الفقه فقال
الشيخ هم يصدرونه في الفقه وأنا أصدره في التصوف قال ودخلت عليه فقال
إذا عوفي الفقيه فاص الدين تجلس في موضع جدك ويجلس الفقيه من ناحية
وأنا من ناحية وتتكلم إن شاء الله في العلمين فكان ما أخبر به رضي الله عنه
قال وسمعته يقول إذا أردت أن أستنسخ كتاب التهذيب لولدي جمال الدين فذهبت
فاستنسخته من غير أن أعلم الشيخ وأتيته بالجزء الأول فقال ما هذا فقلت
كتاب التهذيب أستنسخته لكم فأخذه فلما نهض ليقوم قال اجعل لك
الولي لا يتقطع عليه أحد نجز هذا في ميزانك إن شاء الله فلما أتيته بالجزء
الثاني لقيني بعض أصحابه عند نزوله من عنده قال قال الشيخ عنك والله
لأجعلنه عينا من عيون الله يقتدى به في علم الظاهر والباطن فلما أتيته بالجزء
الثالث ونزلت من عنده لقيني بعض أصحابه وقال طلعت عند الشيخ فوجدت عنده
مجلدة حمراء فقال هذا الكتاب استنسخه لي ابن عطاء الله والله ما أرضى له
بجلسة جده ولكن بزيادة التصوف قال وأخبرني بعض أصحابه قال قال الشيخ

يوما

يوما إذا جاء ابن فقيه الإسكندرية فأعلموني به فلما أتيت أعلموا الشيخ بي فقال
تقدم فقدمت فصافحني بيده ثم قال جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه ملك الجبال حين كذبته قريش فقال له هذا ملك الجبال قد أمره الله أن يصنع
أمرك في قريش فسلم عليه ملك الجبال وقال يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم فعلت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن أرجو أن يخرج الله من أصلابهم
من يوحد الله تعالى ولا يشرك به شيئا فصبر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجاء أن يخرج الله من أصلابهم من يوحد الله كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه
لأجل هذا الفقيه قال وخرجت يوما من عند الفقيه المكين الأسمر وخرج معي
أبو الخير الحريري وكان من أصحاب الشيخ أبي الحسن فسلمت عليه وسلم علي ببشاشة
وإقبال فقلت من أين تعرفني فقال وكيف لا أعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ
أبي العباس وكنت أنت عنده فلما نزلت قلت له يا سيدي ليعجبني هذا الشاب
انقطع فلان وفلان عن الملازمة وهذا الشاب ملازم قال فقال الشيخ يا أبا الحسن
لا يموت هذا الشاب حتى يكون داعيا يدعو إلى الله فكان كما قال الشيخ رحمه
الله قال وكنت كثيرا ما يطرأ علي الوسواس في الطهارة فبلغ ذلك الشيخ فقال
بلغني أن بك وسواسا في الوضوء قلت نعم فقال رضي الله عنه هذه الطائفة تلعب
بالشيطان لا الشيطان يلعب بهم ثم مكثت أياما ودخلت عليه فقال ما حال ذلك
الوسواس فقلت على حاله فقال إن كنت لا تترك الوسوسة لا تعد تأتينا فشق
علي وقطع الله على الوسواس عني قال وكان رضي الله عنه يقول في الوسواس سبحان الملك
الخلاق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز قال وعملت
قصيدة أمدحه بها فقال حين أنشدتها أيدك الله بروح القدس قال ثم عملت
قصيدة أخرى بإشارته جوابا لقصيدة مدحه بها إنسان من بلاد العجم فلما
قرأت عليه قال رضي الله عنه صحبني هذا الفقيه وبه مرضان وقد عافاه الله
منهما ولا بد أن يجلس ويتحدث في العلمين يشير الشيخ إلى مرض الوسوسة
قال ولقد انقطع عني ببركات الشيخ حتى صرت أتعجب لشدة التوسعة
التي أجدها فقد تساهلت في بعض الأمر والمرض الآخر كان لي ألم براسي فشكوت
ذلك إليه فدعا لي فعافاني الله وشفاني قال وبت ليلة من الليالي مهموما فرأيت

الشيخ في المنام فشكوت اليه ما انا فيه فقال اسكت والله لاعلمك علما عظيما
قال فلما انتبهت جئت الى الشيخ رضي الله عنه فقصصت عليه الرؤيا فقال
هاكذا تكون ان شاء الله تعالى قال وجاء يوما من الشجر فخرجنا للقائه فلما سلمنا
عليه قال يا احمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل اوليائه وبهاك
بين خلقه قال فلقد وجدنا بركة هذا الدعاء وعلمت انه لا يكفيني الا انقطاع عن الخلق
والي مراده لقوله وبهاك بين خلقه قال وكنت انا لامره من المنكرين وعليه
من المعترضين لا لشيء سمعته منه ولا لشيء صح نقله عنه حتى جرت بيني وبين
اصحابه مقاولة وذلك قبل صحبتي اياه وقلت لذلك الرجل ليس الا اهل العلم الظاهر
وهؤلاء القوم يدعون امورا عظاما وظاهر الشرع ياباها فقال ذلك الرجل بعد
ان صحبت الشيخ تدري ما قال لي الشيخ يوم تخاصمنا قلت لا قال دخلت عليه
فاول ما قال لي هؤلاء كالحجر ما اخطاك خير مما اصابك منهم فعلمت ان الشيخ
كوشف بامرنا ولعمري لقد صحبت الشيخ اثنا عشر عاما فما سمعت منه شيئا
ينكره ظاهر العلم من الذي كان ينقله عنه من يقصد الاذى قال وكان سبب
اجتماعي معه ان قلت في نفسي بعد ان جرت المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل
دعني اذهب فانظر هذا الرجل فصاحب الحق له امارات لا يخفى شانه قال
فاتيته الى مجلسه فوجدته يتكلم في الانفاس التي امر الشارع بها فقال الاول
اسلام والثاني ايمان والثالث احسان وان شئت قلت الاول عبادة والثاني
عبودية والثالث عبودة وان شئت قلت الاول شريعة والثاني حقيقة ونحو هذا مما زال
يقول ان شئت قلت الى ان بهر عقلي وعلمت ان الرجل انما يغترف من فيض بحر
الهي ومدد رباني فاذهب الله ما كان عندي ثم اتيت تلك الليلة الى المنزل فلم
اجد شيئا يقبل الاجتماع بالاهل على عادتي ووجدت معنى غريبا لا ادري
ما هو فانفردت في مكان انظر الى السماء والى كواكبها وما خلق الله فيها
من عجائب قدرته فحملني ذلك على العود اليه مرة اخرى فاستاذنت
فاستوذن علي فلما دخلت عليه قام وتلقاني ببشاشة واقبال حتى دهشت
خجلا واستصغرت نفسي ان اكون اهلا لذلك فكان اول ما قلت له يا سيدي
انا والله احبك فقال احبك الله كما احببتني ثم شكوت اليه ما اجده

من هموم

من هموم واحزان فقال احوال العبد اربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة
والمعصية فان كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر وان كنت بالبلية فمقتضى
الحق منك الصبر وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود المنة عليك
وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار قال فقمت من عنده
وكانما كانت تلك الهموم والاحزان ثوبا نزع عنه قال ثم سالني بعد ذلك بمدة
كيف حالك قلت افتش على الهم فلم اجده فقال ذو ليلي بوجهك مشرق
وظلامه في الناس سار فالناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار الزم
بالله ان لزمت لتكونن مفتيا في المذهبين يريد مذهب اهل الشريعة اهل العلم
الظاهر ومذهب اهل الحقيقة اهل العلم الباطن انتهى ما نقلته من لطائف
المنن وانما اوردت ذلك هاهنا على طوله ليعرف قدر المؤلف وليرفع بواضح
برهانه ظن الطاعنين وتعسف المتعسف ولنتعرض بذلك لنزول الرحمة
من الله تعالى عليه او موالاه منحه وعطاياه لديننا وقد قيل عند ذكر الصالحين
تنزل الرحمة مع ما في ذلك من قرب المناسبة لمعنى ما اورده المؤلف من الكلام
الجاري به قصب السبق من عاصره من الائمة الاعلام واما شيخه ابو العباس
وشيخ شيخه ابو الحسن فحالهما اوضح من نار على علم وقد طرزت بكلامهما
الكتب والدفاتر وزهت بماثرها وعلو مهمهما الالسنة والاقلام والصحف
والمحابر ولولا خشية الاطالة لذكرنا من ذلك ما يبهر عقول السامعين
والمطالعين ويرغم انوف الجاحدين والمعاندين مستكفيك من ذاك المسمى اشارة
ودعه منصوبا بالجمال محجباه من اذن له في التعبير فهمت
في مسامع الخلق عبارته وجليت اليهم اشارته المأذون له في التعبير
هو الذي يتكلم لله وبالله وفي الله ولذلك كان كلامه صوابا قال الجنيد
رضي الله عنه الصواب كل نطق عن اذن اشارة هذا والله اعلم ان قوله تعالى لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فاذا قرع اسماع السامعين كلامه فهمتها في مسامعهم
عبارته فلم يفتقروا الى معاودة ولا تكرار وجليت اليهم اشارته فلم يحتاجوا
معها الى اطناب ولا اكثار بخلاف غير المأذون له في ذلك قيل لحمدون بن احمد بن عمارة
القصار رضي الله عنه ما بال كلام السلف انفع من كلامنا قال لانهم تكلموا لعز

الاسلام ونجاة النفوس ورضى الرحمن ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا وقبول
الخلق. وربما برزت الحقائق مكسوفة الانوار اذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار
ومن لم يستكمل الاوصاف المذكورة لم يؤذن له في اظهار شيء من الحقائق الربانية فان
اظهرها برزت مكسوفة الانوار بما غشيها من ظلمة الاغيار فمجتها اذان السامعين
وانكرتها قلوبهم وعلامة استكمال الاوصاف المذكورة ان يفتح الله باب التعبير مع
وجود السلامة من آفات المنطوق قال في لطائف المنن من اجل مواهب الله لاوليائه
وجود العبارة قال وسمعت شيخنا ابا العباس يقول يكون الولي مشحونا بالعلوم
والمعارف كلام المأذون له مشحونا بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهودة حتى
اذا اعطي العبارة كان كالاذن من الله تعالى في الكلام قال وسمعت شيخنا ابا العباس
يقول الكلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذي لم يؤذن له يخرج
مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من احدهما
وترد على الاخر. **عباراتهم اما لفيضان وجد او لقصد هداية مريد فالاول** حال السالكين والثاني حال ارباب المكنة والمحققين
انما يقع التعبير منهم عما يكاشفون به من الامور الغيبية والعلوم الالهية
لاحد معنيين اما لحال غلبة الوجد عليهم وفيضانه وهم معذورون في ذلك
لوجود الغلبة وهذا حال السالكين من اهل البداية واما لقصد هداية مريد
فيلزمهم ذلك لما فيه من فائدة الارشاد والهداية وهذا حال المتمكنين والمحققين
من اهل النهاية فان عبر السالك لا عن غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى
وان عبر المتمكن من غير قصد هداية كان في ذلك افشاء سر لم يؤذن له فيه وايضا
فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم النطق لانه في حضرة الحق تعالى يتلقى
ما يرد على سمع قلبه من عجائب العلوم وغرائب الفهوم فكيف يتصور منهم
نطق او تعبير على غير الوجه المذكور والصمت من آداب الحضرة قال الله عز وجل
وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا. **العبارة قوت لعائلة المستمعين وليس لك الا ما انت له آكل** المستمعون موسومون
بالفقر والحاجة الى معنى ما يستمعون اليه من المواعظ والحكم وهو قوت قلوبهم
وغذاء ارواحهم كما ان المستطعمين والسؤال موسومون بالفقر والحاجة.

الاقوات

٨٩

الاقوات ابدانهم وكما ان اقوات هؤلاء مختلفة فلا يصلح لواحد من هؤلاء ما يصلح
للاخر من الاطعمة والاشربة لاختلاف طبائعهم وامزجتهم فكذلك اقوات الاخرين
مختلفة فلا يصلح لواحد منهم من العبارات التي تتضمن وجود القوت المعنوي ما يصلح
للاخر لاختلاف مراتبهم وتباين مطالبهم فاذا سمعت عبارة من عالم او عارف
او احد من اهل الطريق ولم تحظ منها بشيء فاعلم انك لا تصلح لقوتك وغذائك
وهي صالحة لقوم اخرين ومما يتفق في هذا المسلك ان يقرع اسماع بعض الناس
العبارة من بعض الاشخاص فيفهم منها معنى لم يقصده المتكلم ويتأثر باطنه
بذلك تأثرا عجيبا وقد يقع ذلك لجماعة من الناس فيفهم كل واحد ما لا يفهمه
الاخر ويحصل لهم بذلك التأثر مع ان المتكلم لم يرد شيئا من ذلك وربما كان
مضادا له وقد يسمع ارباب القلوب من الجمادات ويستفيدون بها لطيف
الحالات قال في لطائف المنن وربما فهم من اللفظ ضد ما قصد واضعه كما اخبرنا
الشيخ الامام مفتي الانام تقي الدين محمد بن علي القشيري رحمه الله قال كان ببغداد
فقيه يقال له الجوزي يقرئ اثني عشر علما فخرج يوما قاصدا المدرسة فسمع
منشدا يقول: اذا العشرون من شعبان ولت ∴ فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب باقداح صغار ∴ فقد ضاق الزمان عن الصغار. فخرج هائما على وجهه حتى
اتى مكة ولم يزل بها مجاورا حتى مات وقرئ على الشيخ مكين الدين الاسمر
قول القائل:

لو كان لي مسعد بالراح يسعدني ∴ لما انتظرت لشرب الراح افطارا
الراح شيء شريف انت شاربه ∴ فاشرب ولو حملتك الراح اوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية ∴ خذ الجنان ودعني اسكن النارا

فقال انسان هناك لا تجوز قراءة هذه الابيات فقال الشيخ مكين الدين الاسمر
للقارئ اقرأ هذا رجل محجوب والشيخ مكين الدين هذا هو الذي شهد له الشيخ
ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه بانه من السبعة الابدال قال ويحكى في
هذا ان ثلاثة سمعوا مناديا ينادي يا سعتر بري ففهم كل منهم مخاطبة من
الله خوطب بها في سره سمع الواحد اسع تر بري وسمع الاخر الساعة ترى بري وسمع
الاخر ما اوسع بري فالمسموع واحد واختلفت افهام السامعين كما قال
سبحانه تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقال

ياسعتر

سبحانه قد علم كل اناس مشربهم فاما الذي سمع اسمع ترابني فمريد دل على النهوض الى الله بالاعمال فيستقبل الطريق بالجد وقيل له اسمع الينا بصدق المعاملة ترانا بوجود المواصلة. واما الثاني فكان سالكا الى الله كما ولته دلالة وفاته فخاف ان تفوته الوصلة فقيل له تروحا على قلبه لما احرقته نار الشغف الساعة ترابني. واما الاخر فعارف كشف له عن وسع الكرم فخوطب من حيث اشهد فسمع ما اوسع بريني

قال وقال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله دعانا بعض الفقراء الى دعوة بزقاق القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام وعم ثم دلا وعية وهناك وعاء زجاج اتخذ للبول ولم يستعمل فقد باقيه رب المنزل الطعام فالجماعة ياكلون واذا الوعاء يقول منذ اكرمني الله باكل هؤلاء السادة لا ارضى لنفسي ان اكون بعد ذلك محلا للاذى ثم انكسر نصفين قال الشيخ محيي الدين فقلت للجمع سمعتم ما قال الوعاء قالوا نعم قلت ما سمعتم فاعادوا القول الذي تقدم قال فقلت قال قولا غير ذلك قالوا وما هو قلت قال كذلك قلوبكم قد اكرمها الله بالايمان فلا ترضوا بعد ذلك ان تكون محلا للنجاسة المعصية وحب الدنيا جعلنا الله واياكم ممن اوتي الفهم عنه والتلقي منه قلت وهذه المنازع كلها مما يستملح ويستظرف وتتمايز بها القلوب السليمة وتنقاد لها النفوس الكريمة وقد جرت عادة ائمة هذا الطريق باستعمالها واجرائها فلا حرج علينا اذا في ذكر بعض ذلك كانت له مناسبة تامة وجرت فيها فايدة خاصة وعامة وبالله التوفيق لا رب غيره

ربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل اليه وذلك ملتبس الا على صاحب بصيرة

كما ان الواصل الى مقام من مقامات اليقين كذلك يعبر عنه من استشرف عليه ولم يتحقق فيه بالمنازلة والوصول والتباس ذلك على من ليس له بصيرة ظاهر واما ذو البصيرة فلا يخفى عليه ذلك لانه يرى في الكلام صورة المتكلم البالغة وما هو عليه من كمال او نقص وقد قيل تكلموا تعرفوا

لا ينبغي للسالك ان يعبر عن واردانه فان ذلك يقل عملها في قلبه ويمنعه من وجود الصدق مع ربه

الواردات الالهية لا ينبغي للسالك ان يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها ويصونها ولا يطلع

عليها

عليها احدا الا شيخا مرشدا لان نفسه تجد في ذلك لذة وانشراحا تتقوى به صفاتها فيقل بسبب ذلك عمل الواردات في قلبه من التاثير المحمود ويحل عليه احكام نفسه وايثار حظه فيمنعه ذلك من وجود صدقه مع ربه وقد تقدم هذا المعنى في قوله استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك

لا تمدن يدك الى الاخذ من الخلايق الا ان ترى ان المعطي فيهم مولاك فاذا كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم فيه

هذه فايدة عظيمة يحتاج اليها السالكون المتجردون ليمضوا عليها احوالهم فيما يصل اليهم من الرفق على ايدي الخلق وقد ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى بعبارات بعبارة مجودة موجزة جمع فيها جملة المعاني التي يحتاج اليها من ذكرنا فلنبسط كلامه في ذلك على حسب عادتنا معه وعلى الوجه الذي ذكرناه في مقدمة هذا التنبيه وهذا قصدنا في جميع ما تكلمنا عليه من مسايل كتابه ونقول على حسب ذلك ارزاق العباد المعتادة لهم تنقسم الى قسمين احدهما رزق يصلون اليه باسباب واعمال وتصرفات كالتجارات والصناعات وغيرهما وهذا حال اهل الاسباب والثاني رزق يصل اليهم على ايدي الخلق من غير عمل ولا سعي وهذا حال ارباب التجريد ولكل واحد من القسمين له اداب واحكام تخصه فاحكام القسم الاول واذابه لم يتعرض لها المؤلف رحمه الله وهو مذكور في فن الفقه وغيره فواجب على كل من دخل في شيء من الاسباب تحصيل علمه وطلبه من حيثما هو واحكام القسم الثاني واذابه هي التي تعرض لها المؤلف رحمه الله واجمل رحمه الله جميع ذلك في مراعاة شرطين وجعلهما من شروط صحة الاخذ الشرط الاول الا يرى العطاء الا من الله عز وجل وهذا هو الاصل وانما اشترطه على الاخذ لانه مقتضى حاله من تحقيق التوحيد وتخليص التجريد وبه يصلح له مقام القناعة والتوكل ويسقط عن قلبه هم الرزق وتزول به عنه علاقات الخلق وان لم يكن على هذا الوصف كان عبدا للناس مزاحما قلبه اليهم فيكثر طمعه فيهم ورغبته فيما في ايديهم واستشرافه اليهم فيقع بسبب ذلك في كباير الذنوب من معاصي القلوب والجوارح مثل المداهنة والنفاق والرياء والتصنع والتلبيس والغش وعدم النصيحة وقلة الشفقة وغير ذلك

من الصفات المذمومة المناقضة للعبودية لله قال يحيى بن معاذ رضي الله
عنه من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى المخلوقين ولا يكفي
في تلك الرؤية المذكورة أن تكون علما وإيمانا فقط بل لا بد منها أن تكون
حال الوجد وقد دعا بعض الناس شقيقا البلخي رضي الله عنه وكان في طبقة
من أصحابه نحو من خمسين رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وأنفق نفقة
كثيرة فلما قعدوا قال لهم شقيق إن هذا الرجل يقول من لم ير أني صنعت
هذا الطعام وأني قدمته إليه فطعامي عليه حرام قال فقاموا كلهم وخرجوا
إلا شابا كان فيهم نقصت مشاهدته عنهم فقال صاحب المنزل لشقيق رحمه الله
ما أردت بهذا فقال أردت أن أختبر توحيد أصحابي إني كلهم لا يرونه فيما صنع
ولا ينظرون إليه فيما قدم إلا ذلك الرجل وحده وإنما اشترطنا في رؤية العطاء من
الله تعالى أن تكون حال الوجد فإن ذلك هو اللائق بحال المتجرد كما ذكرناه لأن
التجرد حال شريف لا يدخل فيه بالاختيار والتعمل لأن ذلك من اتباع هوى النفس
وطلب الخفة والراحة إنما يقيم الحق تعالى فيه من أراده به من أهل التقوى والمراقبة
بعد كمال شغله بالله تعالى وحركه في الظاهر من كل ما يقطعه عن الله فيجيز بسلبه
الحق تعالى من تدبيره واختياره ويكاشفه بوحدانيته في إيراده وإصداره
ويكون تركه للأسباب بحكم الوقت وإشارة الحال كما يروى أن أبا حفص النيسابوري
رضي الله عنه كان حدادا فكان غلامه يوما ينفخ الكير فأدخل يده في النار وأخرج الحديد
من النار فغشي على غلامه وترك أبو حفص الحانوت وأقبل على أمره وكان يقول
رضي الله عنه لا ينبغي للصوفي أن يتبع كم تركت العمل فرجعت إليه فتركني
العمل فلم أرجع إليه وقال إبراهيم الخواص رضي الله عنه لا ينبغي
للصوفي أن يتعرض للقعود عن الكسب إلا أن يكون رجلا مغلوبا قد أغنته الحال
عن المكاسب وأما من كانت الحاجة به قائمة ولم يقع له عزوف يحول بينه وبين
التكلف فالعمل أولى به والكسب يسعى أحل له وأبلغ لأن القعود لا يصلح لمن
لم يستغن عن التكلف وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله ما دامت
الأسباب قائمة في النفس فالاكتساب أولى وقال بعض المنقطعين كنت ذا
صنعة جليلة فأردت تركها فحاك في صدري من أين المعاش فهتف بي

هاتف

هاتف لا أراك تنقطع إلينا وتتهمنا في رزقك على أن أخدمك وليا من أوليائي أو منافقا من أعدائي
وقد اشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحة قبول العطاء عدم الا
ستشراف إلى الناس ولا يكاد يحصل هذا الشرط لمن ذكرناه في أهل التجريد
إلا بهذه الرؤية المذكورة روى زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا استشراف
نفس فليقبله فإنما هو رزق ساقه الله تعالى إليه وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال من وجه إليه شيء من هذا الرزق من غير مسألة
ولا استشراف فليأخذه وليوسع في رزقه فإن كان عنه غنيا فليدفعه إلى من هو أحوج
منه وقال عمر بن الخطاب رضي الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعطيني العطاء فأقول له أعطه يا رسول الله أفقر مني فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خذه فتموله وتصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف
ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر
لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه فالاستشراف إلى الناس مذموم قادح
في التوحيد فلا ينبغي أن يأخذ المريد عطاء على هذا الوجه روي أن أحمد بن حنبل رضي الله
عنه خرج إلى شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن في الموضع من يحمله فوافى
أيوب الجمال فحمله ودفع إليه أحمد أجرته فلما دخل الدار بغراذ انه له اتفق أن أهل
الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فرآه
أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع إلى أيوب من الخبز فرفع
إليه رغيفين فردهما فقال أحمد ضعهما ثم صبر قليلا فقال خذهما والحقه بهما
فلحقه فأخذهما فرجع صالح متعجبا فقال له أحمد عجبت من رده وأخذه قال
نعم قال رجل صالح لما رأى الخبز استشرفت نفسه إليه فلما أعطيت مع الاستشراف
رده ثم أيس فرد ذلك إليه بعد الإياس فقبله وأما الاستشراف إلى الرزق مع
قطع نظره عن الخلق فلا يضره ذلك لأنه خلق ضعيف ذو فاقة ورزقه معلوم
لا بد منه فاستشرافه إلى الرزق في الحقيقة استشراف إلى الرازق ولا ينافي ذلك
حقيقة العبودية ولكن الأكثر منها الاستشراف إلى الرزق وشغلت صاحبها
عن دوام المحاضرة والمناجاة مع الحق فليصرفها عن ذلك صرفا جميلا

وليتنبه لها من التعلق والتوثق بالله تعالى سبيلا قال الشيخ ابو محمد عبد العزيز
المهدوي رضي الله عنه كنت في بدايتي واقفا بين العشاءين اصلي وانا فارغ
البال سببا حتى جاءتني النفس فقالت لي السلام عليك قلت لها وعليك السلام
قالت لي العشاء فاذهبني بذهابه فتوقفنا ثم الهمني الله تعالى ان قلت لها اترى
لها موضعا قالت لا قلت لها اتدري اين هو او متى هو قالت لا قلت لها انا رب
او عبد قالت عبد قلت فالعبد يقدر على شيء ما هذا الكفر والشرك الذي تبتغيه
به اهربي الى خالقك فاطلبي منه العشاء لانه خالقك والقادر على كل شيء
فيجيب لك ما طلبتي ويعطيك فتطعمي وتاكلي فما الكوايا لجو وما هذه
الحيرة قال فهربت الى خالقها فجاء عشاء متمكن كثير فاكلنا قال وكذا يقع
عليها او منها تتبين الاقدام وذكر ايضا مسالة عظيمة مفيدة تتضمن
كيف يكون حال الفقير بالنسبة الى الرزق وما يحتاج اليه بنيته من الرزق
وجعلها من فوايد الفقر والارادة فراينا ذكرها في هذا الموضع من الواجب
التعبير ليتحقق في العمل بها كل من يقف عليها من مريد متدبر قال رضي الله
عنه اعلم ان الفقير لا يخلو اما ان يكون جالسا او ماشيا اما قاعدة الجالس فان
جلسته موضع البته وهو مكانه وزمانه بحر بي سجادته لا يتعداها ولا
يكون لوقت ولا الى سبب معلوم لانه لا يدري الاوقات ما هي ولا يدرها ولا يدري
متى هي ولا وقتها ويعلم ان جميع الاشياء تطلبه وتحتاج اليه لانها خلقت من
اجله وهو خليفة فيها وقد فرغ من جميعها بالالتفات والامل فيها اذ ان يكون
هربا الا افرار تجري عليه ولا كسب له ولا سببا في التحصيل ثم قال واما الماشي
من الفقراء الذي يكون في سفر او غيره فلا تجاوز همته خطوته مثاله ان يكون ماشيا
فيخطر له الغير والالتفات اليه من بلد او شجر او بطعم او مشرب فيهلك
ويطوبه العرق وتنزل قدمه فان تمادى في التعلق بشيء من هذه القواطع
والشواغل ومثل الى شيء منها وقفه وما تاما مات قاتل نفسه وذلك
انه يكون في يوم صايف ومجيء وقد اصابه العطش الشديد فيعرض خيال
ماء فيحو العرق فيخرج عليه لنحو ذلك فتشرب منه يزول عطشك
فان مشى راكبا لهذا الخاطر فيجي للموضع فيجده سرابا فهناك يكون

بعـ

٢٩

به ويقول لا ان يموت فيقتله من ساعته فيموت قاتل نفسه اذا كان جاهلا
بربه وءاياته ولم يعرف دواءه من دايه ولا تعلم العلم ولا سال العلماء ليفاته
مع نفسه قال رحمه اذا جاءه هذا الخاطر بالتروح من العرق في سفره من الشرعة
الى الماء او الركون الى الاغيار من منار او اشجار او غير ذلك ان يعرض على العرق ان الله
تعالى يمكن ان يتوفاني قبل وصولي بالضرورة فيطيعه في ذلك ويسلمه ويقول
ايضا قال النبي صلى الله عليه وسلم من مشى الى طمع فليمش رويدا وقال من
تانى اصاب او كاد ومن عجل اخطا او كاد والعجلة من الشيطان ومن هذا كثير
فلا يشك شاك انه كما يحتج للنفس والشيطان بهذه القواعد من العلم
انهم ينقطعون ولا حجة عندهم بعد الاستعانة بالله تعالى والتعلق بهم ثم
يقول لها ايضا اتنكر ان الله تعالى قادر على ان يطعمني ويسقيني ان شاء ويشبعني
عينا الساعة قبل وصولي لذلك الماء فيقول له الشيطان بالضرورة نعم فاذا كان
هذا كذا فالله سبحانه اعلم بمصالحي ومنافعي من كل مخلوق فاذا احكم هذا
العلم رجع يمشي متانيا همته مع خطوته ناظرا لما يرد عليه من ربه فان وصل
الى ما خطر له ولا رآه من بعد ولم يجد له ماء او لم يجد ما تعلق به خاطره او لا
من صاحب او مطعم يقف على اهله لا تتغير عنده ولا تردد يظفر بعروة فقتله
كما فعل ايضا الشيطان بغيره الشيء وضره انتهى ما اردنا ذكره من كلام
هذا الامام وهو عين من نفيس الكلام المغرب غاية المرام لما تضمنه من المعاني البديعة
والاشارات الرفيعة ولما فيه من تحرير التوحيد والاداب الرضية من العبيد فهو
جدير بان يكتب ويرسم ويحمل به الغرض الذي نقوم والله تعالى اعلم واحكام الشرط
الثاني الذي هو خدا الاما يوافق العلم وهذا شرط لازم للمتجرد ايضا قال الشيخ ابو
طالب المكي رضي الله عنه وينبغي لمن لا معلوم عنده من الاسباب ان يتورع
في اخذها ويتخير الطيب لها كما يتخير اهل المكاسب في الاكتساب لان لله
في كل شيء حكما والقعود عن المكاسب لا يسقط احكامها والقاعد عن الطلب
لا يسقط احكام الطلب ولا ترك العمل عمل يحتاج الى علم ولم تكن سيرة الفقراء
الصادقين ان ياخذوا من كل احد ولا في كل وقت ولا ياخذوا الا ما يعطون مما يزيد على
كفايتهم الا ان يكونوا ممن يخرجونه الى غيرهم انتهى بوافقه العلم التي ذكرها المؤلف

رحمه الله تعالى على قسمين موافقة العلم الظاهر فلا يأخذ إلا من يد
عاقل تقي وقد جاء في الحديث لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي فلا يأخذ
من يد ظالم ولا عامل بالربا ولا جاهل بما يحل وما يحرم من وجوه المكاسب ولا يأخذ من يد صبي
ولا عبد غير مأذون لهما ولا معتوه. وأما موافقة العلم الباطن فلا يأخذ ما كان على
وجه الرفق والمعونة فلا يأخذ إلا ما هو مفتقر إليه في الحال ولا غنى له عنه من ضرورياته
وحاجته من غير إسراف ولا إقتار ولا بأس أن يأخذ ما يزيد على ذلك إن كان في خلقه
سخاء أو بذل أو إيثار أو تخلق بمحاسن الأخلاق ولا يتوصل به إلى حظ عاجل من جاه
أو رياسة أو قبول عند الناس ولا يأخذ ما يعطاه على جهة الابتداء والاختبار
أما الابتداء فأن يأتيه قبل الوقت أو زائدا على حاجته فإن أخذه فليخرجه
في البر ليأمن بذلك من آفة الإظهار وأما الاختبار فلا يأخذ شيئا كان قد نوى
تركه لله تعالى من شهوة كان مبتلى بها وأسرته ومنعته القيام بحقوق
ربه فليوف بعهد الله تعالى وليرفع ذلك عن نفسه إن خاف انحلال عزمه
وفساد نيته وإن لم يخف ذلك فليأخذه وليخرجه إلى غيره وهذا أشد شيء على
النفس وهو من أعظم درجات الزهد ولا يأخذ من منان ولا فخور ولا مظهر لعطيته
ولا يأخذ ممن يثقل على قلبه قبول عطيته فقد قيل لا تأكل طعام من يرى لك الفضل
عليه في أكله ولا تأكل طعام من يرى أنه وديعة عنده ولا تأكل طعام
زاهد أنه يسر بأكلك ولا تأكل إلا طعاما يرى صاحبه أفضل من الطعام وقد روي
أنه أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وكبش فقبل السمن والأقط
ورد الكبش وكان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت ألا أقبل إلا من قرشي
وأنصاري أو ثقفي أو دوسي قال أبو طالب المكي رضي الله عنه وقد فعل هذا جماعة
من التابعين جاءت إلى فتح الموصلي رضي الله عنه صرة فيها خمسون درهما
فقال حدثني عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من آتاه الله رزقا
من غير مسألة فرده فإنما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة وأخذ منها
درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا الحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحدثنا عنه أن رجلا أهدى إليه كيسا فيها ألوف ورزمة
فيها من دقيق خراسان فرد ذلك فقال له بعض أصحابه في ذلك فقال من جلس

مثل

مثل مجلسي هذا وقبل من الناس شيئا مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة وماله
عند الله من خلاق وكان الحسن رضي الله عنه يقبل من أصحابه وكان إبراهيم التيمي
رضي الله عنه يسأل أصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض عليه غيره المئين فلا يأخذ
وكان بعض العباد إذا دفع إليه بعض أهل الدنيا الشيء قال ضعه عندك واعرض
على قلبك حالي كيف أنا عندك بعد الأخذ أفضل أو دون ذلك واصدقني فإن قال
له أنت الآن أفضل عندي منك قبل ذلك أو قال له أنت عندي بعد الأخذ مثل ما كنت قبل
ذلك قبل منه وإن أخبره بنقصانه في قلبه لم يقبل منه وكان بعضهم يرد على الكثير
الناس صلاتهم فيعوتب في ذلك فقال ما أردها عليهم إلا إشفاقا عليهم ونصحا لهم يذكرون
ذلك ويحبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم ويروى عن ابن عيينة أنه قال
جاء شاب من العرب إلى إبراهيم النخعي بألفي درهم فقال يا أبا عمران خذ هذه الدراهم
والله ما هي من خبث سلطان ولا من كنز ولا من ركاز فقال له إبراهيم بارك الله لك وجزاك
خيرا فلما ولى قلت له يا أبا عمران ما منعك أن تأخذها والله ما لامرأتك قميص فقال
صدقت يا سليمان ولكن هذا شاب من العرب لم تحنكه السن ولم تحنكه الآداب
فكرهت أن يجلس في حيه فيقول أعطيت إبراهيم ألفي درهم فيحبط الله أجره وتذهب
دراهمه ومن ذهب إلى هذا سفيان الثوري رضي الله عنه كان يشترط على بعض
من يأخذ منه ألا يذكره لإشفاقه عليه لا من أجله بل من ذهاب أجره لأنه قيل في معنى
قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى قال المن أن يذكره والأذى أن يظهره وقال
الجنيد رضي الله عنه للرجل الخراساني الذي جاءه بالمال وسأله أن يأكله فقال الجنيد
أن أفرقه فقال الرجل أنا أعلم بالفقراء منك ولم آت بهذا فقال له الجنيد وأنا أؤمل أن
أعيش حتى آكل هذا فقال له إني لم أقل لك أنفقه في الخل والبقل إنما قلت لك أنفقه في
الطيبات وأنواع الحلاوات فكلما نفد أسرع كان أحب إلي فقال الجنيد ومثلك لا يرد عليه
فقبله فقال الرجل ما ببغداد أحد أعظم منة علي منك فقال الجنيد وما ببغداد أحد
ينبغي أن يقبل منه شيء إلا من كان مثلك وكان السري السقطي رضي الله عنه يوما حمل إلى
أحمد بن حنبل رضي الله عنه الشيء فيرده فقال له سري يا أحمد احذر آفة الرد فإنها
أشد من آفة الأخذ فقال أحمد أعد علي ما قلت فأعاده فقال له أحمد ما رددت
عليك إلا وعندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فإذا كان بعد شهر فأنفذه إلي

الجملة فلا ينبغي أن يأخذ المريد إلا من يد زاهد عارف فبذلك يسلم من الآفات
ويكفى من جميع المؤونات قال أبو بكر الزقاق رضي الله عنه منذ أربعين سنة أصحب
هؤلاء فما رأيت رفقا لأصحابنا إلا من بعضهم لبعض أو ممن يحبهم ومن لم يصحبه التقوى
والورع في هذا أكل الحرام المحض وإن أراد أن يسأل مثل هؤلاء فليفعل قال أبو
طالب المكي رضي الله عنه كان بشر بن الحارث رضي الله عنه لا يقبل من الناس
شيئا وكان بعضهم يقول أحب أن أعلم من أين يأكل فقال له من يخبر أمره وأنا أدري
من أين يأكل كان له صديق عاقل يعني نظيره في العقل والدين لأن بعضهم كان
لا يقبل إلا من النظراء ولا يقبل إلا من الأتباع وهذا الصديق العاقل الذي كان يقوم
بكفايته ولم يكن يظهر أمره هو السري السقطي رضي الله عنه قال بشر ما سألت
أحدا قط شيئا من الدنيا إلا السري السقطي لأنه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو
يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فأكون قد أعنته على ما يحب
وكان سري يوجه إلى أحمد بن حنبل في حاجاته فيقبل منه وكان إذا ذكر عند
أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول ذلك الفتى المعروف بطيب الغذاء إنه ليعجبني أمره
وإن بلغت به الحاجات كل مبلغ وأشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسأل مولاه
فلم يقدر له بشيء ووقته يضيق على الكسب لشغله بحاله فعند ذلك يقرع باب
السبب ويسأل من دون هؤلاء ممن يجهل حاله جاء في الأثر من جاع فلم يسأل فمات
دخل النار وقد سأل الناس عند الحاجة والفاقة نبي الله موسى والخضر عليهما
السلام لقوله تعالى استطعما أهلها وكان أبو جعفر الحداد وهو شيخ
الجنيد رضي الله عنهما يسأل من باب أو بابين بين العشاءين ويكون ذلك معلوما
إلى بعد حاجته من يوم أو يومين وكان له مقام في الزهد والتوكل قال أبو طالب ولم يعب
هذا عليه عموم ولا خصوص ونقل عن أبي سعيد الخراز رضي الله عنه أنه كان يمد
يده عند الفاقة ويقول ثم شيء لله ونقل عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه كان معتكفا
بجامع البصرة مرة وكان يفطر في كل ثلاثة أيام وليلة إفطاره يطلب من الأبواب
وكان الثوري يسأل في البوادي من الحجاز إلى صنعاء اليمن وقال كنت أذكر لهم
حديثا في الضيافة قال فيخرجون إلي طعاما فآخذ قدر حاجتي وأترك ما يبقى
وليجتنب المريد الأكل بالدين وقبول أرفاق النسوان فإن قيل كيف يرد ما أعطاه

في الوجوه

في الوجوه التي حكمتم عليه بعدم الأخذ فيها وهو إنما يأخذ من يد ربه كما تقدم وهل
أراد لذلك أن أدب على الله تعالى وكيف يستقيم ذلك فالواجب أن القيام بحق الشرع [illegible]
لا بد منه والتوحيد لا ينافي ذلك وقد قيل الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه
وكل باطن من العلم يخالف ظاهرا فهو مردود ووجه صحة الرد للعطاء عند مشاهدة
التوحيد ظاهرا لا فرق في ذلك بين يدي المعطي ويدي الآخذ فكما يشاهد لا آخذ
إلا الله تعالى في العطاء عند يد المعطي فيأخذ ما يعطاه عند موافقة العلم اتباعا
لأدب الله تعالى وأمره فيشهد أن الله تعالى في المنع عند يديه نفسه بالرد عند مخالفة
العلم فلا يأخذه ولا يقبله اتباعا لنهي الله تعالى عن ذلك وعدم إذنه فيه كما
فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبز الذي أهدي إليه مع التمر والأقط
وكما فعله فتح الموصلي والحسن البصري رضي الله عنهما مع روايتهما للحديث
الذي ذكر فيه أن رد الهبة رد على الله تعالى وقد تقدم ذكره بلفظه فبهذا ينقطع
ذلك الخيال والله تعالى الموفق لصالح الأعمال وإنما أطلنا الكلام في هذه المسألة
لأن الحاجة ماسة إليها وليعلم من ذلك أن جميع تعاريفها ومسائلها داخلة
في كلام المؤلف رحمه الله تعالى حال إيجازه واختصاره فكلامه فيها من بديع الكلام
ومستحسنه ولشيخه أبي العباس المرسي رضي الله عنه في معنى ما ذكره كلام
بديع مختصر منتزع من كتاب الله عز وجل نقله عنه في لطائف المنن قال رضي الله
عنه للناس أسباب وسببنا نحن الإيمان والتقوى قال الله تعالى ولو أن أهل القرى
آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقد جود الشيخ رحمه الله صياغته
وأحسن سياقته في مقصد الإرشاد والهداية وقال رضي الله عنه ربما استحيا
العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاء بمشيئته فكيف
لا يستحيي أن يرفعها إلى خليقته تقدم أن من الأدب ترك الطلب والسؤال
من الله تعالى اكتفاء بمشيئته ورضى بسابق قسمته وأن العارفين المحققين
يستحيون من الله تعالى في ذلك فكيف لا يستحيون من مولاهم عز وجل عند
سؤالهم للمخلوقين وهل أدبهم في ذلك واستحياؤهم من ربهم إلا واجب عليهم
فلا يسألون منهم شيئا ولا يعرفون إليهم حاجة لأنهم فقراء محتاجون ومولاهم
هو الغني الحميد وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا تتعدا همتك إلى غيره فالكريم

لا تتخطاه الآمال قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ما من قلب ولا نفس إلا والله تعالى مطلع
عليه في ساعة الليل والنهار فأيما نفس أو قلب رأى فيه حاجة إلى سواه سلط عليه إبليس
وقال الأستاذ أبو علي الدقاق رضي الله عنه من علامات المعرفة أن لا تسأل حوائجك قلّت
أو كثرت إلا من الله سبحانه مثل موسى عليه السلام اشتاق إلى الرؤية فقال أرني
أنظر إليك واحتاج مرة إلى رغيف فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير وذكر الإمام
أبو القاسم القشيري رضي الله عنه أن بعض الفقراء كان يأتي كل يوم ويقف بحذاء
الكعبة بقدر ما يكون ما شاء الله تعالى ويخرج من جيبه رقعة ينظر فيها فلما كان
بعد أيام فعل مثل ذلك ثم تباعد ومات فجاء بعض من يعرفه ونظر في الرقعة وإذا
فيها واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا قال وكان الرجل أصابته الفاقة فصبر ولم
يظهر حاله لمخلوق حتى مات قال أبو بكر الجوهري رحمه الله كنت بعسقلان
على برج الحرس فمر بي رجل عليه جبة صوف متخرقة فقمت إليه مسلما وعانقته
وأجلسته وجاريته معه في فنون من العلم وكان قدماه حافيتين فقلت له لم لا
تسأل أصحابنا في نعل يقيك الحفا فقال يا أخي لو أمرت بالجبال وحبس عين الشمس
بالعقال ونقل ماء البحر بالغربال أهون من موقف السؤال وأن نحتاج إلى من المخلوقين
النوال ثم أخرجني من باب المدينة فانتهى بي إلى صخرة منقورة فإذا عليها مكتوبا
كل من كد يمينك وعرق جبينك فإن ضعف يقينك فاسأل المولى يعينك
قال في التنوير واعلم رحمك الله أن رفع الهمة لسالكي طريق الآخرة وعدم التعرض
لهم أزين لهم من التحلي للعروس وهم أحوج إليه من الماء لحياة النفوس ومن خلعت
عليه خلعة الملك فحفظها وصانها فحري بأن تدام له ولا تسلب عنه والمدنس
بخلع المواهب حري أن لا تترك له فلا تدنس أيها الأخ إيمانك بطمعك في
المخلوقين ولا تجعل اعتمادك إلا على ربك وكن أيها الأخ إبراهيمي صلوات الله
عليه وسلامه لا أحب الآفلين وما سوى الله آفل إما وجودا وإما إمكانا وقد
قال الله سبحانه وتعالى ملة أبيكم إبراهيم أي اتبعوا ملته فواجب على المؤمن
أن يتبع ملة إبراهيم ومن ملته رفع الهمة عن الخلق فإنه يوم زج به في المنجنيق
تعرض له جبريل فقال ألك حاجة فقال إليك فلا وأما إلى الله فبلى قال فسله قال
حسبي من سؤالي علمه بحالي فانظر كيف رفع همته عن الخلق ووجهها إلى الملك

الحق

الحق فلم يستغث بجبريل ولا احتال على السؤال من الله بل رأى ربه أقرب من جبريل
ومن سؤاله فلذلك سلمه من نمرود ونكاله وأنعم عليه بنواله وأفضاله
وخصه بوجود إقباله وملة إبراهيم معاداة كل ما شغل عن الله وصرف
الهمة بالرد إلى الله تعالى فإنهم عدو لي إلا رب العالمين والغنا إن أردت الدلالة
عليه فهو في اليأس من الناس ولقد قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه أيست
من نفع نفسي لنفسي فكيف لا أيأس من نفع غيري لنفسي ورجوت الله لغيري
فكيف لا أرجوه لنفسي وهذا هو الكيمياء والإكسير الذي من حصل له حصل
له غنا لا فاقة فيه وعز لا ذل معه وإنفاق لا نفاد له وهو كيمياء أهل الفهم عن الله
تعالى قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه صحبني إنسان وكان ثقيلا علي فبسطته
يوما فانبسط فقلت يا ولدي ما حاجتك ولم صحبتني قال يا سيدي إنك تعلم
الكيمياء فصحبتك لأتعلم منك ذلك فقلت له صدقت وصدق من حدثك
ولكن أخالك لا تقبل فقال بل أقبل فقلت له نظرت إلى الخلق فوجدتهم على قسمين
أعداء وأحباء فنظرت إلى الأعداء فعلمت أنهم لا يستطيعون أن يشوكوني بشوكة
لم يرد الله بها فقطعت نظري ثم تعلقت بالأحباء فوجدتهم لا يستطيعون أن ينفعوني
بشيء لم يرد لي الله به فقطعت يأسي منهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لي إنك
لا تصل إلى حقيقة هذا الأمر حتى تقطع يأسك منا كما تقطع من غيرنا
أن نعطيك غير ما قسمناه لك في الأزل وقال مرة أخرى لما سئل عن الكيمياء
فقال أخرج الخلق من قلبك واقطع يأسك من ربك أن يعطيك غير ما قسم
لك قال وليس يدل على فهم كثرة علمه ولا مداومته على ورده إنما يدل
على فهم كثرة علمه ولا مداومته على ورده إنما يدل نوره وفهمه غناه بربه
وانحياشه إليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك
تحسن الأعمال وتزكو الأحوال قال الله تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها
لنبلوهم أيهم أحسن عملا فحسن الأعمال إنما هو بالفهم عن الله تعالى والفهم
هو ما ذكرناه من الاعتناء بالله والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج
إليه والدوام بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى انتهى ما يتعلق
بغرضنا من كلام صاحب كتاب التنوير وهو من الكلام النفيس الخطير وانتهى

رحمك الله إذا تأملته بعين بصيرتك ناصحا لربك في علانيتك وسريرتك
علمت منه أن ما تضمنه عظيم الوقع وأنه مستحسن منا إيراده في هذا الموضع
إذ هو منوط بالإيثار والتوحيد يحتاج إليه كل سالك ومريد يريد رعاية حق
رعايته وصرف إلى العمل بمقتضاه عنان عنايته فقد تحقق بحقائق الإيمان وكان
من أولياء الله تعالى بمكان ومن أهمله وضيعه وجهل قدره وموقعه يخاف عليه
من الوقوع في الشرك الخفي والجلي وأن يستحق أن يطرد عن باب مولاه العلي فيبقى
طمعه في الخلق وتضيق عليه متسعات أبواب الرزق كما قال بعض العارفين
المكاشفين رضي الله عنه فيا من في نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم لا تردن
فاقة إلى غيري فأضاعفها عليك مكافأة سوء أدبك وخروجك عن حدك
في عبوديتك إنما ابتليتك بالفاقة لتفزع إلي منها وتضرع لدي وتتوكل
فيها علي سبكتك بالفاقة لتصير ذهبا خالصا فلا تزيفن بعد السبك
وسمتك بالفاقة وحكمت لنفسي بالغنى فإن وصلتها بي وصلتك بالغنى
وإن وصلتها بغيري قطعتك عن مواد معونتي وحسمت أسبابك من
أسبابي طردا لك عن بابي فمن وكلته إلي ملك ومن وكلته إليه هلك انتهى ومنهم
من يقف من قبول الرفق على أيدي الخلق ويترفع همة عن ذلك وإن لم يكن سؤال ولا
طلب. يحكى عن حماد بن سلمة رحمه الله أنه قال كان في جواري امرأة أرملة
لها أيتام وكانت ليلة ذات مطر فسمعنا صوتها تقول يا رفيق ارفق بي فقال فخطر
ببالي أنها أصابتها فاقة فصبرت حتى احتبس المطر فحملت معي عشرة
دنانير ودققت عليها الباب فقالت حماد بن سلمة فقلت نعم كيف الحال فقالت
بخير وعافية احتبس المطر ودفي الصبيان فقلت خذي هذه الدنانير النفقة
وأصلحي بها بعض شأنك فأقبلت صبية لها خماسية يا حماد تريد أن تكون
بيننا وبين معبودنا ثم قالت لأمها لما رفعت صوتك بإظهار البث علمت أن الله
يؤدبنا بإظهار الرفق على يدي مخلوق وذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي عن عباس
بن حمزة قال كنت عند بشر بن الحارث رضي الله عنه وهو يتكلم في الرضا والتسليم
فإذا هو برجل من المتصوفة فقال له يا أبا نصر انقبضت عن أخذ البر من أيدي الخلق
لإقامة الجاه فإن كنت متحققا بالزهد منصرفا عن الدنيا فخذ من أيديهم ليمحي

جاهك

جاهك عندهم وأخرج ما يعطونك إلى الفقراء وكن بعد على التوكل تأخذ قوتك
من الغيب فاشتد ذلك على أصحاب بشر فقال بشر اسمع أيها الرجل الجواب أن
٩٦
الفقراء ثلاثة ففقير لا يسأل وإن أعطي لا يأخذ فذلك من الروحانيين إذا سأل الله تعالى
أعطاه وإن أقسم على الله أبر قسمه وفقير لا يسأل وإن أعطي قبل فذلك من أوسط القوم
عقده التوكل والسكون إلى الله تعالى وهو ممن توضع له الموائد في حضرة القدس
وفقير اعتقد الصبر ومدافعة الوقت فإذا طرقته الحاجة خرج إلى عبيد الله
وقلبه إلى الله بالسؤال فكفارة سؤاله صدقه فقال الرجل رضيت رضي الله عنك

وقال رضي الله عنه: **إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما**
على النفس فاتبعه فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقا

هذا ميزان صحيح باعتبار غالب الأنفاس لأنها مجبولة على الجهل والميل
والشره فشأنها أبدا إنما هو طلب الحظوظ والفرار من الحقوق كما تقدم عند
قوله حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي
فإذا وجد المريد من نفسه سبيلا وخفة عند بعض الأعمال دون البعض
اتهمها وترك ما مالت إليه وخف عليها وعمل بما استثقلته قال بعض
العارفين منذ عشرين سنة ما سكن قلبي إلى نفسي ساعة وسكون القلب
إلى النفس هو اتباعه لما خف عليها دون الأثقل وهو معدود عندهم من نفاق
القلب ومن بقي عليه شيء من دواعي الهوى وإن قل لا يؤمن عليه من مثل هذا
إذ خفة العمل على النفس إنما تكون لأجل موافقة هواها وهواها لا يميل
إلا إلى الباطل فإذا التبس عليك أمران واجبان أو مندوبان ولم تعلم أيهما أوجب
أو أفضل لتقدمه على الآخر فانظر أثقلهما على نفسك فاعمل به وإنما قلنا باعتبار
غالب الأنفاس لأن النفس المطمئنة لا توصف بالجهل ولا بالشره فقد يخف عليها العمل
ولا يدل ذلك على أنه باطل فليكن نظر العبد حينئذ إلى ما هو أكثر فائدة وأعظم
مزية فليقدمه على غيره وقد ذكر الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه حكاية
عجيبة في شره النفس وكونها لا تميل إلا إلى الباطل قال حدثني بعض إخواني
عن بعض هذه الطائفة قال قدم علينا بعض الفقراء فاشترينا من جار لنا
حملا مشويا ودعوناه إليه في جماعة من أصحابنا فلما مد يده أخذ لقمة وجعلها

في فيه ثم لفظها ثم اعتزل وقال كلوا انتم فانه قد عرض لي عارض منعني من الاكل
فقلنا لا ناكل ان لم تاكل فقال انتم اعلم اما انا فغير آكل ثم انصرف قال وكرهنا
ان ناكل دونه فقلنا لو دعونا الشواء فسالناه عن امر هذا الحمل فلعله سببا مكروها
فدعوناه فلم نزل به نسئله عنه حتى اقر انه كان ميتة وان نفسه شرهت الى
بيعه حرصا على ثمنه فشواه ووافق انكم اشتريتموه قال فرميناه للكلاب
قال ثم اني لقيت الرجل بعد وقت فسالته لاي معنى تركت الحمل وباي عارض
فقال اخبرك ما شرهت نفسي الى الطعام منذ عشرين سنة الرياضة التي
رضتها به فلما قدمتم الي ذلك الشواء شرهت نفسي اليه شرها ما عهدته قبل
ذلك فعلمت ان في الطعام علة فتركت الحمل لاجل شره النفس اليه قال الشيخ
ابو طالب رحمه الله كيف اتفقا في شره النفس عن قصة واحدة ثم اختلفا في التوفيق
والخذلان فعصم العالم بالورع والمحاسبة وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص
وترك المراقبة اعني البايع للحمل وعصم الآخرين للتوفيق بحسن الادب وهو قمع
شره النفس عن الاكل بعد صاحبهم ثم تدارك البايع بعد وقوعه بصدق المشترى
وحسن نيته انتهى و ثم ميزان اخر اصح واكثر تحقيقا من الاول وهو
ان يقدر نزول الموت به في اي عمل شرع ان يكون مشغولا به اذ ذاك فهو حق وما
عداه باطل قال في لطايف المنن والموت ميزان الافعال والاحوال كما هو ميزان
في دايرة الرتب اما الرتب فكما تقدم يعني انه علامة صحة مرتبة الولاية
واما الافعال والاحوال فاذا التبس عليك امر لا تدري هل يرضي الله تركه
او فعله او حالة انت بها لا تدري هل قمت فيها بحق او قمت فيها بهوى فاورد
الموت على ما انت فيه من افعال واحوال فكل حالة انت بها لا تدري هل قمت
فيها بحق فما يثبت مع تقدير ورود الموت عليها ولم تنهزم فهو حق وكل
حالة وعمل هزمها الموت فهو باطل اذ الموت حق والحق يهزم الباطل ويدمغه
لقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق قل ان ربي
يقذف بالحق علام الغيوب وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان
زهوقا وما كنت فيه قايما بحق لم يهزمه الموت اذ هو حق والموت حق
والحق لا يهزم الحق قال وقد تجاريت الكلام انا وبعض من يشتغل في انه ينبغي

اخلاص

إخلاص النية فيه والا يشتغل به الا لله فقلت الذي يقرا العلم لله هو الذي اذا قلت
له غدا تموت لا يضع الكتاب من يده انتهى قلت وهذا هو فصل الخطاب ونهاية
الصواب فان العبد في هذه الحالة لا يصدر منه الا العمل الصالح الخالص من شوب
الريا ومازجة حظ النفس واتباع الهوى وهذا هو المطلوب من العبد ولا يستتب
له ذلك الا ان يتحقق بما يقدره من حلول الموت وحصول الفوت وهذا هو معنى
قصر الامل الذي هو اصل خير العمل وهو ان لا يقدر لنفسه وقتا ثانيا يكون فيه
حيا وعند ذلك يخلص عمله من الافات ويتطهر من انواع الرعونات لان توقع الموت
في كل نفس ولحظة يهدم عليه جميع ما ذكره المؤلف وكل عمل استرسل فيه صاحبه
غافلا عن تقدير وقوع ذلك ان لم يكن متحققا به لا يسلم مما ذكرناه فاذا بعيد من
الاخلاص من ياخذ في علم غير متعين عليه لاخذ فيه لا تخشى ثمرته الا في ثاني
حال ويكون في حالة الراهنة متمكنا من ايقاع طاعة تزيد مصلحتها على مصلحة
ما اخذ فيه من العلم يفوز بثوابها وتنجز له حصول النفع بها لان في ذلك فوت
نفسه وفوات حظه ودلالة ذلك انه قد يعرض له في حال اخذه فيه غرض
دنيوي فيكون احتظا نفسه به اكثر فيقدمه على ما كان اخذا فيه ويتشاغل
به من غير مبالاة بما يفوته من ذلك وانما عبرنا بلفظ لاخذ ليدخل فيه تعلم المتعلم
وتعليم المعلم فان الامر فيهما واحد وكل عمل لا اخلاص فيه ليس لله ولا لله
مردود على صاحبه مضروب به وجهه وبهذا تبين لك غرور اكثر الخلق في علومهم
واعمالهم الا من رحم الله تعالى ولهذا نشاهد اكثر الناس عند نزول الموت بهم يندمون
على ما اسلفوه من عمل ويودون ان لو انسيء لهم في الاجل ومثلها تاهيها فنعوذ
بالله من الغفلة في زمان المهلة فانها مبدا كل عمل فاسد ومنشا وجود الغرة والجهالة
لكل عالم وعابد وما ذكرناه من معرفة اختلاف درجات المصالح ليقوم الفاضل
منها على المفضول لا يصلح الا لمن ايده الله بنور اليقين وجبله على النصيحة
له في الدين وكان له حظ وافر من الخوف والحذر وموافقة مولاه في كل ورد وصدر
ولا شك ان هذه المرتبة عزيزة المنال متعذر ادراكها على الاحاد من الرجال
وسبيل من لم يصل اليها ممن ذكرناه اذا كان منصفا ان يستعين بنظر من هو
اصح منه حالا واصوب مقالا وفعالا ويفوض جميع اموره اليه ويعتمد اشارته

في كل ما يشير به عليه وعلامة انصافه وجود ايامه لنفسه وعدم اعتماده على
عقله وحدسه ومن لم يكن منصفا في الكلام معه من يارو فاسد وضرب في حديد بارد
وسيأتي مزيد تنبيه على غرور الاخذين في العلم في موضع اليق من هذا والله تعالى
ولي التوفيق وقال رضي الله عنه **من علامة اتباع الهوى المسارعة**
الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات هذه
من الصور التي تتبين فيها خفة الباطل وثقل الحق على النفس وما ذكره هو حال اكثر
الناس فترى الواحد منهم اذا اعتقد التوبة لا همة له الا في نوافل الصيام والقيام
وتكرار المشي الى بيت الله الحرام وما اشبه هذا من النوافل وهو مع ذلك غير متدارك
لما فرط فيه من الواجبات ولا متحلل لما لزم ذمته من الظلامات والتباعات وما ذلك
الا لانهم لم يشتغلوا برياضة نفوسهم التي خدعتهم ولم يجعلوا بمجاهدة اهوائهم
التي استرقتهم وملكتهم ولو اخذوا في ذلك لكان لهم اعظم شغل ولم يجدوا فسحة
لشيء من الطاعات والنفل قال بعض العلماء من كانت الفضائل اهم اليه من اداء
الفرائض فهو مخدوع وقال محمد بن ابي الورد رضي الله عنه هلاك الناس في حرفين
اشتغال بنافلة وتضييع فريضة وعمل الجوارح بلا مواطاة القلب عليه وانما
حرموا الوصول بتضييعهم الاصول وقال الخواص رضي الله عنه انقطع الخلق
عن الله بخصلتين احدهما انهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثانية عملوا
اعمالا بالظاهر ولم ياخذوا انفسهم بالصدق فيها والنصح لها وابى الله ان يقبل
من عامل عملا الا بالصدق فيها والنصح لها واصابة الحق قال الشيخ ابو طالب
المكي رضي الله عنه فافضل شيء للعبد معرفته بنفسه ووقوفه على
حده واحكامه لحاله التي اقيم فيها وابتداؤه بالعمل بما افترض عليه
بعد احتمائه بما نهي عنه بعلم يديره في جميع ذلك وورع يحجزه عن
الهوى في ذلك ولا يشتغل بطلب فضل حتى يفرغ من فرض لان الفضل
لا يحصل الا بعد حوز السلامة كما لا يخلص الربح للتاجر الا بعد حصول راس
المال فمن تعذرت عليه السلامة كان من الفضل ابعد والى الاغترار اقرب انتهى
قيد الطاعات باعيان الاوقات كي لا يمنعك عنها وجود التسويف
ووسع عليك الوقت كي تبقى لك حصة الاختيار انعم عليك فيما
امرك

امرك به من الطاعات الموقتة بالاوقات بنعمتين عظيمتين احدهما تقييدها
لك باعيان الاوقات لموقعها فيها فتحوز ثوابها ولو لم يجعل هذا التوقيت
بها ولم تعلمها حتى تفوتك فيفوتك ثوابها والنعمة الثانية توسيع اوقاتها
عليك ليبقى لك نصيب من الاختيار حتى تاتي الطاعات في حال سكون وتمهل
من غير حرج ولا ضيق فله الحمد على نعمه علم قلة نهوض العباد الى معاملته
ما اوجب عليهم وجود طاعته فساقهم **اليه بسلاسل الايجاب**
عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل لما علم
الله تعالى قلة نهوض العباد الى معاملته الواجبة له عليهم من اقامة العبودية
لمظاهرة الربوبية في حال الطواعية منهم اذ في ذلك قرة اعينهم وغاية نعيمهم
اوجب عليهم وجود طاعته على حال الكراهية منهم لاجل ما خوفهم به ان لم
يفعلوا فساقهم بسلاسل ايجابه وتحديده اليه واستدراجهم بذلك الى ما فيه
نعيمهم مما لا علم لهم به وفعل بهم ما يفعل بالصبي الا تراه كيف يؤدب ويضرب
على استرساله على مقتضى طبعه وجبلته ويلزم امورا شاقة عليه فيفعلها
وهو كاره لذلك والغرض انما هو حصوله على منافعه التي هو جاهل بها فاذا كبر
وعقل عرف ذلك عيانا او قد عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل
كما يفعل باسارى الكفار حين يراد منهم الدخول في الاسلام فيقادون الى الجنة
بالسلاسل في رقابهم وهذا حديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هكذا عجب الله من اقوام يساقون الى الجنة بالسلاسل قلت وتعبير المؤلف
رحمه الله تعالى بالسلاسل والسوق بها واستعماله ذلك في التكاليف الواجبة التي
الزم العباد القيام بها من بديع الاستعارات كما قال الشاعر وهو ابو خراش الهذلي
وليس كعهد الدار يا ام مالك ... ولكن احاطت بالرقاب السلاسل
وكذلك تمثيله بالحديث المذكور فيه ذلك والاشارة به الى مقصوده في غاية الحسن
قال بعض العلماء يجوز ان يكون معنى التعجب المنسوب الى الله تعالى فيه اظهار
عجب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان وهو ان الجنة التي اخبر الله بما فيها من النعيم
المقيم والعيش الدائم والخلود فيه الذي من حكم من سمع به من ذوي العقول ان يسارع
اليها ويبذل مجهوده في الوصول اليها ويتحمل المكاره والمشاق لينالها وهؤلاء

يمتنعون من ذلك ويرغبون عنها ويزهدون فيها حتى يقادوا اليها بالسلاسل
كما يقادوا الى المكروه العظيم الذي تنفر منه الطباع وما لم منه الابرار وتكرهه
النفوس وقد قرا جماعة من القراء بل عجبتُ بضم التاء وفي حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من فلان وفلانة في قصة الانصاري الذي قال
لامرأته اكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حديث صحيح
مشهور فالعجب المنسوب الى الله تعالى قد ورد في الكتاب والسنة فهو
اذاً من الصفات السمعية اوجب عليك وجود خدمته وما اوجب عليك
الا دخول جنته هذه عبارة حسنة موافقة لمعنى ما تقدم والمقصود
من هذا كله الاعلام بان الله تعالى غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم
ولا تضره معصيتهم وان التكاليف كلها انما اوجبها عليهم لما يرجع اليهم من
مصالحهم لا غير قلت وما ذكره المؤلف رحمه هو حال عامة الناس الذين من شانهم
التاني وعدم الانقياد للاوامر والنواهي ولذلك احتاجوا الى التخويف والتحريض
والموالات للخير والمبالغة في التكليف واما الخاصة منهم فلم يحتاجوا الى شيء
من ذلك لان الله تعالى شرح صدورهم ونور بصائرهم وكتب في قلوبهم
الايمان وحبب اليهم الطاعة وبغض اليهم العصيان فلم يقتصروا على
ما اقتصر عليه المذكورون من فعل الواجبات واجتناب المحظورات
فقط بل اضافوا الى ذلك المبادرة الى اعمال الطاعات والمسارعة
في نوافل الخيرات وبالجملة صارت اعمالهم قربات وذلك لتمام حريتهم
وصحة عبوديتهم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه قال في التنوير
وانما جعل سبحانه الايجاب على العباد علما منه بما منهم عليه من وجود
الضعف وبما نفوسهم متصفة به من وجود الكسل فاوجب عليهم
ما اوجب لانه لو خيرهم فيما اوجب عليهم لم يكونوا به قائمين الا قليلا وقليل
ما هم فاوجب عليهم وجود طاعته وفي التحقيق ما اوجب عليهم الا دخول
جنته فساقهم الى الجنة بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون
الى الجنة بالسلاسل قال واعلم رحمك الله انا تلمحنا الواجبات فراينا الحق
سبحانه جعل في كل ما اوجبه تطوعا من جنسه في انواع كان ليكون

ذلك

ذلك التطوع من ذلك الجنس جابرا لما عساه ان يقع من الخلل في قيام العبد بالواجبات
وكذلك جاء في الحديث انه ينظر في فرض صلاة العبد فان نقص منها شيء كمل
من النوافل فافهم رحمك الله هذا ولا تكن مقتصرا على ما فرض الله عليك بل
لتكن فيك ناهضة حب توجب اكبابك على معاملة الله فيما يوجبه
عليك ولو كان العباد لا يجدون في موازينهم لافعال الواجبات وثواب ترك المحرمات
الا ما لهم من الخير والمنة ما لا يحصره حاصر ولا يحوزه حائز فسبحان الفتاح
للعباد باب المعاملة واظهر لهم اسباب المواصلة قال واعلم ان الحق سبحانه
علم ان في عباده ضعفاء واقوياء فاوجب الواجبات وبين المحرمات فالضعفاء
اقتصروا على القيام بما اوجب والترك لما حرم وليس في قلوبهم من سلطان
الحب ووجود الشغف ما يحملهم على المعاملة من غير ايجاب فمثلهم كمثل
العبيد يعلم السيد منه انه ان لم يخارجه لم يجر اليه شيئا فلذلك وقت
سبحانه الاوراد ووظف وظائف العبودية وعرف ذلك بالطالع والغارب
والزوال والصيرورة ظل كل شيء مثله في الصلاة وبالحول في الاموال النامية العين
والماشية وبوقت حصول المنفعة في الزرع وان توقفه يوم حصاده وبعشر
ذي الحجة في الحج وبشهر رمضان في الصيام فوظف الوظائف ووقتها وجعل
للنفوس فيها فسحة الحظوظ والسعي في الاسباب واهل الله اهل الفهم عنه جعلوا
الاوقات كلها وقتا واحدا والعمر كله نهجا الى الله فاصبحوا علموا ان الوقت كله
له فلم يجعلوا شيئا منه لغيره وكذلك قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه
عليك بورد واحد وهو اسقاط الهوى ومحبة المولى ابت المحبة ان تستعمل
محبا الا فيما يوافق محبوبه وعلموا ان الانفاس امانات الحق عندهم وودائعه
لديهم فعلموا انهم مطالبون برعايتها فوجهوا هممهم لذلك وكما ان الربوبية
الدائمة كذلك حقوق ربوبيته عليك دائمة فربوبيته غير موقوتة
بالاوقات فحقوق ربوبيته ينبغي ان تكون ايضا كذلك قال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه اكل وقت سهم يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية انتهى
من استغرب ان ينقذه الله من شهوته وان يخرجه من وجود غفلته
فقد استعجز قدرة الالهية وكان الله على كل شيء مقتدرا

من استرقته الشهوات واستولت عليه الغفلة فلا ينبغي له ان يستغرب
ان ينقذه الله من اسر شهوته وان يخرجه من وجود غفلته لما يشاهد من استحكام
ذلك فيه فان ذلك نسبة العجز الى القدرة الالهية والله تعالى متصف
بالاقتدار على كل شيء وهذا من الاشياء وليعلم العبد ان قلوب العباد ونواصيهم
بيده فلا يقنط ولا ييأس وليقصد باب مولاه بالذلة والافتقار فعساه يسهل عليه
ما استصعبه ويظهر فيه ما استغربه وما ذلك على الله بعزيز وليعتبر هذا
المعنى بالحكايات التي تروى عن الصالحين الذين تقدمت لهم في بداياتهم الزلات
ووقعت منهم قبل توبتهم الهفوات فتداركهم الله تعالى بلطفه واستنقذهم
بوجوده وعطفه فاصلح اعمالهم وصفى احوالهم وابدل سيئاتهم حسنات
ورفعهم من اسفل سافلين الى اعلى الدرجات كل ذلك في اقرب زمان واقصر مدة
واراد الحكايات في هذا المعنى عن الفضيل بن عياض وعبد الله بن علون رضي الله
عنهم معروفة مشهورة ومن اغرب ما رايت في هذا النوع ما رواه عبد الصمد
بن معقل عن عمه وهب بن منبه رضي الله عنه ان رجلا قتل نفسا فجاء الى سائح
من سياح بني اسرائيل فسأله عن ذلك قال فرفع له السائح من الارض عرجونا
ابيض قد يبس حايلا ثم قال له اذا اخضر هذا العرجون فقد قبلت توبتك واراد السائح
ان يؤيسه من التوبة لعظم ذنبه فاخذ العرجون وهو يطمع في التوبة ويعزم
فتابا وجعل يعبد الله تعالى زمانا ويدعوا حتى اخضر ذلك العرجون باذن الله
تعالى وقدرته واغرب من هذا واعجب ما اخرجه مسلم في صحيحه من حديث
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيمن كان قبلكم
رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله واكمل به المائة
ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له
من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها
اناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء
فانطلق حتى اذا انتصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة
وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا الى الله وقالت ملائكة
العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا

ما بين

ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التي
اراد فقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة قال الحسن ذكر لنا انه لما اتاه
الموت نأى بصدره وقال غيري كان يقال ما وفق الله عبدا للعمل الا وهو يريد
ان يقبله منه ولا يوفق الله عبدا للنزوع عن ذنب الا وهو يريد ان يغفر له وذكر
القاضي يونس بن عبد الله المعروف بابن الصفار رحمه الله في كتاب التسبب والتيسير
صالح العمل انه اخبره ثقة من اهل العلم قال كان رجل من اهل الادب له اصحاب
يجمعه بهم مجالس الشر مكروهة فدعوه ذات يوم فلم يجبهم فقالوا له ما يمنعك من
اجابتنا فقال دخلت البارحة في الاربعين وانا استحيي من شيبي ثم لزم الخير
والعبادات قال وروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بانه قال وجبت حجة
الله على ابن الاربعين وذكر فيه ايضا عن مغيث بن سمي قال كان رجل من بني
اسرائيل يعمل بالخطايا فبينما هو ذات يوم يسير ذكر ما سلف من عمله
فقال اللهم غفرانك فمات على ذلك الحال فغفر له وذكر فيه ايضا عن رجل من
العلماء انه راى في منامه شيخا وجماعة من الشعراء قد احدقوا يسألونه قال
له ايها الشيخ اخبرني باحكم بيت قالته العرب فانشدني

صبا ما صبا حتى علا الشيب راسه ... فلما علاه قال للباطل ابعد

قال فوالله لقد نفعني الله بهذا البيت ما ذكرته بعد ذلك عند شهوة او خطيئة
الا ارتجعت عنها وارجوا الايجار في الانتفاع به ما بقيت ان شاء الله تعالى وفي
الكتاب المذكور حكايات مستحسنات في هذا المعنى فطالع ذلك فيه والله
الموفق لا رب غيره **ربما وردت الظلم عليك لتعرفك قدر ما من
به عليك** الظلم اضداد الانوار فما من نور الا وفي مقابلته ظلمة ولكل ظلمة
على قدر نورها والشيء يعرف بضده كما قيل وبضدها تتبين الاشياء فما اورده
عليك من الظلمات المحجبة والغيبة في ليالي البعد والفرقة فانما ذلك ليعرفك
قدر ما من به عليك من انوار التجلي والحضور في نهار القربة والوصلة فجميع ذلك
ذلك نعم سابغة عليك من غير علم منك بذلك وقال رضي الله عنه من لم يعرف
قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها اكثر الناس لا يعرفون قدر النعم
سلبها من حيث لا يعلم وقال الفضيل رضي الله عنه عليكم بمداومة الشكر

على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم وقال بعض البلغاء إذا كانت النعمة
وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال آخر شكر النعمة عصمة من حلول النقمة
وفي هذا قيل إنما يعرف قدر الماء من يبلى بعطش البادية لا من كان على شاطئ الأودية
الجارية وقيل أيضا الولد العاق والمضر إنما يعرف قدر والده يوم وفاة أبيه وقيل نعم الله
مجهولة وتعرف إذا فقدناها ومن دعاء بعض الصالحين اللهم عرفنا نعمتك بدوامها
ولا تعرفنا بزوالها قلت ولأجل غلبة الجهل بالنعم إلا عند الفقد وتضييع
الشكر عليها من العبد أمرنا **رسول الله** صلى الله عليه وسلم بالنظر إلى من هو
أسفل منا لئلا نزدري نعمة الله علينا والتصغير من عظمها بغيره قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما روى عنه أبو هريرة رضي الله عنه انظروا إلى من هو أسفل منكم
ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله وروى عنه أيضا
صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق
فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه قال أبو حامد رضي الله عنه
وكان بعض الصوفية وظف على نفسه كل يوم أن يحضر دار المرضى فيشاهدهم
ويشاهد عللهم ومحنهم ويحضر حبس السلطان ويشاهد أرباب الجنايات ومحنهم
وتعرضهم لإقامة العقوبات ويحضر المقابر فيشاهد أصحاب العزاء وتأسفهم
على ما لا ينفع مع اشتغال الموتى بما هم فيه وكان يعود إلى بيته ويشتغل
بالشكر طول النهار على نعم الله عليه في تخليصه من تلك البلايا انتهى وكان
الربيع بن خثيم رضي الله عنه حفر في داره قبرا وكان يضع في عنقه غلا وينام في الحفرة
ثم يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا ثم يرجع ويقول يا ربيع فقد أعطيت ما سألت
فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد وهذا كله موافق لأمر **رسول الله**
صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور ومن طريق للعبد الغافل التي تعرف النعم
الموجودة لديه أبلغ منه فإذا عرف نعم الله تعالى اشتغل بالشكر عليها من قبل
أن تزال عنه ولا يكون له سبيل إليها وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله
من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها وقال
رضي الله عنه لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك فإن ذلك مما
يحط من وجود قدرك إذا ترادفت نعم الله تعالى عليك فلا ينبغي أن تدهشك

عن القيام

عن القيام بشكرها من حيث ترى عجز نفسك عن توفية ذلك والاستقلال به
فتتركه فإن الله تعالى رفع قدرك وأعلى أمرك وجعل القليل منك كثيرا
وأشهدك من حسن توليه لك ونسبة أفعالك إليه ما يؤذن بعظم
سيادتك ورفعة قدرك فلا تبخس نفسك حقها وتحطها عن قدرها فتراها
عاجزة عن الشكر والقيام بمقتضى الأمر على وجه الأدب لا تيان من الشكر
ما وجب كان الأمر في ذلك إليها قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ما من نعمة
إلا والحمد أفضل منها التي أنعم بها الحمد أفضل من الأولى لأن بالشكر يستوجب المزيد
وفي أخبار داود عليه السلام إلهي ابن آدم ليس فيه شعرة إلا وتحتها نعمة
وفوقها نعمة فمن أين يكافئها فأوحى الله تعالى إليه يا داود إني أعطي الكثير
وأرضى باليسير وإن شكر ذلك أن تعلم أن ما بك من نعمة فمني وكتب بعض عمال
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إليه إني بأرض قد كثرت فيها النعم حتى لقد
أشفقت على من قبلي ضعف الشكر فكتب إليه عمر إني كنت أراك أعلم بالله
مما أنت إن الله تعالى لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان حمده
أفضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل قال الله تعالى ولقد
آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين
وقال تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت
أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا
الحمد لله وأي نعمة أفضل من دخول الجنة **وقال** رضي الله عنه تمكن حلاوة
الهوى من القلب هو الداء العضال لأن القلب محل الإيمان والمعرفة واليقين
وهذه هي الأدوية لأمراضه التي أوجبها وجود الهوى والشهوة فإذا
تمكن الداء من القلب لم ينفع الدواء فلذلك أعضل أمره وتعذر برؤه
وقال رضي الله عنه لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف
مزعج أو شوق مقلق الشهوة المتمكنة من القلب لا يخرجها
إلا وارد قوي قاهر غالبا يرد عليه وذلك إما خوف مزعج أو شوق مقلق
وما عداهما لا يستقل بذلك وقال رضي الله عنه كما لا يحب
العمل المشترك كذلك لا يحب القلب المشترك العمل المشترك لا يقبله والقلب
المشترك

المشترك لا يقبل عليه والعمل المشترك هو المشوب بالرياء والتصنع والقلب
المشترك الذي فيه محبة غير الله تعالى والسكون اليه والاعتماد عليه فالعمل المشترك
معتل ينظر صاحبه الى الناس والقلب المشترك معتل ينظر صاحبه الى الناس والقلب
المشترك معتل ينظر صاحبه الى نفسه فالعمل المشترك لا يحبه ولا يقبله ولا يثيب
عليه لفقد الاخلاص منه والقلب المشترك لا يحبه
ولا يرضى به لعدم وجود الصدق فيه فمن صحح اعماله بالاخلاص واحواله بالصدق
كان محبوبا لله تعالى مثابا مرضيا عنده والا فلا وقال رضي الله عنه **انوار اذن لها**
في الوصول وانوار اذن لها في الدخول الانوار الواردة على القلوب من خزاين
الغيوب تنقسم قسمين انوار اذن لها في الوصول الى ظاهر القلب فقط وانوار اذن
لها في الدخول الى صميم القلب وسويدائه فالانوار الواصلة الى ظاهر القلب يشاهد
العبد معها نفسه وربه ودنياه وآخرته ويكون تارة مع نفسه وتارة مع
ربه وطورا يسعى في العمل لآخرته وطورا يعمل في امور دنياه والانوار الداخلة
الى صميم القلب وسويدائه لا يظهر فيها الا وجود الله عز وجل فلذلك لا يحب سواه
ولا يعبد الا اياه قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا
للآخرة والدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان
باطن القلب ابغض العبد دنياه وهجر هواه وفي لفظ آخر اذا كان الايمان في ظاهر
القلب يعني على العوام كان المومن يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان باطن
القلب وكان في سويدائه احبه الحب البالغ قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله
عنه ومحنة ذلك ان ينظر فان كان يوثر الله تعالى على جميع هواه ويغلب محبته
حتى تصير محبة الله تعالى هي محبة العبد من كل شيء فهو محب لله تعالى حقا كما
انه مومن به حقا وان رايت قلبك دون ذلك قال بعض العلماء ظاهر القلب محل الاسلام
وباطنه محل الايمان فمن هنا تفاوت المحبون في المحبة لفضل الايمان على الاسلام وفضل
الباطن على الظاهر وقال رضي الله عنه ربما وردت عليك الانوار فوجدت القلب
محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت **فرغ قلبك من الاغيار تملاه**
بالمعارف والاسرار الانوار الالهية قد ترد على قلبك فلا تجد فيه موضعا
لاستقرارها لما غلب عليها من عونات البشرية واستحكم فيها من صور الآثار

ام والمحبة بغير ذلك

الكونية

الكونية فترتحل من حيث تنزل لانها مقدسة مطهرة فاذا اردت حلول الانوار فيه وتجلي
المعارف والاسرار له ففرغه من الاغيار وامح عنه صور الآثار قال الله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وقد تقدم من كلام المؤلف كيف
يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته وقال رضي الله عنه **لا تستبطئ**
منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الاقبال
تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا تطالب ربك بتاخر مطلبك
ولكن طالب نفسك بتاخر ادبك والعبارتان متفقتان معنى واختلفتا لفظا
وقال رضي الله عنه حقوق في الاوقات يمكن قضاؤها وحقوق الاوقات
لا يمكن قضاؤها اذ ما من وقت **يرد الا ولله عليك حق جديد وامر**
اكيد فكيف تقضي فيه حق غيره وانت لم تقض حق الله فيه
الحقوق الكائنة في الاوقات هي وظايف العبادات الظاهرة من صلاة وصيام
وغيرهما فمن فاته شيء منها في وقته المعين له امكنه قضاؤه في وقت آخر
اذ قد جعل له في ذلك مجال رحب فيستدرك فيه ما يفوته من تلك
الحقوق والحقوق المضافة الى الاوقات هي المعاملات الباطنة التي تقتضيها
احوال العبد وواردات قلبه المتلونة عليه ووقت كل عبد ما هو عليه من
ذلك فالعبد مطالب بحقوق جميع ذلك عند وروده عليه اذ لله تعالى
على كل عبد عند كل حال يحدث له ووارد يرد عليه حق جديد وامر اكيد
ولا يسعه الا ان يوفيه اذ ذاك فان فاته لم يجد محلا لقضائه ولا يمكنه
ذلك فعلى العبد ان يكون مراقبا لقلبه حتى يقوم بمراعاة تلك الحقوق
التي لا يمكنه قضاؤها ان فاتت قال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه
اوقات العبد اربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية
ولله عليك في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم
الربوبية فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه
ان هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر
وهو فرح القلب بالله ومن كان وقته البلية فسبيله الرضى بالقضاء والصبر
والرضى رضى النفس عن الله والصبر مشتق من الابصار وهو العرض للسهام

القضاء فإن ثبت لها فهو صابر والصبر ثبات القلب بين يدي الرب وفي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطي فشكر وابتلي فصبر
وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت صلى الله عليه وسلم فقالوا ما ذا
له يا رسول الله فقال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون أي لهم الأمن في الآخرة
وهم مهتدون في الدنيا. **ما فات من عمرك لا عوض له وما**
حصل لك منه لا قيمة له ن عمر العبد ميدان لأعماله الصالحة
المقربة له من الله تعالى والموجبة له جزيل المثوبة في الدار
الآخرة وهذه هي السعادة التي إليها يطمح العبد ويشتاق من أجلها
وليس له منها إلا ما سعى له كما قال الله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى
فكل جزء ووقت يفوته من العمر خاليا من عمل صالح يفوته من السعادة بقدره
ولا عوض له منه قال الجنيد رضي الله عنه الوقت إذا فات لا يستدرك
وليس شيء أعز من الوقت وكل جزء يحصل له من العمر غير خال من ذلك يتوصل
له إلى ملك كبير لا يفنى ولا قيمة لما يوصل إلى ذلك لأنه في غاية الشرف
والنفاسة ولأجل هذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم
لأنفاسهم ولحظاتهم وبادروا إلى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم ولم يضيعوا
أعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا لأنفسهم لمولاهم إلا بالجد والتشمير
وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقية عمر المؤمن ما لها
ثمن يدرك فيها ما فات ويحيي ما أمات وقد نظمه بعض الشعراء فقال ن

ن بقية العمر عندي ما لها ثمن ... وإن غدا غير محسوب من الثمن ن
ن يستدرك المرء فيها ما فاته ... ويحيي ما أماته ويمحو السوء بالحسن ن

وقال رجل لعامر بن عبد الله بن قيس رضي الله عنه وهو بين الجمعة قف حتى أكلمك
فقال لولا أني أبادر لوقفت عليك قال له وما تبادر قال أبادر خروج روحي وقال
الحسن البصري رضي الله عنه أدركت أقواما كانوا على ساعاتهم أشفق
منكم على دنانيركم ودراهمكم يقول كما لا يخرج أحدكم دينارا ولا درهما
إلا فيما يعود عليه نفعه فكذلك لا يحبون أن يخرج ساعة من أعمارهم
إلا فيما يعود عليهم نفعه وقال السري السقطي رضي الله عنه خرجت

من بغداد

من بغداد أريد الرباط إلى عبادان لأصوم بها رجب وشعبان فاتفق في مركبي
علي الجرجاني وكان من الزهاد الكبار فدنا وقت الإفطار وكان معي ملح مدقوق
وأقراص فقال ملحك مدقوق ومعه ألوان الطعام لن تفلح ولن تدخل سنن المحبين
فنظرت إلى مزوده فكان معه فيه سويق فسف منه فقلت ما دعاك إلى هذا فقال
إني حسبت ما بين المضغ والسف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ
أربعين سنة وفي الخبر ما من ساعة تأتي على العبد لا يذكر الله تعالى فيها إلا
كانت عليه حسرة ويقال إن العبد تعرض عليه ساعاته في اليوم والليلة فيراها
خزائن مصفوفة أربعا وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطاء وجزاء
لما كان أودع خزائنه من ساعته في الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغتبط
به في الدنيا فساعة لم يذكر الله تعالى فيها رآها في الآخرة خزائن فارغة
لا عطاء فيها ولا جزاء عليها فيسوءه ذلك ويتحسر كيف فاتت حيث لم
يدخر فيها شيئا فيرى جزاءه مدخورا ثم يلقي في نفسه الرضى والشكور
وجاء في الخبر إن أهل الجنة بينما هم في نعيمهم إذ سطع لهم نور من فوق العرش
أضاءت منه منازلهم كما تضيء الشمس لأهل الدنيا فنظروا إلى رجال من فوقهم
أهل عليين يرونهم كما يرى الكوكب الدري في أفق السماء وقد فضلوا عليهم
في الأنوار والجمال والنعيم كما فضل القمر على ساير النجوم فينظرون إليهم يطيرون
على نجب تسرح بهم في الهواء يزورون ذا الجلال والإكرام فينادونهم يا
إخواننا ما أنصفتمونا كنا نصلي كما كنتم تصلون ونصوم كما كنتم
تصومون فما هذا الذي فضلتم به علينا فإذا النداء من قبل الله تعالى إنهم
كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين تكسون
ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون ويخافون حين تأمنون
فلذلك فضلوا عليكم اليوم وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي
لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقال أبو علي الدقاق رضي الله عنه
رئي بعضهم مجتهدا فقيل له في ذلك فقال ومن أولى مني بالاجتهاد وأنا
أطمع أن ألحق الأبرار والكبار من السلف قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون وفي معناه أنشدوا ن

صوابه مضغت

السباق البيان قولا وفعلا تحرير النفس حسرة المسبوق

وقال رضي الله عنه **ما احببت شيئا الا كنت له عبدا وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا** المحبة للشيء تقتضي الانقياد له وشدة العلاقة ولا يبغي به بدلا كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم وذلك معنى استعباده للمحب له فمن احب غير الله عز وجل فقد استعبده ذلك الغير كائنا ما كان والله تعالى لا يحب ان تكون لغيره عبدا ولا يرضى بذلك تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم والخميصة والقطيفة والزوجة قال محمد بن السماك رحمه الله كتب الي اخ ان استطعت ان لا تكون لغير الله عبدا وحر كما من العبودية فافعل وقال الجنيد رضي الله عنه انك لن تكون على الحقيقة له عبدا وشيء مما دونه لك مسترق وانك لن تصل الى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية وسهل على من لم يبق عليه من الدنيا الا مقدار من نواة فقال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم ومن الحكايات في هذا المعنى ما ذكر عن ابي عبد الله الزراد النيسابوري قال الكساني ابن الانباري صوفيا ورايت على راس الشبلي قلنسوة طرية تليق بذلك الصوف فتمنيتهما في نفسي ان يكونا جميعا لي فلما قام الشبلي رضي الله عنه من مجلسه التفت الي فتبعته وكان عادته اذا اراد ان اتبعه يلتفت الي فلما دخل داره دخلت فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنسوة عليه ودعا بنار فاحرقهما جميعا ومثل هذا مما كان ينكره عليه ولم يعرف مقصوده في ذلك شيء كثير ورد عنه **لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك فانما امرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك نفعه** الحق تعالى غني عن اعمال العباد العاملين لانه منزه عن الاعواض والاغراض فلا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك وانما امرك ونهاك لما يعود عليك من المصالح والمنافع في الدارين لا غير وذلك على سبيل التفضل منه من غير ايجاب عليه وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله عجبا لك ممن قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل قال في لطائف المنن اعلم رحمك الله ان الله لم يامر العباد بشيء وجوبا او يقتضيه منهم ندبا الا والمصلحة لهم في تركه امرهم بتركه وجوبا او ندبا ولسنا

نقول

نقول كما قال من عدا بهذه الطريقة انه يجب على الله تعالى رعاية مصالح عباده بل انما نقول ذلك عادة الحق وشريعته المستمرة فعلها مع عباده على سبيل التفضل فليت شعري اذا قالوا يجب على الله تعالى مصالح عباده فمن هو الموجب عليه ثم انا نظرنا فراينا كل ما هو مامور به او مندوب اليه يستلزم الجمع على الله وكل منهي عنه او مكروه يتضمن التفرقة عنه فاذا كان مطلوب الله من عباده وجود الجمع اليه لكن الطاعات هي اسباب الجمع ووسايله فلذلك امر بها والمعصية هي اسباب التفرقة فلذلك نهى عنها انتهى وقال رضي الله عنه **لا يزيد في عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص من عزه ادبار من ادبر عنه** عزة الله تعالى صفة من صفات ذاته وصفاته في غاية الكمال والتمام فهي منزهة عن الزيادة والنقصان وسبقية العلل وقال رضي الله عنه **وصولك الى الله وصولك الى العلم به والا فجل ربنا ان يتصل به شيء او يتصل بشيء** الوصول الى الله تعالى الذي يشير اليه اهل هذه الطريقة هو الوصول الى العلم الحقيقي بالله تعالى وهذا هو غاية السالكين ومنتهى سير السايرين واما الوصول المفهوم بين الذوات فهو متعال عنه قال الجنيد رضي الله عنه متى يتوصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير هيهات هذا من عجيب الاجماع لطيفا من حيث لا درك ولا وهم ولا احاطة الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان قال الشيخ ابو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي في صاحب كتاب عوارف المعارف رحمه الله تعالى اعلم ان الاتصال والمواصلة اشار اليها الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو رتبة في الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله تعالى بطريق الافعال وهو رتبة في التجلي فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يقف في مقام الهيبة والانس بما كشف قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجل بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفنا مشتملا على باطنه انوار اليقين والمشاهدة فيفنى في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذا رتبة في الوصول وفوق هذا رتبة حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا لمح وهو سريان

نور المشاهدة في كلية العبد حتى تحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه
وهذا أمر أعلى رتبة الوصول فإذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الأحوال
الشريفة أنه في أول المنزل فأين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع أبد
الآباد في عمر الآخرة دالأبد فكيف في العمر القصير الدنيا **قربك منه أن تكون**
شاهدا لقربه وإلا فمن أين أنت ووجود قربه القرب الحقيقي
قرب الله منك قال الله تعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب وقال تعالى
ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون وقال عز من قائل ونحن أقرب إليه من حبل
الوريد وحظك من ذلك إنما هو مشاهدتك لقربه فقط فتستفيد بهذه
المشاهدة ثمرة المراقبة وغلبة الهيبة والتأدب بآداب الحضرة وأما أنت
فلا يليق لك إلا وصف البعد وشهوده من نفسك كما يقوله المؤلف بعد
هذا إلهي ما أقربك مني وما أبعدني منك وقال رضي الله عنه الحقائق ترد
في حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان **فإذا قرأناه**
فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه حقائق العلوم اللدنية
التي يفيدها الحق تعالى في أسرار العارفين عند براءتهم من الدعوى وتجردهم
من رق الأشياء وتعرضهم بالالتجاء والافتقار لما يفتح عليهم المولى بكرمه الحق
تعالى تحقيقا لوعده لهم من غير تعلم ولا دراسة وعند ورودها عليهم
وتجليها لهم تكون مجملة لا تتبين لهم معانيها ولا يدركون وجه حقيقتها
فإذا وعوها وتصرفت فيها أذهانهم بالاعتبار والتأمل تبين لهم معناها
وظهر لهم موافقتها لما بأيديهم من العلوم العقلية والنقلية من غير مخالفة حتى
إن بعضهم ربما يجري على لسانه وبنانه كلام كثير من غير أن يلقي له بالا فإذا فرغ
من ذكره أو زعه يتصفحه ويتأمله فيجده صحيحا مستقيما وقد أخبر بنحو
من ذلك من له قدم وصدق في هذه الطريق عن نفسه قال الإمام أبو القاسم
القشيري رضي الله عنه وأصحاب الحقائق بحكم التصريف عليهم بشيء لا علم
لهم به على التفصيل وبعد ذلك يكشف لهم وجهه فربما يجري لسانهم بشيء
لا يدرون وجهه ثم بعد فراغهم عن النطق به يظهر لقلوبهم برهان ما قالوه
من شواهد العلم إذ تحقيق ذلك بجريان الحال في ثاني الوقت انتهى كلام

الامام

الإمام أبي القاسم القشيري رضي الله عنه وهو موافق لما ذكره المؤلف والله تعالى أعلم
وكأنها أشار بذلك إلى مسألة التعارف بينهم من موافقة الحقيقة للشريعة وقد عبروا
عن ذلك بعبارات فقد سئل عبد الله بن طاهر الأبهري رضي الله عنه عن الحقيقة
فقال الحقيقة كلها علم وسئل عن العلم فقال العلم كله حقيقة وقال الشبلي
رضي الله عنه الألسنة ثلاثة لسان علم ولسان حقيقة ولسان حق فلسان العلم
ما تأدى إلينا بالوسائط ولسان الحقيقة ما أوصله الله إلى الأسرار بلا واسطة
ولسان الحق ليس إليه طريق وقال رويم رضي الله عنه أصح الحقائق ما قارن العلم
وقال أبو بكر الزقاق رضي الله عنه كنت تائها في تيه بني إسرائيل فوقع في قلبي أن علم
الحقيقة يخالف علم الشريعة فإذا شخص تحت شجرة أم غيلان صاح بي وقال
يا أبا بكر كل حقيقة تخالف الشريعة فهي كفر وأشار المؤلف رحمه الله بالآية التي
ذكرها إلى هذا المعنى بعينه وقال رضي الله عنه متى وردت الواردات
الإلهية إليك هدمت العوائد عليك إن الملوك إذا دخلوا قرية
أفسدوها هذه الواردات الإلهية على العبد تمحو عنه جميع رعوناته
وتهدم عليه مستمر عاداته ولها سلطنة عظيمة على ذلك فلا وردت
على قلب مشحون بأنواع الخبائث والرذائل أزالت ذلك بمرة وأبقت عوضا
من ذلك أحوالا علية وأوصافا رضية أنشد سيدي أبو العباس المرسي رضي
الله عنه في هذا المعنى لو عاينت عيناك يوم تزلزلت أرض النفوس ودكت
الجبال لرأيت شمس الحق يسطع نورها حين التزلزل والرجال رجال والأرض
أرض النفس والجبال جبال العقل والشمس شمس المعرفة والإشارة بالآية
إلى هذا المعنى بعينه وقال رضي الله عنه **الوارد يأتي من حضرة قهار**
لأجل ذلك لا يصادمه شيء إلا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فإذا هو زاهق الوارد موسوم بسمة القهر والغلبة لوروده
من حضرة القهار الغالب على أمره لأجل ذلك لا يصادمه شيء من رعونات
البشرية إلا دمغه وأزاله وهو أيضا حق ورد على الباطل والباطل لا ثبات
له مع الحق والإشارة بالآية إلى هذا المعنى بعينه وقال رضي الله عنه
كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو

فيه ظاهر وموجود حاضر فقد اشبع المؤلف رحمه الله الكلام على هذا المعنى في اول الكتاب واتى فيه بالعجب العجاب وقد نبهنا عليه هناك وقال رضي الله عنه **لا تياس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا** العمل الذي لا يجد صاحبه حضورا فيه فينبغي الاياس من قبوله فان ذلك الى الله تعالى فقد يقبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا من وجود حضور او حلاوة او غير ذلك ولو لم يكن الا قصده التقرب به وسقوطه عن نظره وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا عمل ارجى من عمل القلوب وقال رضي الله عنه **لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الامطار وانما المراد منها وجود الاثمار** الوارد مراد لثمرته لا لوجدان الاثار الذي اقتضاه وجود امطارها لا لمجرد وجود امطارها وثمرة الوارد انما هي تاثر القلب وتبدل صفاته المذمومة بصفات محمودة كما تقدم فان لم تعلم وجود هذا فيك فلا تزك الوارد ولا تفرح به فان في ذلك نوعا من الاغترار واغترارا بلبسه الاظهار فكن على حذر منه وقال رضي الله عنه **لا تطلبن بقاء الواردات بعد ان بسطت انوارها واودعت اسرارها فلك في الله غنى عن كل شيء وليس يغنيك عنه شيء** انوار الواردات المنبسطة على العبد هي تكليف ظاهره وباطنه بكيفيات العبودية واسرارها المودعة فيه ما لاح له من عظمة الربوبية فاذا افادك الوارد هذه الفوائد فلا تطلبن بقاءه في حال كونه ولا تاس على فقده اذا فقدته فان ذلك في الله غنى عنه وعن غيره وليس لك غنى عن الله تعالى في شيء من الاشياء كما قال الشاعر

لكل شيء اذا فارقته عوض :. وليس لله ان فارقت من عوض

قال ابو العباس ابن عطاء الله رضي الله عنه اياك ان تلاحظ مخلوقا وانت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا ويدخل في هذا المعنى الذي ذكره ابن عطاء الله رضي الله عنه جميع الاغيار والانوار والمقامات والاحوال والدنيا والاخرة والنعم الباطنة والظاهرة فلا تلاحظ شيئا من ذلك ولا

تر[كن]

١٠٦

ولا تركن اليه ولا تعتمد عليه بقي او ذهب فان ذلك قادح في اخلاص التوحيد قال في التنوير واعلم ان الباري سبحانه انما يدخلك في الحال التي تاخذ منها لا التي تاخذ منك وانما جلوت تجلي هدية التعريف من الله اليك فيها فتوجه اليها باسمه البر فابداها وابقاها حتى اذا وصلت اليك ما كان لك فيها فلما اخذت الامانة توجه اليها باسمه المعيد فارجعها وتوفاها فلا تطلبن بقاء رسول بعد ان بلغ رسالته ولا امين بعد ان بلغ امانته وانما يفتضح المدعون بزوال الاحوال وبعدهم عن مراتب الانزال هنالك يبدو العوار وتنهتك الاستار فكم من مدع الغنا بالله واكتفا بطاعته او بنوره او فتحه وكم من مدع العز بالله وانما اعتزازه بمنزلته ووصوله على الخلق معتمدا على ما ثبت عندهم من معرفته فكن عبد الله لا عبد العلل وكما كان الله لك ربا لا لعلة فكن عبد الله لتكون له كما كان لك انتهى وقال سيدي ابو العباس رضي الله عنه عبد هو في الحال بالحال وعبد هو في الحال لا بالحال فالذي هو في الحال بالحال عبد الله والذي هو في الحال عبد المحول وامارة من هو في الحال بالحال ان ياس عليها اذا فقدها ويفرح بها اذا وجدها والذي هو في الحال لا بالحال لا يفرح بها اذا وجدت ولا يحزن عليها اذا فقدت وفي الاشارات عن الله سبحانه لا تركنن الى شيء دوننا فانه عليك وبال او قاتل لك فان ركنت الى العلم تتبعناه عليك وان اويت الى العمل رددناه عليك وان وثقت بالحال وقفناك معه وان انست بالوجد استدرجناك فيه وان لحظت الى الخلق وكلناك اليهم وان اغتررت بالمعرفة نكرناها عليك فاي حيلة لك واي قوة معك فارضنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا وقال رضي الله عنه تطلعك الى غيره دليل على عدم وجدانك له واستيحاشك بفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به وجود العبد لربه ووصوله اليه هو غاية مطالبه ومنتهى امانيه ومآربه وبه يفوز بالنعيم ويحظى بالملك العظيم وعند ذلك ينسى كل محبوب ويلهى عن كل مفروح به ومرغوب وهذه هي صفة اهل التجريد الذين استهتروا في ذكر الله المجيد كما روي عن ابي عبيد البسري رضي الله عنه قال سالت رجلا بالكلام ما الذي اجلسك في هذا الموضع فقال لي وما يؤلك

عن شيء ان طلبته لم تدركه وان هربت منه لم تقع عليه فقلت تخبرني ما هو فقال علي
بان محبة الله تستغرق نعيم الجنان ثم قال اولاه فتركته انظر ان تقع بي
ومن الخلق هربت ... الا اكرام في مقالتي لو كنت محبا لله صادقا ما اطلع
على احد فقلت اما علمت ان المحبين خلفاء الله في ارضه مستانسين بخلقه
يعطونهم على ... عنه فصاح صيحة وقال لي يا مخدوع لو شممت رائحة
المحبة وعاينت ما وراء ذلك من القرب ما احتجبت ان تراني وما رايتني ثم قال
يا سماء ويا ارض اشهدا انه ما خطر على قلبي ذكر الجنة والنار فقط ان كنت
صادقا فاقبضني فوالله ما سمعت له كلاما بعدها وخفت ان ينسبوا الي الظن
من الناس من قتله فتركته ومضيت فبينما انا على ذلك اذا انا بجماعة
فقالوا ما فعل الفتى فنكبنا عن ذلك فقالوا ارجع فان الله قد قبضه
فصلينا معهم عليه فقلنا لهم من هذا الرجل ومن انتم قالوا ويحك هذا رجل
به كان يحكم المطر قلبه على قلب ابراهيم عليه السلام اما رايته يخبر عن نفسه ان
ذكر الجنة والنار ما خطر قط على قلبه فهل كان احد هكذا الا ابراهيم الخليل فقلت
من انتم فقالوا من السبعة المخصوصين من الابدال فقلت علموني شيئا قالوا لا تحب
ان تعرف ولا تحب ان يعرف انك ممن يحب ان يعرف وفي هذا المعنى انشدوا

٥ كانت لقلبي أهواء مفرقة :: فاستجمعت إذ رأتك العين أهوائي ٥
٥ فصار يحسدني من كنت أحسده :: وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي ٥
٥ تركت للناس دنياهم ودينهم :: شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي ٥

قال سيل ابو سليمان الداراني رضي الله عنه عن اقرب ما يتقرب به الى الله
تعالى فقال اقرب ما يتقرب به منه اليه ان يطلع الله على قلبه وهو لا يريد الدنيا
والاخرة غيره فهذه هي العلامة الصادقة والدلالة القاطعة على التحقق
بهذا المقام العظيم فان كان له شعور بشيء من الاغيار المحبوبة فتطلع الى
بقائها واستوحش لفقدانها فذلك دليل على عدم تحققه بذلك فليعرف
منزلته وحده وليعمل في تصحيح هذا المقام جهده وقال رضي الله عنه النعيم
وان تنوعت مظاهره انما هو لشهوده واقترابه والعذاب وان تنوعت
مظاهره انما هو بوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب

واتمام النعيم بالنظر الى وجه الله الكريم ٥ مظاهر
النعم المتنوعة هو ما ورد من انواع الثواب في الدار الاخرة من الحور والقصور
والولدان والمآكل والمشارب والملابس وغير ذلك من انواع المسرات واللذات
ومظاهر العذاب المتنوعة هو ما ورد من انواع العقاب فيها من الجحيم
والحميم والزقوم والحيات والعقارب والسلاسل والاغلال والانكال وغير
ذلك من انواع الآلام والعقوبات وليس وجود النعيم والعذاب بسبب
وجود ذوات هذه الاشياء ومباشرتها للمنعم والمعذب وانما ذلك لما تضمنته
وظهر فيها من وجود قرب الله تعالى وشهوده للمنعم او وجود حجاب واعراضه
عن المعذب فهذان الامران بهما يقع النعيم والعذاب على التحقيق وقال رضي الله عنه
ما تجد القلوب من الهموم والاحزان فلاجل ما منعته من وجود
العيان ٥ وجدان الهموم والاحزان الدنياوية والاخراوية من توابع رؤية النفس
واعتبارها وبقاء حظها وهو الذي منع العبد من وجود العيان فلو فني عن رؤية
نفسه وذهب عن مراعاة حظه لظفر بوجود العيان ولم يكن له هم ولا حزن
البتة بل يكونوا متصل الحبور دائم الفرح والسرور كما قال تعالى ان الله
معنا فالمعية المذكورة لا يجامعها حزن وهي ما قلنا من وجود العيان والله
اعلم درجة اليقين كما قال الشاعر ٥ ٥

٥ كبر العيان علي حتى انه :: صار اليقين من العيان توهما ٥

قال الشبلي رضي الله عنه من عرف الله لا يكون له غم ابدا وقيل اوحى
الله الى داود عليه السلام يا داود ان محبتي في خلقي ان يكونوا روحانيين
وللروحانية علم ان لا يغتموا وانا مصباح قلوبهم يا داود لا تمزج الهم قلبك
فينقص ميراث حلاوة الروحانية وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله اوحى
الله الى داود عليه السلام بي فافرح وبذكري فليتنعم فاستنارة القلب
بنور المعرفة واحتظائه بوجود العيان والرؤية يخرج منه الغم ويحل محل
الروحانية على ان في وجود الهموم والاحزان لمن لم يبلغ هذا المقام اذا لم يقدر
على دفعها عن نفسه فوائد جزيلة لا ينبغي ان يستحقر من قبل انها موجبة
لخمود النفس وصفاء القلب وزوال الاشر والبطر والفرح بالدنيا ثم هي

كفافا اثنا ان كانت في الامور الدنيوية وجودا ان كانت في الامور الاخروية
والهم متعلق بما يكون في المستقبل والحزن متعلق بما يكون في
وقال رضي الله عنه **من تمام النعمة عليك ان يرزقك ما يكفيك**
ويمنعك ما يطغيك ٥ وجدان الكفاية من الرزق وعدم الزيادة
عليها والنقصان منها من نعم الله تعلى التامة الكاملة على العبد لما له في ذلك
من حصول جميع المصالح الدينية والدنياوية اما مصالح الدين في عدم الزيادة
على الكفاية فظاهر اذ لو وجدها ربما اوجب له ذلك طغيانا كما قال تعلى
كلا ان الانسان ليطغى ان رءاه استغنى فالاستغناء هو وجود الزيادة
على الكفاية وهو سبب الطغيان والطغيان اصل كل معصية لله عز وجل وقصة
ثعلبة بن حاطب حين طلب الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرزقه مالا
وما ءال اليه امره امر مشهور وقال سعيد بن ابي وقاص رضي الله عنه سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي
وفي حديث ابي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ما طلعت شمس ولا غربت الا بجانبيها ملكان يناديان يسمعان الخلائق
غير الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر والهى واما
مصالح الدنيا في ذلك فسيأتي التنبيه عليها في قول المؤلف رحمه الله فقل
ما تفرح به يقل ما تحزن عليه واما مصالح الدين عند وجود الكفاية
وعدم النقصان منها فمن جهة توصله بذلك الى الاعانة والاستعانة
بها على طاعة الله تعلى ولاجل ذلك عظمت النعمة على العبد قال الله
تعلى وابتغ فيما ءاتيك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا
اي لا تنس نصيبك في الاخرة ان تتوصل اليه بما ءاتيك الله من الدنيا واما
مصالح الدنيا في ذلك فظاهر لا يحتاج الى تنبيه عليه اذ بذلك يحصل
له طيب العيش وراحة القلب والبدن وصيانة الوجه عن ذل المسئلة
عند وجود الحاجة والفاقة فعلى العبد ان يشكر الله تعلى على هذه
النعمة العظيمة ويقنع بما اتاح له من هذه المنة الجسيمة فيستعجل
بذلك راحة نفسه والاستغناء عن بني جنسه ويحصل له بذلك

حلاوة

حلاوة الزهد في الامور العاجلة وتجافي القلب عن زهرتها فان طلب الزيادة
من الدنيا ولم يقنع بما قسم له منها خيف عليه من اقتحام ذلك اذ تجره
الحرص والطمع الى ذلك قال بعض العارفين كل من لا يعرف قدر ما زوي عنه
من الدنيا ابتلي باحد وجهين اما بحرص مع فقر فتتقطع به حسرات او رغبة
في غنا تنسيه شكر ما انعم به عليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ليس الغنى كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس وغنا النفس عن
الدنيا شرف الاولياء المختارين وعز اهل التقوى من المومنين المحسنين
ولقد حصره الشاعر في قوله ٥ غنا النفس ما يكفيك من سد خلة ٥
فان زدت شيئا عاد ذاك الغنا فقرا ٥ ويحكى عن بنان الحمال رضي
الله عنه قال كنت مطروحا طاويا على باب بني شيبة سبعة ايام
لم اذق شيئا فنوديت في سري ان من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اعمى الله
عين قلبه وقال عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه ذكر لي ان في خربة
الابلة جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم ازل اطلبها حتى وجدتها
في خربة جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهي محلوقة الراس فلما نظرت
الي قالت من غير ان اكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها رحب الله
بك وعجبت من معرفتها بي ولم ترني قبل ذلك فقالت ما الذي جاء بك
ها هنا قلت جئت لتعظيني قالت واعجبا الواعظ يوعظ ثم قالت يا عبد
الواحد اعلم ان العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله سبحانه
حلاوة الزهد فيظل حيرانا والها فاذا كان له عند الله تعلى نصيبا
عاتبه وحيا في سره فقال عبدي اردت ان ارفع قدرك عند ملائكتي
وحملة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي واهل طاعتي في ارضي فملت
الى عرض من اعراض الدنيا وتركتني فاورثتك بذلك الوحشة بعد الانس
والذل بعد العز والفقر بعد الغنى عبدي ارجع الى ما كنت عليه ارجع
لك الى ما كنت تعرفه من نفسك قال ثم تركتني وولت عني فانصرفت
وبقلبي حسرة منها وفي بعض الكتب ان اهون ما اصنع بالعالم اذا مال
الى الدنيا ان اسلبه حلاوة مناجاتي وذكر ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم التجيبي

القرطبي المالكي رحمه الله في كتاب النطايح له عن ابن عمرو به الشامي ثم الدمشقي
انه كان من اكثر اهل دمشق مالا فخرج متنزها فاذا مسى الى جانب نهر ومرج
فنزل به قال فسمعت صوتا يكثر حمد الله تعالى في ناحية المرج فاتبعته فوافيت
رجلا ملفوفا في حصير فسلمت عليه وقلت من انت يا عبد الله فقال رجل من المسلمين
ما حالك هذه قال حال نعمة تجب علي حمد الله عليها قال فقلت وكيف وانما انت
في حصير قال وما لي لا احمد الله وقد خلقني فاحسن خلقي وجعل منشاي ومولدي
في الاسلام والبسني العافية في اركاني وستر علي ما اكره ذكره او نشره فمن
اعظم نعمة ممن امسى في مثل ما انا فيه فقلت له ان رايت رحمك الله ان تقوم معي
الى المنزل فانا نزول على النهر هاهنا قال ولم قلت لتصيب من الطعام ونعطيك
ما يغنيك عن الحصير قال ما لي فيه حاجة فراودته على ان يتبعني فابى فانصرفت
وقد تقاصرت الي نفسي ومقتها اذ لم اخلف بدمشق رجلا يكاثرني في غنى وانا
التمس الزيادة فقلت اللهم اني اتوب اليك من سوء ما انا فيه فبت لا يعلم
اعواني ما اجمعت عليه فلما كان من السحر رحلوا كنحو رحلتهم فيما مضى
وقدموا الي دابتي فصرفتها الى دمشق فقلت ما انا بصادق في التوبة
ان مضيت الى متجري فسالني القوم فاخبرتهم وعاتبوني على المضي
فابيت فلما قدم دمشق وضع يده على ماله يتصدق به فما زال يفرقه
في سبل الخير حتى احتضر لا يجد عنده الا ثمن الكفن زاد غيري ابراهيم
وكان يقول يعني ابا عبد ربه المذكور والله لو ان نهركم يعني نهر دمشق سال
ذهبا ما خرجت اليه ولا اخذت شيئا منه ولو قيل لي من مس هذا العمود
مات لمشيت اليه وعانقته شوقا الى الله ورسوله **لا تفرح بما تفرح به**
فلا تحزن عليه ن درء المفاسد اهم عند العقلاء من جلب المصالح
فمن زوى الله تعالى عنه فضول الدنيا فرضي بذلك وقنع منها باليسير ولم
يحمل الهم زيادة من مال او جاه فهو كامل العقل حسن النظر لنفسه لانه دفع عن
نفسه مفسدة وجود الحزن بتركه لما يفيد حصول مصلحة الفرح
الذي يزول عن قرب واعتاض من ذلك الراحة الدائمة كما قيل

ن فمن سره الايام ما يسوءه :: فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا ن

ن فان صلاح المرء يرجع كله :: فسادا اذا الانسان جاز به الحدا ن

وقيل لبعضهم لم لا تغتم فقال لاني لا اقتني ما يغمني فقده فالمفروح به هو المحزون عليه
ان قليلا فقليلا وان كثيرا فكثير كما قيل على قدر ما اولعت بالشيء تحزنه ويصعب
نزع النفس منه مهما تمكنا يحكى انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصعا بالجوهر
لم ير له نظير ففرح الملك به فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا
فقال اراه مصيبة وفقرا قال وكيف ذلك قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها
وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة
والفقر فاتفق ان انكسر القدح يوما فعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق
الحكيم ليته لم يحمل الينا وامثال هذه المصيبة او اعظم منها نازل فكل من له
علاقة بشيء من اسباب الدنيا فانها ان لم تؤخذ منه بغصب او سرقة
او جائحة نازلة فلا بد ان يؤخذ هو عنها بالموت الهادم للذات المنغص للشهوات
فان كان له الف محبوب مثلا نزل به عند الموت الف مصيبة في وقت واحد لانه
كان يحبها كلها وقد سلبت منه في كرة واحدة ولذلك كان الزهد في الدنيا
من قضايا العقل **قال** سهل بن عبد الله رضي الله عنه للعقل الف اسم
ولكل اسم منه الف اسم واول كل اسم منه ترك الدنيا وقال الحسن رضي الله
عنه كيف يسمى عاقلا وهو يمسي ويصبح في الدنيا وهمه هالك اهلها في المطاعم
والمشارب والملابس والمراكب اولئك هم الخاسرون واولئك هم الغافلون
واولئك هم الجاهلون وانشدوا ن ايها المرء ان دنياك بحر طامح
موجه فلا تامنها ن وسبيل النجاة منها قصير وهو اخذ الكفاف والقوت
منها ن وقال ابو علي الثقفي رضي الله عنه اف من اشتغال الدنيا اذا
اقبلت واف من حسرتها اذا ادبرت والعاقل من لا يركن الى شيء واذا
اقبل كان شغلا واذا ادبر كان حسرة وقد قيل في معناه ن ومن يحمد
الدنيا لشيء يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها اذا ادبرت كانت على
المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها ن وقيل لابي القاسم الجنيد رضي
الله عنه متى يكون الرجل موصوفا بالعقل فقال اذا كان للامور مميزا
لها متصفحا وعما يوجبه عليه العقل باحثا يلتمس بذلك طلب الذي

القرطبي المالكي رحمه الله في كتاب النطاح يحوله عن ابن جبير به الشامي ثم الدمشقي
انه كان من اكثر اهل دمشق مالا فخرج متنزها فامشى الى جانب نهر ومرج
فنزل به قال فسمعت صوتا يكثر حمد الله تعالى في ناحية المرج فاتبعته فوافيت
رجلا ملفوفا في حصير فسلمت عليه وقلت من انت يا عبد الله فقال رجل من المسلمين
ما حالك هذه قال حال نعمة يجب علي حمد الله عليها قال فقلت وكيف وانما انت
في حصير قال وما لي لا احمد الله وقد خلقني فاحسن خلقي وجعل منشئي ومولدي
في الاسلام والبسني العافية في اركاني وستر علي ما اكره ذكره او نشره فمن
اعظم نعمة ممن امسى في مثل ما انا فيه فقلت له ان رايت رحمك الله ان تقوم معي
الى المنزل فانا نزول على النهر ها هنا قال ولم قلت لتصيب من الطعام ونعطيك
ما يغنيك عن الحصير قال ما لي فيه حاجة فراودته على ان يتبعني فابى فانصرفت
وقد تقاصرت الي نفسي ومقتها اذ لم اخلف بدمشق رجلا يكاثرني في غنى وانا
التمس الزيادة فقلت اللهم اني اتوب اليك من سوء ما انا فيه فبت لا يعلم
اعواني ما اجمعت عليه فلما كان من السحر رحلوا كنحو رحلتهم فيما مضى
وقد قدموا الدابة فصرفتها الى دمشق فقلت ما انا بصادق في التوبة
ان مضيت الى متجري فسالني القوم فاخبرتهم وعاتبوني على المضي
فابيت فلما قدم دمشق وضع يده على ماله يتصدق به فما زال يفرقه
في سبل الخير حتى احتضر وما وجدوا عنده الا ثمن الكفن زاد غيره ابراهيم
وكان يقول يعني ابا عبد ربه المذكور والله لو ان نهركم هذا يعني نهر دمشق سال
ذهبا ما خرجت اليه ولا اخذت شيئا منه ولو قيل لي من مس هذا العمود
مات لمددت اليه وعانقته شوقا الى الله ورسوله ليقل ما تفرح به
يقل ما تحزن عليه .. درء المفاسد اهم عند العقلاء من جلب المصالح
فمن زوى الله تعالى عنه فضول الدنيا فرضي بذلك وقنع منها باليسير ولم
يمل الى زيادة من مال او جاه فهو كامل العقل حسن النظر لنفسه لانه دفع عن
نفسه مفسدة وجود الحزن بتركه لما يفيد حصول مصلحة الفرح
الذي يزول عن قريب واعتاض من ذلك الراحة الراهنة كما قيل ..
فمن سره ان لا يرى ما يسوءه .. فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا ..

فان صلاح المرء يرجع كله .. فسادا اذا الانسان جاز به الحدا ..
وقيل لبعضهم لم لا تغتم فقال لاني لا اقتني ما يغمني فقده فالمفروح به هو المحزون عليه
ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير كما قيل على قدر ما اولعت بالشيء حزنه ويصعب
نزع السهم مهما تمكنا يحكى انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصعا بالجوهر
لم ير له نظير ففرح الملك به فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا
فقال اراه مصيبة وفقرا قال وكيف ذلك قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها
وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة
والفقر فاتفق ان انكسر القدح يوما فعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق
الحكيم ليته لم يحمل الينا وامثال هذه المصيبة او اعظم منها نازل فكل من له
علاقة بشيء من اسباب الدنيا فانها ان لم تؤخذ منه بغصب او سرقة
او جائحة نازلة فلا بد ان يؤخذ هو عنها بالموت الهادم للذات المنغص للشهوات
فان كان له الف محبوب مثلا نزل به عند الموت الف مصيبة في وقت واحد لانه
كان يحبها كلها وقد سلبت منه في كرة واحدة ولذلك كان الزهد في الدنيا
من قضايا العقل قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه للعقل الف اسم
ولكل اسم منه الف اسم واول كل اسم منه ترك الدنيا وقال الحسن رضي الله
عنه كيف يسمى عاقلا وهو يمسي ويصبح في الدنيا وما هاله اهلها في المطاعم
والمشارب والملابس والمراكب اولئك هم الخاسرون واولئك هم الغافلون
واولئك هم الجاهلون وانشدوا .. ايها المرء ان دنياك بحر طافح
موجه فلا تامننها .. وسبيل النجاة منها مبين وهو اخذ الكفاف والقوت
منها .. وقال ابو علي الثقفي رضي الله عنه اف من اشتغال الدنيا اذا
اقبلت واف من حسرتها اذا ادبرت والعاقل من لا يركن الى شيء اذا
اقبل كان شغلا واذا ادبر كان حسرة وقد قيل في معناه .. ومن يحمد
الدنيا لشيء يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها اذا ادبرت كانت على
المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها .. وقيل لابي القاسم الجنيد رضي
الله عنه متى يكون الرجل موصوفا بالعقل فقال اذا كان للامور مميزا
لها متصفحا وعما يوجبه عليه العقل باحثا يلتمس بذلك طلب الذي

هو اولى لمعاينته ويوثره على ما سواه فاذا كان كذلك فمن صفته ركوب الفضل
في كل احواله بعد احكام العمل بما فرض عليه وليس من صفة العقلاء اغفال
النظر لما هو احق واولى ومن صفتهم الرضا بالنقص والتقصير فمن كانت هذه صفته
بعد احكامه لما يجب عليه من عمله ترك التشاغل بما يزول وترك العمل
بما يفنى وينقضي وذلك صفة كل ما حوت عليه الدنيا وكذلك لا يرضى ان يشغل
نفسه بقليل زائل ويسير حائل يصده التشاغل به والعمل له عن امور
الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويتابد سرورها ويتصل بقاؤها
وذلك ان الذي يدوم نفعه ويبقى على العامل له حظه وما سوى ذلك
زائل متروك مفارق موروث مع تركه سوء العاقبة فيه ومحاسبة
الله عليه وكذلك صفة العاقل ان تصفح الامور بعقله والاخذ منها
بأوفره قال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك
الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب فذلك وصفهم الله تعالى وذو
الالباب هم ذوو العقول وانما وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله بالاخذ باحسن
الامور عند استماعها واحسن الامور هو افضلها وابقاها على اهلها نفعًا
في العاجل والآجل ولذلك ندب الله عز وجل من عقل في كتابه انتهى كلام الجنيد
رضي الله عنه وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق وفيه مناسبة لما كنا
بصدده من التنبيه على كلام المؤلف رحمه الله فرأينا ذكره هاهنا لايقا
والله تعالى الموفق للعمل به بمنه وفضله **وقال** رضي الله عنه **ان اردت
ان لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك** هذه من امثلة ما تقدم
لان الولاية مآلها الى العزل بسبب وقوع العزل عنها ومقتضى نظر
العقل ترك الولاية المعروج بها لئلا يقع في العزل المحذور به **وقال**
رضي الله عنه **ان رغبتك البدايات زهدتك النهايات
ان دعاك اليها ظاهر نهاك عنها باطن** بدايات
الامور وظواهرها ترغب الجاهل فيها وتدعوه اليها لانها رائقة الحس
مليحة الظاهر فيغتر الجاهل بذلك فتقوده الى ما فيه ضرورة وهلاك
ونهايات الامور وبواطنها تزهد العاقل وتنهاه عنها فينجو منها ويسلم من

شرها

شرها وقد تقدم هذا المعنى عند قوله الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة **قال** وهب
بن منبه رضي الله عنه صحب رجل بعض الزهاد سبعة ايام ليستفيد منه شيئا فوجده
مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكرة فيه لا يفتر ثم التفت في اليوم السابع فقال يا هذا
قد علمت ان حب الدنيا راس كل خطيئة والزهد في الدنيا راس كل خير والتوفيق نجاح
كل بر فاحذر راس كل خطيئة وتضرع الى ربك ان يهب لك نجاح كل بر قال وكيف
اعرف ذلك قال كان جدي رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة اشياء
شبهها بالماء الملح يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبالبرق
الخلب يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبزهر الربيع يغر بنضرته ثم يصفر
فتراه هشيما وباحلام النائم يرى السرور في منامه فاذا استيقظ لم يجد في يده شيئا
الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل فتدبرت هذه الاحرف السبعة
سبعين سنة ثم زدت فيها حرفا واحدا فشبهتها بالغول التي تهلك من اجابها
وتترك من اعرض عنها فرايت جدي في النوم فقال لي يا بني انت مني وانا منك
قلت فباي شيء يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعلم
والعلم بالفكر ثم وثب الزاهد وقال خذها ولا اراك خليا الا متجردا بفعل دون قول
فكان ذلك اخر العهد به وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه لم تزل الدنيا مذمومة
في الامم السالفة عند العقلاء منهم وطالبوها مهانين عند الحكماء الماضين وما قام
داع في امة الا وقد حذر متابعة الدنيا وجمعها والحب لها الا ترى مؤمن آل فرعون
كيف قال اتبعون اهدكم سبيل الرشاد قال انما هذه الحيوة متاع اي لن تصل
الى سبيل الرشاد وفي قلبك محبة الدنيا وطلبها والحكايات والآثار في احوال
الدنيا وغرورها وشرورها اكثر من ان تحصى ولا شيء ابين في ذلك من قول الله
تعالى في صفتها اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه
مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور **وقال** رضي الله عنه **انما جعلها محلا
للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها**
ورود الاغيار والاكدار الدنياوية على العبد نعمة من الله تعالى عليه لان ذلك

لا محالة يدعوه الى الزهادة في الدنيا والتجافي عنها وبصرفه عنها وجود الغباوة
والجهالة لا جل تمسكه بالخيال وما يستضر به في الحال والمآل الا ان الموجب لرغبته فيها
وحرصها عليها انما هو ما يتوهمه فيها من الحصول على منيته وبغيته وقضاء غرضه
من شهوته ونهمته من غير مكدر ولا منغص ولو تصور له حصوله على هذه الاشياء
على ما يحبه ويهواه لكان ما ينبغي له ان يرغب عنها عوضا عن الرغبة فيها اذ كان
عاقلا لان مآل امرها الى الفناء والزوال والانقضاء والارتحال وقد قال الواشي لا يدوم خير من خير
لا يدوم وقال الشاعر

اشد الغم عندي في سرور :. تيقن عنه صاحبه انتقالا
ارى الدنيا على من كان قبلي :. تروم فلا تريم عليه حالا

ثم هي مانعة له من سعادة الاخرة القربى من الله عز وجل الذي هو غاية طلب الطالبين
ونهاية رغبة الراغبين فكيف وهو معرض فيها لانواع المصائب والفجائع ووقوع
الاغيار والاكدار فما من احد فيها الا وهو في كل حال ووقت عرض لاسهم ثلاثة سهم
بليه وسهم رزيه وسهم منيته فاذا نزل به ذلك عادت النعمة نقمة وانقلبت
الحبرة عبرة وصارت الفرحة ترحة وهكذا شان الدنيا ابدا فلا يفي مرجوها
ولا يقوم خيرها بشرها ولقد صدق الشاعر

ان الليالي لم تحسن الى احد :. الا اساءت اليه بعد احسان وصدق ايضا من قال

ما قام خيرك يا زمان بشره :. اولى بنا ما قل منك وما كفى
زمن اذا اعطى استرد عطاءه :. واذا استقام بداله فتحرفا

وقد كتب علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى سلمان الفارسي رضي الله
عنهما انما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عنها وعن ما
يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من
فراقها وكن اشد ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور اشخص
منها الى مكروه وقال بعض البلغاء دار الدنيا كاحلام المنام وسرورها
كظل الغمام واحداثها كصوائب السهام وشهواتها كشبوات السهام
وفتنتها كالامواج العوام وقال ابو العتاهية

هي الدار دار الاذى والقذى :. ودار الفناء ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها :. لمت ولم تقض

منها

منها الوطر يا من يؤمل طول البقا وطول الخلود عليه ضرر اذا ما كبر
وبان الشباب فلا خير في العيش بعد الكبر وانشد ابو منصور الثعالبي
رحمه الله تعالى في ذم الدنيا

تنح عن الدنيا فلا تخطبنها :. ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها :. ومكروهها اما تاملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا :. وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها عاقب ومركب :. شهي اذا استلذته فهو جامح
وشخص جميل يغتر الناس حسنه :. ولكن له اسرار سوء قبائح

فاذا علم العبد كله علم يقين وتحقق من قلبه غاية التحقيق لم يتصور منه مع ذلك
وجود رغبة البتة لانه اذ ذاك يجمع بين خسيس وخسارتين وبابقه الموت
وهو صفر اليدين من منافع الدارين وذلك هو الخسران المبين قال ابو هاشم الزاهد
رضي الله عنه ان الله وسم الدنيا بالوحشة ليكون انس المريدين به دونها وليقبل
المطيعون اليه بالاعراض عنها واهل المعرفة بالله من الدنيا مستوحشون والى الآخرة
مشتاقون وقيل اوحى الله الى الدنيا تضيقي وتشددي على اوليائي وتوسعي
وتوسعي على اعدائي تضيقي على اوليائي حتى لا يشتغلوا بك عني وتوسعي
على اعدائي حتى يشتغلوا بك عني فلا يتفرغوا الى ذكري **وقال** رضي الله عنه

علم انك لا تقبل النصح المجرد فدوقك من دوائها ما يسهل عليك وجود فراقها ان النصح المجرد
لا يقبله الا من لم يستحكم فيه حب العاجلة والانس بلذاتها الفانية وكان
كريم الطبع سهل القياد واما من رسخت فيه تلك الخبائث وتمكنت من باطنه
وكان لئيم السجية صعب المقادة فلا بد في قصد هدايته وارشاده من زيادة
على النصح والوعظ وهو وجود ما يقهره ويجبره وليس ذلك الا ما ذكرناه
فاعرف قدر النعمة عليك بذلك والعمل بمقتضاها وسلم لربك في حكمته
وقدرته وحسن ظنك به وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من لم يقبل
على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان **وقال** رضي الله عنه

العلم النافع الذي ينبسط في الصدر شعاعه ويكشف

عن القلب قناعه العلم النافع هو العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه
والعلم بكيفية التعبد له والتأدب بين يديه فهذا هو العلم الذي ينبسط في الصدر
شعاعه فيتسع وينشرح للإسلام ويكشف عن القلب قناعه فتزول عنه
الشكوك والأوهام وفي حكمة داود عليه السلام العلم في الصدر كالمصباح
في البيت قال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه العلم النافع هو الذي تمكن
في الصدر وتصور ذلك أنه إذا أشرق في الصدر تصورت الأمور حسنها وسيئها
ووقع بذلك كلها في الصدر فهو صورة الأمور فيأتي حسنها ويجتنب سيئها
فذلك العلم النافع من نور القلب خرجت تلك الفوائح إلى الصدر وهي علامات
الهوى والعلم الذي تعلمه فذلك علم اللسان إنما هو شيء قد استودع الحفظ
والشهوة غالبة عليه قد أحاطت به وأذهبت بظلمتها ضوءه وقال أبو محمد
عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه العلم النافع هو علم الوفاء وصفاء القلب والزهد
في الدنيا وما يقرب من الجنة وما يبعد من النار والخوف من الله والرجاء فيه وما فاتنا
النفوس وطهارتها وهو النور المشار إليه أنه نور يقذفه الله في قلب من يشاء دون علم
اللسان والمنقول والمعقول وقال مالك بن أنس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة
الرواية إنما العلم نور يقذفه الله تعالى في القلوب انتهى وإنما منفعة العلم
أن يعرف العبد من ربه ويعرفه عن رؤية نفسه وذلك غاية سعادته
ومنتهى طلبه وإرادته قال الجنيد رضي الله عنه العلم أن تعرف ربك
ولا تعدو قدرك وهذه عبارة مختصرة وجيزة جمع فيها رحمه الله
مقصود جميع علوم الصوفية وهو معرفة الله تعالى وحسن الأدب بين يديه
وهذه هي العلوم التي ينبغي للإنسان أن يستغرق فيها عمره الطويل ولا يقنع
منها بكثير ولا قليل وقال السيد أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
من لم يتغلغل في هذه العلوم ينبغي علوم الصوفية مات مصرا على
الكبائر وهو لا يعلم وما سوى هذه العلوم فلا يحتاج إليها وربما أضر
صاحبه مداومته عليها وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخبر المشهور عنه من علم لا ينفع ثم ذكر المؤلف رحمه الله عبارة أخرى في بيان
العلم النافع وتعريفه بما لازمه فقال خير العلم ما كانت الخشية معه ٥ خير

العلم

العلوم ما يلزم وجوده الخشية لله تعالى لأن الله عز وجل أثنى على العلماء
بذلك فقال عز من قائل إنما يخشى الله من عباده العلماء فكل علم لا خشية معه
لا خير فيه بل لا يسمى صاحبه عالما على الحقيقة قال الربيع بن أنس رحمه الله
تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء قال من لم يخش الله فليس بعالم
ألا ترى أن داود عليه السلام قال ذلك بأنك جعلت العلم خشيتك والحكمة
الإيمان بك فما علم من لم يخشك وما حكمة من لم يؤمن بك قال في لطائف
المنن فشاهد العلم الذي هو مطلوب الله الخشية لله وشاهد الخشية للأمر أما
علم يكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لأربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع
والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الأمل ونسيان الآخرة فما أبعد من هذا
العلم علمه من أن يكون من ورثة الأنبياء وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا
بالصفة التي كان بها عند الموروث عنه ومثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء
كمثل شمعة تضيء على غيرها وهي تحرق نفسها جعل الله العلم الذي علمه من هذا وصفه
حجة عليه وسببا في تكثير العقوبة لديه انتهى وكان سهل بن عبد الله رضي الله
عنه يقول لا تقطعوا أمرا من الدين والدنيا إلا بمشورة العلماء تحمدوا العاقبة عند الله
تعالى قيل يا أبا محمد من العلماء قال الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله عز وجل
على أنفسهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصيته وشاور في أمرك الذين
يخشون الله تعالى وقال الواسطي رضي الله عنه أرحم الناس العلماء لخشيتهم
من الله تعالى وإشفاقهم مما علمهم الله عز وجل وقال في التنوير في قوله صلى الله عليه وسلم
طالب العلم تكفل الله له برزقه اعلم أن العلم حيثما تكرر في الكتاب العزيز وفي
السنة إنما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله
سبحانه إنما يخشى الله من عباده العلماء فبين أن الخشية تلازم العلم وفهم
من هذا أن العلماء إنما هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى وقال الذين أوتوا
والراسخون في العلم وقل رب زدني علما وقوله صلى الله عليه وسلم إن الملائكة
لتضع أجنحتها لطالب العلم وقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة
الأنبياء وقوله هاهنا طالب العلم تكفل الله برزقه إنما المراد بالعلم في هذه
المواطن العلم النافع القاهر القامع للهوى وذلك متعين بالضرورة لأن كلام الله

وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم اجل من ان يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك
في غير هذا الكتاب والعلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة الله ويلزمك المخافة
من الله والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله ويشمل العلم النافع العلم
بالله والعلم بما به امر الله اذا كان تعلمه لله انتهى وقد تقدم المعيار الصادق
على صحة دعوى التعلم والتعليم لله عند قوله اذا التبس عليك امران وقال
الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه كل علم لا يورث صاحبه الخشية
والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة عليهم ولا يحمله على حسن معاملة الله
ودوام مراقبته وطلب الحلال وحفظ الجوارح واداء الامانة ومخالفة النفس
ومباينة الشهوات فذلك العلم الذي لا ينفع وهو الذي استعاذ منه النبي صلى الله
عليه وسلم فقال اعوذ بك من علم لا ينفع ووصف الله تعالى العلماء بالخشية
فقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال رجل للشعبي ايها العالم فقال
اسكت انما العالم من يخشى الله تعالى وقال بعض السلف من ازداد علما
فليزدد وجعا وقال رجل للجنيد اي العلم انفع قال ما دلك على الله
وبعدك عن نفسك قال والعلم النافع ما يدل صاحبه على التواصل
ودوام المجاهدة ورعاية السر ومراقبة الظاهر والخوف من الله والاعراض
عن الدنيا وعن طالبيها والتقلل منها ومجانبة ابواب اربابها وترك ما فيها
على من فيها والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم ومجالسة الفقراء وتعظيم
اولياء الله تعالى والاقبال على ما يعنيه فان العالم اذا احب الدنيا واهلها وجمع
منها فوق الكفاية يغفل عن الاخرة وعن طاعة الله بقدر ذلك قال الله عز وجل
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال النبي صلى الله
عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فآثروا
ما يبقى على ما يفنى وقال فضيل بن عياض رضي الله عنه العالم طبيب
الدين والدنيا داء الدين فاذا كان الطبيب يجر الداء الى نفسه فمتى
يبرئ غيره فاذا وفق الله العالم من العلماء للاقبال على الله وعلى ما امر به
من اوامره والاعراض عن الدنيا وما فيها ومن فيها فاول ما يلزمه ان يعرف نعم
الله عليه في ذلك ويقوم بواجب الشكر ويزيد تواضعا واجتهادا ويعلم

انه محمول

113

انه محمول على ذلك فان ذلك بتوفيق الله لا بمجاهدة منه فان مجاهدته ايضا
ومعرفته لنعم الله عليه بزيادة توفيق فاذا كان العالم بهذا المحل من الدين كان اماما
مقتدى به في احكام الظاهر واحوال الباطن يهتدي بنوره كل من صحبه ويستضيء
بعلمه كل من اتبعه ويكون حجة لله على عباده وبركة في بلاده ومن قاده
علمه الى طلب الدنيا وطلب العلو والرياسة واستتباع الخلق فهو العلم الذي هو
غير النافع وهو العالم المفتتن ولا حسرة اعظم من ان يهلك العالم بما يرجو به نجاته
ونحن نعوذ بالله من الخذلان انتهى ثم عبر المؤلف رحمه الله بعبارة اخرى عن معنى ما تقدم
فقال **العلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك** العلم الذي تلازمه
الخشية لك لانك تنتفع به في دنياك واخرتك وليس لك الا ما ذكرناه
والعلم الذي لا خشية فيه عليك لانك تستضر به فيهما وهذا هو الفرق بين علماء
الاخرة وعلماء الدنيا من حيث ان علماءنا رضي الله عنهم حالوا الفرق فيه واوضحوا
امرهم بالنعوت والعلامات وطالوا في ذلك التقسيم لما شاهدوا من انتشار
الفساد في الارض بسبب جهل الناس بالعلم النافع اي شيء هو ومن اراد الشفاء
في ذلك واستيفاء الكلام عليه وما في ذلك من الاخبار والاثار فعليه بالنظر
في كتاب العلم من كتاب احياء علوم الدين لابي حامد الغزالي رضي الله عنه
ولباب ذلك ما ذكره المؤلف رحمه الله هاهنا وقد قال الفضيل بن عياض رحمه
الله ورضي عنه كان العلماء ربيع الناس اذا نظر اليهم المريض لم يسره ان يكون
صحيحا واذا نظر اليهم الفقير لم يود ان يكون غنيا وقد صاروا اليوم فتنة على الناس
قال هذا في زمانه الصالح فكيف لو ادرك زماننا هذا فانا لله وانا اليه راجعون
واعلم انه قد ورد في الكتاب والسنة من فضل العلم والعلماء ما لا يحصى كثرة
ولا يرجى حصول ذلك الا لمن صحت فيه نية وصحة نيته في ذلك ان يكون
غرضه فيه طلب مرضاة الله تعالى واستعماله فيما ينفع عنده وايثاره
الخروج عن ظلمة الجهل الى نور العلم فهذه هي النية الصحيحة التي تحمد
عاقبتها آجلا وتجتنى ثمرتها في طاعة الله عاجلا قال **رسول الله** صلى الله
عليه وسلم كل يوم لا ازداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك
لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال الحسن رضي الله عنه كان الرجل

اذا طلب العلم لم يلبث ان يرى ذلك في تقشفه ولباسه وبصره ولسانه وصلاته
وهديه وزهده وان كان الرجل ليصيب الباب من ابواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له
من الدنيا وما فيها لو كانت له فيضعها في الاخرة ولياتين على الناس زمان يفشو
فيه الجوهر الباطل فاذا كان ذلك لم ينفع فيه الا دعاء كدعاء الغريق وقال
سفيان الثوري رضي الله عنه انما يتعلم العلم ليتقى به الله وانما فضل العلم على
غيره لانه يتقى الله به فان اختل هذا القصد وفسدت نية طالبه بان يستشفع
به الى منال دنيا او من مال او جاه فقد بطل اجره وحبط عمله وخسر خسرانا
مبينا قال الله عز وجل من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن
كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو هريرة رضي الله عنه من تعلم علما مما يبتغى
به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة
يعني ريحها وكان الحسن رضي الله عنه يقول والله ما طلب هذا العلم احد الا
كان حظه منه ما اراده له وقال الحسن عقوبة العالم موت القلب قيل
له وما موت القلب قال طلب الدنيا بعمل الاخرة فان انضاف الى هذا الغرض
ان يتصدى به الى تولي الاعمال السلطانية كاينة ما كانت او يتوصل به الى اكتساب
مال من حرام او شبهة فقد تعرض لغضب الله تعالى وسخطه وباء باثمه
واثام المقتدين به وكان الجهل اذ ذاك خيرا له من العلم واحمد عاقبة قال
ابو عمر بن عبد البر رحمه الله وروينا عن الاوزاعي رضي الله عنه قال شكت
النواويس الى الله عز وجل ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون
علماء السوء انتن مما انتم فيه قال وروينا عن فضيل بن عياض واسر بن العراء
رضي الله عنه قال بلغنا ان الفسقة من العلماء ومن حملة القران يبدا بهم يوم
القيمة قبل عبدة الاوثان قال فضيل بن عياض رضي الله عنه لا من علم ليس
كمن لم يعلم قلت والغالب على طلبة العلم في هذه الاعصار هذا الوصف
المذموم لان حب الدنيا قد استولى عليهم واستهواهم والحرص على التقدم و
والترؤس من تلكهم فاصمهم واعماهم ولذلك امارات وعلامات لا تخفى ولا تختفى
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج في اخر الزمان

رجال

١١٦

رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضان من اللين السنتهم احلى
من العسل وقلوبهم قلوب الذياب يقول الله تبارك وتعالى ابي تستهزءون ام علي تجترءون
في حلفت لابعثن على اولئك فتنة تدع الحليم فيهم حيران رواه عنه ابو هريرة رضي الله
عنه وروى ابو الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى في بعض
الكتب او اوحى الله الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل
ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم قلوب الذياب
السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزءون لاتيحن
لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران وفي بعض الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ياتي على الناس زمان لا يبقى من القران الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه
قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة من ابدانهم شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم
منهم الفتنة واليهم تعود واعلم ان العلم النافع المتفق عليه فيما سلف وخلف انما هو العلم
الذي يهدي صاحبه الى الخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق باخلاق الايمان
وتوافق الاسرار والاعمال الى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا والزهادة فيها وايثار الاخرة
عليها والموالاة في الله والمعاداة فيه والحرص على التفطن للاسباب الباعثة له على
الاستقامة ولزوم الادب بين يدي الله تعالى فمن اعيها حفظا وطلبا ومعرفة الاسباب
الصادة له عن ذلك فيوسعها رفضا وهربا الى غير ذلك من الصفات العلية والمنح
السنية فبهذا كله يحصل له فوائد العلم وثمراته الدنياوية والاخراوية فان خلى
طالب العلم عنها او عن بعضها فان كان ما يطلبه علما حقيقيا كان حجة عليه وان كان
رسميا كان وبالا واصلا اليه والعياذ بالله من ذلك قال في لطايف المنن ومما غر الغافل
من طلبة العلم من قال طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله وليس في قول هذا
القايل ما يستروح اليه من طلب العلم للرياسة والمنافسة وانما اخبر هذا القايل
عن امر منّ به عليه وفتنة سلمه الله منها لا يلزم ان يقاس عليه فيها غيره وذلك
بمثابة من به مرض مزمن في المعى اعيا علاجه وضاق عليه خلقه فاخذ
خنجرا وضرب به بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك المعى فقطعه فخرج الداء
منه فهذا لا يستهدى به العقلاء بفعله وان نجحت عاقبته وليست سلامة
العواقب رافعة للعتب عن المقبلين بانفسهم الى التهلكة اذ ليس المغرر محمودا وان سلم

وقال في موضع آخر ولا يغرنك أن يكون به انتفاع الناس والخاص فقد قال صلى الله
عليه وسلم إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا
وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من الياقوت فما أشرف الوسيلة وما
أخس المتوسل إليه ومثل من قطع الأوقات في طلب العلم فمكث أربعين سنة
أو خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر
ويجدد الطهارة فلم تحصل له صلاة واحدة إذ مقصود العلم العمل كما أن المقصود
بالطهارة وجود الصلاة وقد سأل رجل الحسن البصري رضي الله عنه عن مسألة
فأفتاه فيها فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقهاء فزجره الحسن وقال ويحك
وهل رأيت فقيها إنما الفقيه الذي فقه عن الله أمره ونهيه وقال وسمعت شيخنا
أبا العباس يقول الفقيه من انفقأ الحجاب عن عين قلبه انتهى والرجل الذي سأل
الحسن البصري هو فرقد السبخي والله أعلم وقد روي عنه في صفة الفقهاء
كلام أتم مما ذكره صاحب كتاب لطائف المنن قال فرقد السبخي سألت
الحسن عن مسألة فأجابني عنها فقلت إن الفقهاء يخالفونك فقال ثكلتك
أمك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة
البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين
العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم المجتهد في العبادة المقيم على سنة المصطفى
صلى الله عليه وسلم الذي لا ينبز من هو فوقه ولا يسخر ممن هو دونه ولا يأخذ
على علم علمه الأمر توهم فيه الخير والصلاح إذ بذلك تستقيم النيات والمقاصد
التي ذكرناها ولا ينزله لمن سوى هذا ممن علم حاله أو جهله قال رجل لسفيان
الثوري رضي الله عنه لو أنك نشرت ما معك من العلم رجونا أن ينفع الله به بعض
عباده وتوجع على ذلك فقال سفيان والله لو علمت أنه يطلب هذا العلم لا يريد به
إلا ما عند الله لكنت أنا الذي آتيه في منزله فأخبرته بما عندي فأرجو أن ينفعه
الله به وقد سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال له السائل أما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا يوم القيامة
ألجم بلجام من نار فقال له اترك اللجام واذهب فإن جاء من يستحقه وكتمته
فليلجمني به وفي قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم تنبيه على أن حفظ

العلم

العلم ممن يفسده ويتضرر به أولى كما قيل ومن منح الجهال علما أضاعه وقد حكي عن
بعض الأمم السالفة أنهم كانوا يختبرون المتعلم مدة في أخلاقه فإن وجدوا فيه خلقا رديا
منعوه التعليم أشد المنع وقالوا إنه يستعين بالعلم على مقتضى الخلق الردي فيصير
العلم آلة في حقه وقد قالت الحكماء زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول
الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وهذا كله صحيح مجرب فينبغي إذا للعالم
أن لا يهمله بل يراعيه ويمتثله ولا اعتبار بما يتوهمه في تعليمهم من وجود المصالح
على تقدير حصول توفيق الله تعالى لهم لأن يعملوا ببعض ما يتعلمونه من العلم الصحيح
إن كانت لهم ولاية حكم أو غير ذلك فإن المفاسد التي تقع بسبب ذلك لهم في خاصة أنفسهم
والمفاسد التي تعدى منهم إلى غيرهم أكثر ودرء المفاسد أهم عند العقلاء من جلب
المصالح وأما المفاسد التي تختص بهم فهي تقوية صفاتهم الذميمة وأخلاقهم
اللئيمة بما يطلبونه من العلم لأنهم يستشعرون بذلك التوصل إلى جميع مطالبهم
الدنياوية على غاية الكمال والتمام فإذا استشعروا ذلك توجهوا بهممهم إليه
وعكفوا بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا الاستشعار لم يتصور منهم ذلك فإذا
حصلوا على شيء من ذلك وظهرت لهم مخايل وصولهم إلى أغراضهم المذكورة فرحوا
بذلك واغتبطوا به وكلما ازدادوا علما ازدادوا فرحا واغتباطا بما هم فيه وهذا
الاغتباط في غاية الذم منهم لأن ذلك متعلق بأسباب الدنيا وهو بمنزلة السم
القاتل الذي يوجب موت قلوبهم وقسوتها وبعدها من التأثر بالمواعظ والحكم
كما قيل إذا قسا القلب لم تنفعه موعظة كالأرض إن سبخت لم ينفعها المطر وعند ذلك
تنتعش نفوسهم وتتقوى صفاتها وتظهر آثار ذلك على ظواهرهم من التكالب على الدنيا
والركون إليها [...] من أبنائها المترفين وليس لهم ما يتوسلون به إليهم سوى علمهم
فيحتالون على تحصيل إقبالهم عليهم وصرف وجوههم إليهم والتعرف عندهم بأنواع
من الحيل ولا يسلمون في ذلك من الرياء والتصنع في ذلك من الرياء والتصنع والنفاق والدهان
ويجرهم ذلك إلى أنواع من المحظورات وضروب من العصيان مع ما يلحقهم في ذلك من الذل
والهوان فإذا نالوا ذلك أو بعضه حصل لهم مقصود نفوسهم وتمكنوا من جميع حظوظهم
فخرجوا من الغربة إلى استعباد الأغيار واستبدلوا بالجهل النافع العلم الضار وقد قال
الفضيل بن عياض رضي الله عنه لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم

واعزوا العلم وصانوه وافردوه حيث انزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد
الناس وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام واهله ولكنهم اذلوا انفسهم ولم يبالوا بما نقص
من دينهم اذ سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما في ايدي الناس
فذلوا وهانوا على الناس انتهى ولله در الشاعر حيث يقول

يقولون لي فيك انقباض وانما :: راوا رجلا عن موقف الذل احجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى :: ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي :: لأخدم من لاقيت لا لأخدما
ااغرسه عزا واجنيه ذلة :: اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم :: ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا :: محياه بالاطماع حتى تجهما

وقال وهب بن منبه رضي الله عنه لعطاء الخراساني كان العلماء قبلنا قد استغنوا
بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون الى دنيا غيرهم وكان اهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم
رغبة في علمهم فاصبح اهل العلم فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم فاما
اهل الدنيا فزهدوا في علمهم لما راوا من سوء موضعه عندهم وقال ذو النون المصري
رضي الله عنه كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا
لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا كان الرجل ينفق ماله
على علمه ويكتسب الرجل بعلمه اليوم مالا وكان يرى على طالب العلم
زيادة في باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من اهل العلم فساد في الظاهر
والباطن فانظر رحمك الله الى ما ذكره هؤلاء الفضلا تجده لازما لطلبة الزمان
وليس الخبر كالعيان ثم بعد وقوع هذه المفاسد بهم وتوغلهم بها في سوء
ادبهم يتعذر عليهم سلوك طريق الحق لما استحكم في قلوبهم من علامات
الخلق فقد قيل التملق في الباطن قطع امال الرجوع عنه فكلما كان بعد المسافة
من الحق لان كان الياس من الرجعة اوجب واعظم الوبال عليهم اغترارهم
بحالهم واستحسانهم لسيء اعمالهم واعتقادهم انهم سالكون سبيل النجاة
في الدار الاخرة ونيل الثواب فيها وانهم هم الذين حازوا الرتب الشريفة والمنازل
المنيفة التي اختص بنيلها العلماء الذين هم ورثة الانبياء وليس عندهم

من المعرفة

من المعرفة وعلوم التحقيق ما يخرجون به من هذا الغرور لانهم لم يسلكوا طريق
ذلك ولم يظفروا بما هنالك فهذا هو الفساد الذي يختص بهم ولا يشاركون
غيرهم فيه واما الفساد الذي يتعدى الى غيرهم فلا يظهر من كل ظاهر وناهيك
من ملكته نفسه اشر ملك واستعبدته اتم استعباد وهل يخفى عليك
شيء من الضرر نوع من انواع الفساد الا ويقع فيه اذا تمكن منه ومن دقيق
ما ينشا عنهم من غير قصد منهم لذلك وقوع الاغترار للجهلة والاغبياء بظاهر
حالهم فانهم يشاهدونهم قد حازوا من رتب الدنيا ما ارادوه ويتوهمونهم قد نالوا
شرف الاخرة بما افادوه واستفادوه فيحملهم ذلك على الاقتداء بهم في طلب العلم وكان
من فيه قابلية لذلك فيقعوا فيما وقعوا فيه من المهالك التي تؤديهم ذلك الى محبتهم
وموالاتهم واتخاذهم اربابا يسمعون منهم ويطيعونهم في اوامرهم ونواهيهم ثم يخرج بهم
استحسان حالهم الى الراي الرذيل وهو مسارقة طباعهم الرديه واخلاقهم
الرديئة فان نفوس العامة قابلة لذلك ومهياة له بمنزلة الصبي الذي ترسخ فيه
اخلاق ابائه ومنازعهم ومذاهبهم وعند ذلك يبطل في حقهم ما هو مقصود
بعثة الرسل من التزهيد في الدنيا والترغيب في الاخرة وحب الفقر والمسكنة
وايثار التواضع والذلة والتخلق باخلاق الابرار والاسلام وشدة الحذر
من ارتكاب المعاصي والاثام ثم يؤول ذلك بهم الى الشرك الخفي والجلي
ويحيق بهم المكر السيء والعياذ بالله ويكون بالجميع ذلك راجع الى
العلم لتيسر اسباب ذلك على يديه ولقد صدق ابن المبارك رحمه الله
حيث يقول

وَهَلْ افسد الدين الا الملوك :: وَأحبار سوءٍ وَرُهبانها
وَبَاعوا النفوس ولم يربحوا :: ولم تغلُ في البيع اثمانها
لقد رتع القوم في جيفة :: يبين لذي العقل انتانها

وروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه انه اخذ حصاة بيضاء فوضعها
في كفه ثم قال ان الدين قد استضاء اضاءة هذه ثم اخذ كفا من التراب فجعل
يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال والذي نفسي بيده ليجيئن اقوام
يدفنون الدين هكذا كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن سبيل الذين
كانوا من قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل قلت ومنشا وجوه

هذه المفاسد وخربا بواطنهم وظلمة قلوبهم بسبب فقد اليقين منها واكتساب
انوار الايمان فيها وافلاسهم من حقايق ذلك وعدم احتظائهم بشيء منه فقطروا
بذلك ما سوى من الاهوا بهم منقادين لاغراضهم واراءهم ففسدت بذلك نياتهم
ومقاصدهم والاعمال بالنيات فاذا كانت النيات صالحة وترتب عليها اثار صالحة
وانعطف من ذلك على القلوب مزيد اشراق وجميل اخلاق ويوذن ذلك بوجود
القرب من الله تعلى ونيل درجة الحب منه واذا كانت النيات فاسدة وترتب
عليها اثار فاسدة وانعطف من ذلك على القلوب زيادة ظلمة ورداءة وهمة
يقتضي البعد من الله تعلى وحصول المقت منه وطلب العلم عمل من الاعمال معرض
للصحة والاعتلال وليت شعري هولاء الذين استغرقوا اعمارهم في طلب العلم والاتي
واتعبوا انفسهم بالدراسة والنظر وقطعوا ايامهم ولياليهم بالجوع والسهر
وسمحت نفوسهم بفراق ملذوذاتها والبعد عن جميع مالوفاتها اهل بعثهم
على ذلك باعث الدين او باعث الهوى ولا شك ان باعث الدين غير متصور
منهم بل هو محال في حقهم لما قررناه من خراب البواطن وظلمة القلوب وكيف
يتصور ذلك منهم وهم لم يعملوا على تخلصهم من التكاليف الواجبة عليهم
في ظواهرهم وبواطنهم بل لم يعرفوا ذلك البتة وادعوا انهم على احوال
لا يجب عليهم فيها حكم يحتاجون الى تعرفه والقيام به فهم مخدوعون ومن
اين لهم ذلك والعلم به لا يحصل ضرورة فلا بد لهم من استفادته ولا عناية
لهم بهذا ايضا وانما كان ايضا يتصور منهم باعث الدين لو توفرت اغراضهم
كلها عليهم ووصلوا الى ما يمكنهم الوصول اليه من شهواتهم ولذاتهم
بسبب ما من اسباب الدنيا ثم يصرفون ما فضل من اوقاتهم على محاولة
هذه المطالب ونيلها الى طلب العلم عوضا عن البطالة التي يتبرم بها صاحبها
ويدعوه فراغها من اشغال دنياه الى قطع ذلك الوقت بلهو او لعب وارتكاب
معصية وذنب لا البطالة التي تكون فيها استراحة لنفسه واستجمام
لعقله وحسه في هذه الحال قد يصح باعث الدين من امثال هولاء
واما الحال التي وصفناها فلا يتصور عليها باعث الا الدنيا المجرد
المجاوزة للحد في الذم والمقت بمنزلة من هو حريص على الاتساع في الدنيا

والحصول

والحصول على غاية ملذاتها فانه يعمل فيما يوصله الى ذلك وان كان فيه هلاكه
فتراه يرتكب الاخطار ويخوض لجج البحار ويجوب البراري والقفار ويهون عليه
في جنب ما يامله كل مشقة تصيبه وبلية تنزل به ولو لم يفعل هذا لم يحصل
الا على نزر الرزق والاقتصار على البلغ والعلق وكذلك هولاء الذين كلامنا
فيهم لو لم يتصور في خواطرهم الحصول على كليات اغراضهم من اتساع مالهم
وجاههم في دنياهم ووصولهم مع ذلك الى رفيع الدرجات في عقباهم لم يبلغوا
ذلك المبلغ في الاجتهاد ولاقتصروا على بعضه وهذه كلها امور بينة لا اشكال
فيها عند من له ادنى تمييز وفهم وليس المانع لاكثر من ينتسب الى العلم من
العمل بمقتضى ما ذكرناه خفاؤه عليهم وهم يعتقدون صحته ويسلمون حاصله
وحقيقته في الاحايين عند ما ينجلي عن قلوبهم بعض ظلماتها وتتزحزح
عن عظيم غمراتها اما بتذكير مذكر من الخلق او وعظ في قلوبهم من قبل الحق
ثم يرجعون في ساير اوقاتهم الى مالوفاتهم ومعتاداتهم وانما المانع لهم من ذلك
انفراد الله تعلى بالمشيئة والقدرة واستيثاره بالخذلان والنصرة فاذا اراد
الله تعلى ان يضل عبدا من عباده لم ينصره عقل ولم ينفعه علم قال الله عز وجل
ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا وفي مثل هذا الموطن تبطل احكام
الاسباب وتتحقق لارباب الحقايق العظمة والجلال والعزة والكمال لرب الارباب
فليعتبر بما ذكرناه ارباب البصاير والابصار وليسلموا احكام الواحد القهار
لعلهم بذلك يهتدون الى منهج التحقيق حين يضل غيرهم عن سواء الطريق ومصايب
قوم عند قوم فوايد وليقل العبد المومن اذا نظر اليهم واعتبر بما يجري من سوء
القضاء عليهم فليقل الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاهم به وفضلني عليهم تفضيلا
فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من راى مبتلى فليقل الحمد لله الذي
عافاني مما ابتلاه به هذا وفضلني عليه وعلى كثير ممن خلق تفضيلا عافاه الله
من ذلك كاينا ما كان فعلى المعلم الناصح لنفسه السالم في عقله وحسه العامل
على تصحيح اعماله وهمه المشفق على دينه الذي هو منوط بلحمه ودمه
ان يتامل هذه المفاسد ويقيس بها ما توهمه من المصالح الناشئة عن تعليمه
بزعمه ويدمن النظر في ذلك كما يدققه في اكثر المسايل التي لا يحتاج اليها او لا يقدم

على التعلم في هذه الأزمنة ذوات العلل المزمنة حتى يقطع بوجوب ذلك عليه
من غير تردد ولا تجويز وقوع خطأ في نظره ولا سبيل له إلى هذا ولا يسعه خلاف ذلك
إن كان منصفا قال بعضهم رأينا سفيان الثوري رضي الله عنه حزينا فسألناه عن ذلك
فقال صرنا متجرا لأبناء الدنيا قلنا وكيف ذلك قال يلزمنا أحدهم
حتى إذا عرف بنا وجمع عنا جعل عاملا أو حاجبا أو قهرمانا أو جابيا فيقول
حدثنا سفيان الثوري وعليه أيضا أن يحرص على مخالفة نفسه فيما تدعوه
إليه من التعليم إن كان مما تستحلاه النفس ويوافق غرضها مصحوبا بالآفات
والعلل التي تقدح في الإخلاص وإخلاص الأعمال شرطا في وجود القبول وعند
ذلك يذهب عمله باطلا ولا ينال بسعيه طائلا وقد تقدم من كلام علي بن أبي طالب
رضي الله عنه كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل عند قوله ما قل عمل
برز من قلب زاهد وتقدم أيضا الكلام على اتهام النفس في دعائها إلى ما ظاهره
خير عند قوله إذا التبس عليك أمران وليتعلم الحزم في ذلك من بشر بن الحارث
الحافي رضي الله عنه كان يقول إني أشتهي أن أحدث ولو ذهبت عني شهوة
الحديث لحدثت وكان سبب تركه طلب الحديث أنه سمع أبا داود الطيالسي
يحدث عن شعبة أنه كان يقول إن الإكثار من الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن
الصلاة فهل أنتم منتهون فلما سمعه منه قال انتهينا انتهينا ثم ترك
الرحلة في طلب الحديث فأقبل على العبادة وروي أيضا مثل هذا الكلام عن مسعر
بن كدام فإذا كان الإكثار من الحديث بهذه المثابة عند إمامي المحدثين في زمانيهما
مع ما فيه من الفوائد الأخراوية فما ظنك بغيره من محدثات العلوم ومبتدعاتها
ولقد ذكر الشيخ الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله بإسناد له إلى عبد الله بن مسلمة
القعنبي رحمه الله قال دخلت على مالك رحمه الله فوجدته باكيا فسلمت عليه فرد
علي ثم سكت عني يبكي فقلت له يا أبا عبد الله ما الذي أبكاك فقال لي يا ابن قعنب
إنا لله على ما فرط مني ليتني جلدت بكل كلمة تكلمت بها في هذا الأمر بسوط
ولم يكن فرط مني من هذا الرأي وهذه المسائل وقد كان لي سعة فيما سبقت إليه
فإن كان هذا فيما أخذ فيه من المسائل المحققة المبنية على أصول محققة
غير ملفقة فما ظنك فيما انتشر بعده من المذاهب الذي صار بحكم العادة واقتضاء

العصبية

العصبية وتمالي الناس على الضلال وتقليد الذي سماه الجهال دينا قويما وصراطا
مستقيما وعلى كل واحد من العالم والمتعلم أن يشتغل بأهم ما هو عليه مما هو
مأمور به ومسؤول عنه من مراقبة ربه وإصلاح نفسه وقلبه فله في
ذلك شغل شاغل عما يفرق همه ويقسي قلبه وينسيه ذكر ربه عز وجل
قال ابن وهب ذكر طلب العلم عند مالك بن أنس فقال إن طلبه لحسن إذا
صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي ومن
حين تمسي إلى حين تصبح فلا تؤثرن عليه شيئا وكان الثوري يقول لأهل
العلم الظاهر طلب هذا ليس من زاد الآخرة وكان يقول ليس طلب الحديث
من عدة الموت لكنه علة يتشاغل به الرجل وكان يقول لو كان للشيطان
فيه نصيب ما ازدحمتم عليه يعني العلم فهذه نبذ قصرتها التي تتبعها
في الموضع اللائق بها من هذا التنبيه ليتنبه بها من سبقت له من الله
زوال العمى عن بصره ومراجعة خوفه وحذره من العالمين والمتعلمين
وليتبين بها كلام المؤلف رحمه الله غاية التبيين والله الذي لا إله سواه
لا هو أستعين **وقال رضي الله عنه متى آلمك عدم إقبال الناس
عليك أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك
فإن كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك
بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم**
قلت لا ينبغي أن يكون مطمح نظره إلا إلى مولاه فلا يفرح إلا بإقباله
عليه ولا يحزن إلا لإعراضه عنه ولا ينظر إلى المخلوقين في إقبال ولا إعراض
ولا مدح ولا ذم فإنهم لا يغنون عنه من الله شيئا وقد تقدم هذا المعنى
في قوله غيب نظر الخلق إليك بنظر الله إليك وغب عن إقبالهم عليك
فما آلمه عدم إقبالهم عليه أو توجههم بالذم إليه فليرجع إلى ما بينه
وبين ربه فإن كان قانعا بعلمه راضيا بقسمه كان له في ذلك أعظم
سلوان عما يفوته من جهة المخلوقين بل لا يجد وقعا في قلبه لما
عسى أن يكون منهم من إقبال أو إعراض وإن لم يكن قانعا ولا راضيا
فمصيبته بذلك أعظم من مصيبته بالأذى منهم بل لا مصيبة

له في اذى الناس الخفيه عند من عرف سر ذلك ما يذكره المؤلف الا قال ابراهيم
التيمي رضي الله لبعض اصحابه ما يقول الناس فيّ قال يقولون انك مرائي فقال
الان طاب العمل وقال بشر الحافي في سكون القلب الى قبول المدح لهما اشد عليه من
المعاصي وقال رضي الله انما اجرى الاذى عليهم كي لا تسكن اليهم
اراد ان يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء
وجود اذاية الناس للعبد نعمة عظيمة عليه لا سيما من اعتاد منه الملاطفة
والاكرام والمبرة والاحترام لان ذلك يفيده عدم الركون اليهم وترك الاعتماد عليهم
وبعد الانس بهم فيتحقق بذلك عبوديته لربه عز وجل قال سيدي ابو الحسن رضي الله
عنه اذاني انسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرايت يقال لي من علامة
الصديقية كثرة اعدائها ثم لا يبالي بهم وقال بعض العارفين الصيحة من العدو
سوط الله يضرب بها القلوب اذا ساكنت غيره لولا ذلك لرقد القلب في ظل
العز والجاه وهو حجاب عن الله عظيم وقال سيدي ابو محمد عبد السلام شيخ
سيدي ابي الحسن رضي الله عنهما في دعائه اللهم ان قوما سالوك ان تسخر
لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم واني اسالك اعوجاج
الخلق علي حتى لا يكون ملجاي الا اليك وقال ابو الحسن الوراق النيسابوري
رضي الله عنه الانس بالخلق وحشة والطمانينة اليهم حمق والسكون اليهم
عجز والاعتماد عليهم وهن والثقة بهم ضياع واذا اراد الله بعبده خيرا
جعل انسه به وبذكره وتوكله عليه وصان سره عن النظر اليهم
وظاهره عن الاعتماد عليهم وقد قال الزاهد يخرجون المال عن الكيس
تقربا الى الله تعالى واهل الصفا يخرجون الخلق والمعارف من القلب
تحققا بالله عز وجل قال في لطائف المنن اعلم ان اولياء الله تعالى حكمهم
في بدايتهم ان يسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتكمل فيهم
المزايا وكي لا يساكنوا هذا الخلق باعتماد او ميل اليهم باستناد
ومن اذاك فقد اعتقك من رق احسانه ومن احسن اليك فقد استرقك
بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا
فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له كل ذلك ليتخلص القلب من رق احسان

الخلق

[illegible] كيف يكون لعدو الله

الخلق وليتعلق بالملك الحق وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه اهرب من خير
الناس اكثر مما تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك
ولان تصاب في بدنك خير من ان تصاب في قلبك ولعدو تصل به الى الله خير لك
من صديق يقطعك عن الله وعد اقبالهم عليك ليلا واعراضهم عنك نهارا
الا تراهم اذا اقبلوا فتنوا قال وتسليط الخلق على اولياء الله في مبتدا امرهم
سنة الله في احبابه واصفيائه قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه اللهم
ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى
وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسالك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك
وكل وجد يحجب عنك فنسالك عوضه فقدا تصحبه انوار محبتك
قال ومما يدلك ان هذه سنة الله في احبابه واصفيائه قوله تعالى وزلزلوا
الاية وقوله حتى اذا استياس الرسل الاية وقوله ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا في الارض الاية وقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى غير
ذلك من الاية الدالة على هذا المعنى انتهى وكذلك من استحلى حالا
او ساكن مقاما من سنة الله تعالى مع اوليائه تشويش ذلك عليهم
وهو من غيرته على قلوبهم لئلا تناله لغيره ولئلا تتغير بسواه قال الامام
ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن المقاطع المشكلة السكون الى استحلاء
ما لا قيد به من فنون تقريبك وكانه في خلال ما يناجيك يعاتبك فانه بكل
لطيفة يصطفيك ويقربك وتحتها خدع خافية ومن ادركته السعادة
كاشفه بشهود جلاله وجماله لا باثباته في لطف احواله وما يخصه به
من افضاله واقباله واداء الطاعات على وجه الاستحلاء معدود عندهم
من الشهوة الخفية ومن هذا المعنى ما ذكر عن سيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله
عنه لما دخل على شيخه ابي محمد عبد السلام في اول ملاقيه وساله عن حاله
قال اشكو الى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو انت حر التدبير
والاختيار فقال له الشيخ ابو الحسن اما شكواي من حر التدبير والاختيار
فقد ذقته وانا الان فيه واما شكواك من برد الرضى والتسليم فلم افهمه
فقال اخاف ان تشغلني حلاوتها عن الله سبحانه وقال سيدي ابو العباس

المرسي رضي الله عنه القلب محجاب عن الغيب يعني السكون اليه والوقوف عنده وشرة
الفرح به ولذلك قال سري السقطي رضي الله عنه لو ان رجلا دخل الى بستان فيه من جميع
ما خلق الله تعالى من الاشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الاطيار فخاطبه
كل طاير منها بلغته وقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان في
يديها اسيرا وقال بعضهم لا يكون الصوفي صوفيا حتى لا تقله ارض ولا تظله سماء
ولا يكون له قبول عند الخلق ويكون مرجعه في كل احواله الى الله وقيل الفقير من لا دنيا
له ولا اخرة فان عرض على ملك قال ليس من رجالي وان سلم الى رضوان قال لا اهتم
اليه وليس من رجالي وان قلنا من هو وما الذي يدل عليه قال ليس من يرغب لشيء
وقال محمد بن حسان رضي الله عنه بينما انا ادور في جبل لبنان اذ خرج شاب
قد احرقته السموم والرياح فلما نظر الي ولى هاربا فتبعته وقلت تعظني بكلمة
فقال احذره فانه غيور لا يحب ان يرى في قلب عبده سواه وكتب الجنيد رضي الله
عنه من اشار الى الله وسكن الى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه واجراه على
لسانه فان انتبه وانقطع عمن سكن اليه ورجع الى ما اشار اليه كشف الله ما به
من المحن والبلوى وان دام على سكونه نزع الله من قلوب الخلق الرحمة اليه والبس
لباس الطمع فتزداد رغبته منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم فتصير حياته
عجزا وموته كمدا ومعاده اسفا ونحن نعوذ بالله من السكون لغيره وقال
رضي الله عنه **اذا علمت ان الشيطان لا يغفل عنك فلا**
تغفل انت عمن ناصيتك بيده الشيطان عدو مسلط
على الانسان ومقتضى ذلك الا توجد منه غفلة ولا فترة عن التزيين والاغواء
والاضلال قيل لبعضهم اينام ابليس فقال لو نام لوجدنا راحة فاذا علمت انه لا يغفل
عنك فلا تغفل انت عمن ناصيتك بيده وهو الله عز وجل وذلك بتحقق
عبوديتك له وتوكلك عليه وافتقارك في كل احوالك اليه واستعاذتك
به من شر عدوك وعدوه فبذلك تخرج من سلطانه وتنجو من غايلته
قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وقال
عز وجل انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق
بهذه الصفات العلية من الايمان بالله تعالى والعبودية له والتوكل عليه

والتجا

ما عليه لو كان يخرج من سلطنته ونجى من شيطنته

والتجا والافتقار اليه والاستعاذة والاستجارة به كيف يكون لعدو الله
عليه سلطان والله حبيبه ووليه حفظه ونصره ولولا ما امرهم الله بالاستعاذة
منه ما استعاذوا منه ومن هو حتى يستعاذ بالله منه قال سيدي ابو العباس
رضي الله عنه في قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا قوم فهموا
من هذا الخطاب انهم امروا بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم
فهموا من ذلك ان الشيطان لكم عدو اي وانا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبته فكفاهم
من دونه وقال ابو حازم رضي الله عنه ومن الشيطان حتى يهاب لقد اطيع فما
نفع ولقد عصي فما ضر وقال بعضهم الشيطان منديل هذه الدار تمسح به اقذار
النفس وهي نسبة الشرور وانواع الفساد والمعاصي اليه ادبا مع الله عز وجل
وهذا سر ايجاده كما قال تعالى وما انسانيه الا الشيطان وقوله تعالى هذا من
عمل الشيطان واما ان له حولا او قوة يضر بها او ينفع فلا. قال ابو سليمان الداراني
رضي الله عنه ما خلق الله عز وجل خلقا اهون عليه من ابليس ولولا ان الله عز وجل
امرني ان اتعوذ منه ما تعوذت منه ابدا وقيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك
الشيطان فقال وما الشيطان نحن قوم صرفنا هممنا اليه فكفانا
من دونه وسيل بعضهم عن ترفع ابليس فقال لا اذ فع من الاعرف فاما ان اهملت
ذلك او غفلت عنه ولم تعبا به غلبك لا محالة لثبوت سلطنته عليك
ووصوله بالوسوسة اليك قال اهل العلم ان لكل احد من الناس وسواسا
موكلا به مستبطنا قلبه واضعا راسه او قال خرطومه عليه فاذا غفل
العبد وسوس واذا ذكر الله خنس اي تاخر واستتر وقال يحيى بن معاذ
رضي الله عنه الشيطان قديم وانت حديث والشيطان كيس وانت سليم الناحية
والشيطان لا ينساك وانت لا تزال تنساه وله من نفسك عليك عون وقيل
صدر ابن ادم مسكن له ومجراه من ابن ادم مجرى الدم وانت لا تقاومه الا بعون
الله تعالى وقال مالك بن دينار رضي الله عنه ان عدوا يراك ولا تراه لشديد
المؤنة الا من عصم الله وفيه يقول القايل ولا اراه حيث ما يراني. وعدو ما انساه
لا ينساني فاسير لم تغض شباني وقال ذو النون المصري رضي الله عنه ان كان
هو يراك من حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال ابليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا ابرح اغوي بني آدم ما دامت
الارواح فيهم قال له ربه بعزتي وجلالي لا ابرح اغفر لهم ما استغفروني **وقال**
رضي الله عنه **جعله لك عدوا ليحوشك به اليه وحرك**
عليك النفس ليدوم اقبالك عليه عداوة الشيطان لك نعمة
عظيمة من الله عليك اذ من مقتضاها كما قلناه الا يغفل عنك وان يديم جهده
في محاربتك ومقاتلتك بنفسه وبجنوده وبخيله وبرجله ولا طاقة
لك على مقاتلته بنفسك لانك في غاية الضعف والعجز فيضطرك الحال
لا محالة الى الاستعانة عليه بمولاك القوي المتين فيوجد منك حينئذ
الالتجاء اليه والانتصار به والتوكل عليه في دفعه عنك فعداوة
الشيطان هي القدر الذي تعلق بها اليه وجمعك بها عليه وهذا
هو غاية المقصود وكذلك حركة النفس عليك بالحمل على متابعة الهوى
والشهوة بما جعل فيها من الطبع والجبلة نعمة عظيمة ايضا وان كانتا عدوي
الاغراء اليك اذ بواسطتها يتوصلون اليك وبامرها يعملون فيما يعود
بالضرر عليك من اجل انك لا تقدر على مجاهدتها وقمع هواها الممتزج بلحمك
ودمك الا بمن هو اقوى منك وليس ذلك الا مولاك فقد عاد بهذا الى
دوام الاقبال اليه والعكوف بالهم عليه وكان المؤلف رحمه الله قصد في هذه
الكلمات التي ذكر الاعداء الاربعة المذكورين في قول الشاعر ٥

اني بليت باربع يرمينني ٥ بالنبل عن قوس لها توتير ٥
ابليس والدنيا ونفسي والهوى ٥ يا رب انت على الخلاص قدير ٥

وبين في كلامه وجود عداوتهم ووجوه الاحتراز منهم وتمم بذلك بيان ان تلك
العداوات وان عظمت من اعظم الوسائل الى اسنى المطالب لمن اريد بذلك ووفق له
واتى بجميع ذلك في الفاظ بديعة مختصرة وجيزة محررة فاعرف قدر هذا
الفصل واعترف لواضعه بكمال النبل والفضل **وقال** رضي الله عنه **من اثبت**
لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة فمتى
اثبت لنفسك تواضعا فانت المتكبر ٥ اثبات التواضع يقتضي

منها

١٢١

وجود الرفعة لا محالة اذ لو كانت معدومة لكان ضدها وهو الضعة ثابتا
موجودا ولا ينتفي عن العبد التكبر الا بوجود الضعة ووجود الضعة لا يحتاج
الى اثبات من العبد لانه ثابت في نفسه بل التواضع الذي اثبته العبد في نفسه لا ينفي
عنه وجود التكبر بالضرورة وايضا فان لفظة التواضع تؤذن بذلك فان التواضع
تفاعل من الضعة واكثر باب التفاعل موضوع لاظهار الصفة وليست كذلك كالتناوم
والتساكر والتعارج والتماوت وغير ذلك فصيغة التواضع لا تقتضي حقيقة
الضعة وعدم الرفعة ولا يلزم من وجود هذا ذلك والمطلوب من العبد انما هو ان
يتصف بذلك لحقيقة لا اظهارا فقط بان ينتفي عنه وجود الرفعة بالكلية
وحينئذ يبرا العبد من الكبر ولا يكون له وجود البتة **وقال** رضي الله عنه
ليس المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه فوق ما صنع ولكن المتواضع
الذي اذا تواضع رأى انه دون ما صنع ٥ هذا بيان آخر لما ذكره من ان العبد المتواضع
حقيقة لا يثبت التواضع لنفسه لا يشاهد من ضعة قدره وخمول ذكره
وذلته ومهانته ما يمنعه من ذلك وهذا هو التواضع الحقيقي وهو شهوده
لذلك ووجوده به مما يقدح في حقيقة تواضعه التواضع كما قال الشيخ ابو عبد الله
القرشي رضي الله عنه من وجد ذوقه في ذلك فهو متعزز وفيه بقية فهذا
العبد المتصف بهذه الصفة او بفعل من افعال المتواضعين ما شاء لم يثبت بذلك
لنفسه تواضعا لانه يرى نفسه دون ما صنع من ذلك لغلبة ذلك الشهود
والوجد عليه فان اثبت لنفسه ورأى نفسه فوق ما صنع مما يقتضي وجود
صفة التواضع له بزعمه فهو متكبر حقيقة ولذلك قال الشبلي رضي الله عنه
يوما في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود وقال من رأى لنفسه قيمة فليس
له من التواضع نصيب وقال ابو سليمان رضي الله عنه لا يتواضع العبد
حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد رضي الله عنه ما دام العبد يظن ان في الخلق
من هو شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه
مقاما ولا حالا وتواضع كل احد على قدر معرفته بنفسه وبربه وقال
ابو سليمان الداراني رضي الله عنه لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي
عند نفسي ما قدروا عليه وقال يونس بن عبيد رضي الله وقد انصرف من عرفات

لم اشك في الرحمة لولا اني كنت فيهم وقيل لحمد بن مقاتل ادع الله لنا فبكا وقال
ليتني لم اكن انا سبب هلاكهم ومن علامات المتحقق بهذا الخلق الا يغضب اذا
عيب او تنقص ولا يكره ان يذم ويقذف بالكبائر ومن علامات تحققه به ايضا
ان يشتد حرصه على ان لا يكون له جاه وقدر عند الناس ويلزم الصدق في حاله
بان لا يرى لنفسه موضعا في قلوبهم وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ادفن وجودك
في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه ويحكى عن ابي الحسن بن الكرخي
استاذ ابي القاسم الجنيد رضي الله عنهما ان رجلا دعاه ثلاث مرات الى طعامه
ثم يرده فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله داره في المرة الرابعة فساله عن ذلك
فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد
فينطرد ثم يدعا فيعود ويرمى له عظم فيجيب ولو رددتني خمسين مرة ثم
دعوتني بعد ذلك لاجبتك قال ابو طالب المكي رضي الله عنه وحدثنا عن
بعض الصوفية انه وقف على رجل ياكل خبزه وقال ان كان ثم شيء لله
تعالى فقال اجلس فكل فقال اعطني في كفي فاعطاه في كفه فقعد في مكانه
فساله عن امتناعه من الجلوس معه فقال ان حالي مع الله تعالى الذل فكرهت
ان افارق حالي قال وكان هذا ربما مر بكم الى المزابل فيجعل فيها هريسة ومن
اغرب ما رايت من التواضع ما ذكره صاحب كتاب عوارف المعارف قال رايت
شيخنا ضياء الدين ابا النجيب وكنت معه في سفره الى الشام وقد بعث بعض
ابناء الدنيا اليه طعاما على رؤوس الاسارى من الافرنج وهم في قيودهم فلما مدت
السفرة والاسارى ينتظرون الاواني حتى تفرغ قال للخادم احضر الاسارى
حتى يقعدون على السفرة مع الفقراء فجاء بهم واقعدهم على السفرة صفا
واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم
واكل واكلوا وظهر لنا على وجهه ما نزل بباطنه من التواضع لله تعالى والانكسار
في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بايمانه وعلمه واغرب من هذا ما ذكره
صاحب نفحه باطنه من التواضع لله تعالى والانكسار اليه علي بن عتيق
بن مومن القرطبي رحمه الله عن ابيه انه راى الشيخ الفقيه ابا محمد عبد الله
بن عبد الرحمن بن مجير وكان من الفقهاء العلماء يوما وهو يمشي في يوم

شاتٍ

لقو

٢٢٢

شاتٍ كثير الطين فاستقبله كلب يمشي على الطريق التي كان عليها قال فرايته
قد لزق بالحائط وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظره ليجوز حتى يمشي هو فلما
قرب منه الكلب قال رايته قد ترك مكانه الذي كان فيه ونزل اسفل وترك الكلب
يمشي فوقه قال فلما جاوزه الكلب وصلت اليه فوجدته وعليه كآبة فقلت
له يا سيدي اني رايتك صنعت الان شيئا استغربته كيف رميت نفسك في
الطين وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي فقال لي بعد ان عملت له طريقا تحتي
تفكرت وقلت ترفعت على الكلب وجعلت نفسي ارفع منه بل هو والله ارفع
مني واولى بالكرامة لاني عصيت الله وانا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له فنزلت
له عن موضعي وتركته يمشي عليه وانا الان خائف المقت من الله الا ان يعفو عني
لاني رفعت نفسي على من هو خير مني وقال رضي الله عنه **التواضع الحقيقي
هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي صفته** شهود
عظمة الله تعالى وتجلي صفته هو الذي يوجب للعبد وجود التواضع الذي
ذكرناه لان ذلك هو الذي يخمد النفس ويذيبها ويبطل اهتمامها فما تجلى الله تعالى
لشيء الا خضع له فلا تنقلع من القلب شجرة الرياسة والكبر الا به لا بما يتكلفه
العبد ويتعاطاه بنفسه من اعمال واحوال قال الجنيد رضي الله عنه
التواضع عند اهل التوحيد تكبر قال ابو حامد ولعل مراده ان المتواضع
يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى
يضعها او يرفعها وقال ذو النون المصري رضي الله عنه من اراد التواضع
فليوجه نفسه الى عظمة الله تعالى فانها تذوب وتصغر ومن نظر الى سلطان
الله تعالى ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها حقيرة عند هيبته ومن
اشرف التواضع الا ينظر الى نفسه دون الله وفي كتاب عوارف المعارف واعلم
ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند
ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع
للحق والخلق بمحو اثارها وسكون وهجها وغبارها وقال ايضا **لا يخرجك
عن الوصف الا شهود الوصف** هذه عبارة مليحة موافقة
لمعنى ما تقدم لان الوصف المذكور ثانيا وصف الرب تعالى

وقال ايضا المؤمن يشغله الثناء على الله عن ان يكون لنفسه
شاكرا وتشغله حقوق الله عن ان يكون لحقوقه ذاكرا
شاكر النفس نسبة الافعال الجميلة والاحوال الحميدة اليها وذلك ثناء عليها
وهو مضاد للثناء على الله تعالى وذكر حظها من اعتقاد ان لها حقا
على ما تفعله من الطاعات وهو مضاد للقيام بحقوق الله تعالى
فالمؤمن الحقيقي لا يلتفت الى نفسه في نسبة شيء من المحاسن اليها
وفي طلب حظ عليه لها بل يشغله الثناء على الله تعالى والحرص على
توفية حقوقه عن جميع ذلك وقال رضي الله عنه ليس المحب الذي
يرجوا من محبوبه عوضا او يطلب منه عوضا فان المحب
من يبذل ليس المحب من يبذل له ن المحبة تقتضي من المحب
بذل كلياته وجزئياته في مرضاة محبوبه من غير طلب حظ يناله
منه فهذا مما يلزم وجود المحبة كما قيل ان المحب اذا احب حبيبه
يلقاه يبذل فيه ما لا يبذل بل يرى ما يفعل من ذلك غاية الحظ
وموافقة رضى محبوبه نهاية السعادة والبغية كما قيل
قال ابو حفص عمر بن الفارض رحمه الله تعالى ن
ن ما لي سوى روحي وباذل روحه :. في حب من يهواه ليس بمسرف ن
• فلئن رضيت بها لقد اسعفتني :. يا خيبة المسعى اذا لم تسعف ن
ولذلك قيل المحبة الايثار وهو الا يدع لمحبوبه ميسورا الا بذله ولا
ممكنا الا استعمله ولا يبقي لنفسه ولحظه نفسا ولا يستثني من كل
ما بذله سمنة وانشدوا لم يبقيا في العمر مني فضلة :. فانني اذا في العاشقين ذخيرة
وقال ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه حقيقة المحبة ان تهب كلك
لمن احببت حتى لا يبقى لك منك شيء وقال ابو يعقوب السوسي
رضي الله عنه حقيقة المحبة ان ينسى العبد حظه من الله ما ينسى حوائجه
اليه وقيل لبعض المحبين وكان قد بلغ المجهود في بذل ماله ونفسه حتى
لم يبق منه بقية ما كان سبب حالك هذه في المحبة كلمة سمعتها
من محب لمحب خلوت به في هذا البلاء قيل وما هي قال سمعت محبا خلا بمحبوبه

وهو

وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت تعرض عني بوجهك كله فقال له
المحبوب ان كنت تحبني فاي شيء تنفق علي قال يا سيدي املكك ما املك
ثم انفق عليك روحي حتى اهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بخلق
لخالق وعبد لمعبود فكان هذا سببه فهذا الذي ذكرناه من لوازم المحبة
الحقيقية واما رجاء العوارض وطلب الغرض فهو حال من مقامه الرجا وليس
من مقام المحبة المخصوصة في شيء قال الشاعر ن
ن من لم يكن بك فانيا عن حظه :. وعن الهوى والانس بالاحباب ن
ن فلانه بين المراتب واقف :. لمنال حظ او لحسن مآب ن
وقال الاخر وما انا بالباغي على الحب رشوة :. ضعيف هوى يرجى عليه ثواب ن
قال ابو محمد رويم من احب العوض بغض العوض اليه محبوبه وقيل اوحى
الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على قلب عبد فلم اجد
فيه حب الدنيا ملأته حبي وقال بعض المحبين كوشفت بأربعين حوراء
رايتهن يتلاعبن في الهوى عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش
وتتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما قال ثم كوشفت
بعد ذلك بثمانين حوراء هو فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال
فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر اليهن وقلت اعوذ بك مما سواك
لا حاجة لي بهن فلم ازل اتضرع الى الله تعالى حتى صرفهن عني وذكر الشيخ
الحافظ ابو نعيم رضي الله عنه قال قال ميسرة الخادم غزونا في بعض
الغزوات فاذا فتى الى جانبي واذا هو مقنع في الحديد فحمل على الميمنة
حتى ثناها وعلى الميسرة حتى ثناها وحمل على القلب حتى ثناها ثم انشا
يقول احسن بمولاك سعيد ظنا :. هو الذي كنت له تمنا ٥
ن تنح يا حور الجنان عنا :. ما لك قاتلنا ولا قتلنا ن
ن لكن الى سيدكن اشتقنا :. قد علم السر وما اعلنا ن
قال فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو
فاذا هو قد حمل على الناس وانشا يقول قد كنت ارجوا ورجائي لم يخب :.
ن الا يضيع اليوم كدي والطلب :. يا من ملا تلك القصور باللعب ن

عرضا

الهوى

ولولا ذلك ما طابت ولا طاب الضرب فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى
مصافه فتكالب عليه العدو فحمل الثالثة ثم انشأ يقول
يا كعبة الخلق فيه ثم اسمعي . مالك قتلنا فكيفي وارجعي . ثم ارجعي الى الجنان واسرعي
لا تطمعي لا تطمعي . فقاتل حتى قتل ولاجل ما ذكرناه من اقتضاء مقام
المحبة كلية البذل من المحب لزم وقوع الابتلاءات والمطالبات به حتى يحصل
له توفية حقوق هذا المقام على التمام ولهذا قال بعضهم اول ما يقول الله
عز وجل للعبد اطلب العافية والجنة والاعمال وغير ذلك فان قال ما اريد الا انت
قال له من دخل معي في هذا انما يدخل باسقاط الحظوظ ورفع الحدوثات وثبوت
القدم وذلك يوجب لك العدم وقال بعض العلماء اذا رايت تحبه ورايته
يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت
بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه
فقال لا فقال لا تطمع نفسك في المحبة فانه لا يعطيها احدا حتى يبلوه
وقال بعض علمائنا رضي الله عنهم كل اهل المقامات يرجى ان يعفى عنهم
ويسمح لهم الا المدعين المعرفة والمحبة فانهم يطالبون بكل شعرة مطالبة
وفي كل حركة وسكون ونظرة وخطرة لله ومع الله وقال ابراهيم بن ادهم
رضي الله عنه وكان له مقامات في المحبة رفيعة قلت ذات يوم يا رب
ان كنت اعطيت احدا من المحبين لك ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك
فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في النوم انه اوقفني بين يديه
فقال يا ابراهيم اما استحييت مني ان تسألني ان اعطيك ما يسكن به قلبك
قبل لقائي وهل يسكن المشتاق دون لقاء حبيبه ام هل يستريح
المحب الى غير مشوقه قال فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول
فاغفر لي وعلمني كيف اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك
واوزعني شكر نعمائك انتهى فللمحبين خطرات يظهر لهم بذلك
الشرف في صفاء حبهم والنقص في مواطن قربهم فهم يفرون منها ويخرجون
عنها مخافة ان تسترق شيئا من ذلك قلوبهم بادنى ميل او مساكنة فيوجب
ذلك لهم السقوط من مقامهم الرفيع الذي اهلهم واهلوا له ولذلك قال

ابو محمد

ابو محمد سهل بن عبد الله رضي الله عنه جناية المحب عند الله تعالى اعظم من
معصية العامة وهو ان يسكن الى غير الله او يستانس بسواه وقيل اوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام يا داود اني حرمت على القلوب ان يدخلها حبي وحب غيري
ويحكى ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام نعم العبد برخ هو لولا ان فيه
عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني
لم يسكن الى شيء ويروى ان عابدا عبد الله في غيضة دهرا طويلا فنظر الى طائر
قد عشش في شجرة ياوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة
فكنت انس بصوت ذلك الطائر قال ففعل فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان قل لفلان
العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك ابدا
وقال رضي الله عنه **لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين اذ لا**
مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطعة
بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك السير الى الله تعالى هو
قطع عقبات النفس ومحو اثارها ودواعيها وغلبة احكام طبيعتها وجبلتها
حتى تطهر من ذلك وتحصل لها اهلية القرب من الله تعالى وتصل الى سعادة
لقائه ولولا معاناة هذه الاشياء لم يتحقق السير والسلوك كيف والحق تعالى
اقرب من نفسه فالبعد الحسي وهي المسافة التي تطويها رحلته والبعد المعنوي
هي القطيعة التي تمحوها وصلته محال في حقه تعالى بنفي المثلية في الاول
وعدم الضدية في الثاني وهذه الالفاظ التي عبر بها المؤلف رحمه الله تعالى من
السير والميادين والرحلة والوصلة وفي معناها السير والسلوك والذهاب
والرجوع هي عبارات استعملها الصوفية في امور معنوية تجوزوا بها عن
امور حسية ومرجع جميع ذلك الى علوم ومعاملات يتصف بها العبد
لا غير وهذا الكلام الذي ذكره المؤلف هاهنا وما تقدم له ولنا غير ما مرة
من النفس هي الحجاب الاعظم للعبد عن الله تعالى وان مجاهدتها وقمعها
وموتها تنال سعادة الله تعالى صحيح المعنى قال بعضهم ما الحيوة
الا في الموت اي حياة القلب الا في اماتة النفس وقيل النعمة العظمى
الخروج عن النفس لان النفس اعظم حجاب بينك وبين الله وقال الشيخ ابو مدين

رضي الله عنه من لم يمت لم ير الحق قال سيدي أبو العباس رضي الله عنه
لا يدخل على الله إلا من بابين من باب الفناء الأكبر وهو الموت الطبيعي ومن باب
الفناء الذي تعنيه هذه الطائفة وعن حاتم الأصم رضي الله عنه قال من دخل
في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت موتا أحمر وموتا أبيض
وموتا أخضر وموتا أسود فالموت الأبيض الجوع والموت الأسود احتمال أذى
الناس والموت الأحمر مخالفة النفس والموت الأخضر طرح الرقاع بعضها على
بعض وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه للنفس سر ما ظهر ذلك السر على
أحد من خلقه إلا على فرعون فقال أنا ربكم الأعلى ولها سبع حجب سماوية وسبع
حجب أرضية فكلما دفن العبد نفسه أرضا سما قلبه سماء فإذا دفنت النفس
تحت الثرى وصل القلب إلى العرش يعني إذا أخملتها وفارقتها وسبيل المريد إلى
الوصول إلى موت النفس إنما يكون بتقديم الافتقار والالتجاء والرغبة إلى مولاه
أن يعينه ويقويه على أمر نفسه ويسهل عليه طريق سلوكه وليستعمل
هذا في كل حال ووقت وليجعله عمدته فيما هو بسبيله وقد تقدم من كلام المؤلف
رحمه الله ما توقف مطلب أنت طالبه بربك وقال بعض العارفين لا يمكن الخروج
من النفس بالنفس وإنما يمكن الخروج من النفس بالله ثم يشتغل بمراعاة حدود الشريعة
والطريقة في ظاهره وباطنه والتزام آدابهما ولكل عضو عمل مخصوص ويقتضي لا محالة
حكما مخصوصا يقوم بحقه وذلك يختلف باختلاف أحوال الناس فحركات العبد وسكناته
هي أعماله الظاهرة وخواطره وهممه وإراداته هي أعماله الباطنة وكل واحد من
القسمين ينبغي أن يأخذ فيه بعزائم الأمور ويجتنب الرخص التي هي من شأن العامة
والجمهور حسبما تقدم عند قوله من جهل المريد أن يسيء الأدب فتؤخر العقوبة عنه
فعمل الظاهر إن كان واجبا فليبادر إلى فعله ولا يتوانى عنه وليقم بجميع آدابه
اللازمة له ويلتحق بذلك ما يكون مندوبا إليه إذ أعلى في مرتبة له وإنما اشترطنا
هذا الشرط لأن المندوبات التي تعترضه يحتاج فيها إلى تقديم الأول والأهم فالأهم
منها فإن لم يعمل على هذا وقدم ما اتفق بأيهم كان متبعا للهوى لا لموجب العلم
وليأخذ في ذلك بالقصد من غير إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير وفي حديث
عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه تكلفوا

من العمل

من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أفضل العمل أدومه وإن قل وعن أبي
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدين يسر ولن
يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا وإن كان حراما فليبادر إلى
تركه واجتنابه وليقطع عن نفسه جميع أسبابه ويلتحق بذلك ما يكون مكروها
وإن كان مباحا فهذا هو محل نظر المريد فعليه أن يأخذ بالعزيمة فيه ويقف على حدود
الضرورة منه وليكن اجتنابه لما يشتد ميل النفس إليه ويعظم حرصها عليه
أكثر من اجتنابه لما يقل منه ذلك ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص فرب شخص
تميل نفسه إلى ما لا تميل إليه نفس شخص آخر فليشتغل المريد بقطع ذلك وزوال
علاقته من قلبه بالرياضة والمجاهدة وليستمر على ذلك حتى يكون تناوله
على ما لا بد له منه على وجه الطاعة والقربة لا على سبيل الهوى والشهوة
ومما يشتد ميل نفوس أكثر الناس إليه ما يكون سبب تناوله واستعماله
مراعاة نظر الخلق والجري على عوائدهم السيئة ومراسمهم المذمومة ومجاهدة
النفس في مثل هذا عسيرة جدا لا سيما على من ابتلي بحب الجاه والرياسة وقبول
الخلق في ولاية حكم أو نشر علم أو غير ذلك فإنها أشد الشهوات علاقة بالقلب وأضرها
بالمريد فيجب عليه أن يعتني بذلك ويبادر في تطهير ظاهره وباطنه منه فيما يتعاطاه
من أعمال وأحوال وقد نبهنا على هذا المعنى في أول الكتاب عند قول المؤلف رحمه الله
ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه ويتعين على المريد في
رياضته ومجاهدته أن يمنع حواسه ويكف جوارحه عن التطلع والجولان في
مضار جريان شهواته وسيء عاداته والانهماك معها ولا يتفق معها فإن ذلك منشأ
كل شر ومنبع كل فساد كما قيل إن السلامة من سلمى وجارتها أن لا تمر على حال واديها
فليراقب ربه وليحفظ جوارحه فإن الإنسان قد يتحرك مثلا في طلب الخير والتماس
أعمال البر فيتفق أن يقع بصره على شيء له فيه هوى وشهوة فتميل نفسه إليه
بالشره والمحبة فيتكدر عليه وقته ويظلم قلبه ويختل عليه في لحظة ما كان
أمره في سنة مثلا وكذلك سائر حواسه وقد شبه العلماء رضي الله عنهم النفس
في مثل هذا بدابة استعارها رجل من ربها ومالكها ليتصرف بها في حاجته وكانت
دابة جموحا صعبة المرام فجاز بها المستعير في بعض تصرفاته على دار مولاها فنزعت

المريد سيرها فإنه لا يحتاج الى صرفها عنها فإن تقاعست ضربها بالسوط والعصا حتى يصرفها بذلك عما نزعت اليه وقد يكون عليه في ذلك تعب ومؤونة وسبب هذا انما هو حكوره بها على دار مولاها التي ألفته واعتادته ولو لم يمر بها عليه لسلم ولم يحتج الى معاناة ولا مكابرة فإن تغافل عنها حتى ادخلها بيدها في عتبة الباب واستمكنت منه ثم اراد منعها من الدخول لم تطعه بوجه بل اقتحمت به باب الدار كرها وربما جرحت راسه والمته وسبب ذلك انما هو تمكينها من العمل بمقتضى طبيعتها وموافقة جبلتها وكذلك حال النفس فالنفس ان اعطيتها هواها فانها تغرق نحو هواها ولذلك كانت الخلوة والعزلة من اوجب الواجبات على المريد فان نفسه اذ ذاك تكون ساكنة هادئة قد نسيت عوايدها وفترت دواعيها ونوازعها على ذلك تحصل له من التزكية والتحلية والاستقامة والطمانينة ما هو المقصود بالرياضة والمجاهدة فان اعتراه شيء مما ذكرناه اختل عليه حاله واحتاج من قبل الى الرياضة والمجاهدة الشاقة وانى له مع ذلك تلافي ما فاته وقد قالوا وقفة المريد شر من فترته قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه والفرق بين الفترة والوقفة ان الفترة رجوع عن الارادة وخروج منها والوقفة ان الفترة رجوع عن الارادة وخروج منها والوقفة سكون عن السير بالتحلي بحالات الكسل وكل مريد وقف في ابتداء ارادته لا يجيء منه انتهى كلامه رحمه الله فبدايات الامور هي التي يجب ان يراعيها المريد والله ولي التوفيق والتسديد ولا غنى للمريد في القسم من تحصيل ما يحتاج اليه من العلوم الشرعية على ما ينبغي وعمل الباطن يرجع حاصله الى امر واحد وهو اخلاص التوحيد لله عز وجل باعتقاد العبودية له وذلك بان يحمل نفسه على الاستسلام لاحكام الله تعالى وترك المنازعة والتدبير والاختيار بين يدي ربه وهذا المعنى هو الذي ضمنه المؤلف رحمه الله كتابه التنوير في اسقاط التدبير فليستشعر المريد على ذلك به ولا يقصد برياضته ومجاهدته التوصل الى شيء من الكرامات وخرق العوايد وانواع الاجابات فان ذلك فتنة وبلية قاطع عليه طريق العبودية قال ابو عمر المغربي رضي الله عنه من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي ان يكون خاليا من جميع الاذكار الا ذكر ربه وخاليا من جميع الارادات الا رضى ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الاسباب وان يكون بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنة او بلية وقال الشيخ ابو عبد الله

القرشي

القرشي رضي الله عنه من عمل الجد وبدايته لم يفتح له بشيء حتى يكون قصده تحقيق العبودية والقيام بما يجب عليه من حقوق الربوبية قال صاحب كتاب عوارف المعارف من دخل عليه الشيطان وسول له انواع الطغيان واستلاه من الغرور والمحال وظن انه حصل على حسن الحال قال وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها واقبلوا على ذكر من الاذكار واستجموا نفوسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا النفس اشغال الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدة في جمع الهم لها تاثير في صفاء الباطن مطلقا فكلما كان ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتج تنوير القلب بالزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله باخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتج صفاء في النفس يستعان به على اكتساب علوم رياضية مما يعتني به الفلاسفة والرهبان وكلما كثر القرب من ذلك كثر البعد من الله ولا يزال المقبل على ذلك يغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية ربما قد يتراءى له من صرف الخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه كل الركون ويظن انه قد فاز بالمقصود من الخلوة ولا يعلم ان هذا القدر من القابلية غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليست هي المقصود بالخلوة يقول بعضهم الجوير ير منك الاستقامة وانت تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين بشيء من خرق العادات وصدق الفراسة وتبيين ما سيحدث في المستقبل وقد يفتح عليهم في ذلك ولا يفرح في حالهم عدم ذلك وانما يفرح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة وما يفتح ذلك على الصادقين يصير سببا لمزيد بعده والداعي لهم الى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام من عنقه وينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن ان المقصود من العبادات ذكر الله تعالى وترك متابعة الرسول ثم يتدرج من ذلك الى تلحد وتزندق ونعوذ بالله من الضلال وقد تلوح الاقوام خيالات يظنونها وقايع ويسمونها بوقايع المشايخ من غير علم لحقيقة ذلك انتهى كلامه رحمه الله وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق فيمن اراد ...

١٢٦

العبد على مثل هذه الأساليب التي ذكرناها مشاهد التوفيق به عند جاوزنا بيده له يحصل
له مزيد كثير وعند ذلك يتطهر باطنه من جميع الآفات وخبائث الصفات وتستنير
سريرته بأنوار المكاشفات والمطالعات وقد عبر الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه
عن طريق موت النفس بعبارات صحيحة مليحة فقال قتل النفس في الحقيقة التبري
من حولها وقوتها و[illegible] شهود شيء منها ورد ما عيبها إليها وتشويش تدبيرها
عليها وتسليم الأمور إلى الحق سبحانه بجملتها وانسلاخها من اختيارها وإرادتها
وامتحاء آثار بشريتها عنها فأما بقاء الرسوم والهياكل فلا خطر لها ولا عبرة
انتهى وهذه السبيل إلى موت النفس المفضي إلى حضرة القدس لكونه جاريا على
مقتضى الشريعة والحقيقة اللتين بأنوارهما يهتدي كل سالك ومريد ولابد لكل مريد
في هذه الطريق من صحبة شيخ محقق من شر قد فرغ من تأديب نفسه وتخلص من
هواه فليسلم نفسه إليه وليلتزم طاعته والانقياد إليه في كل ما يشير عليه من غير
ارتياب ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقال أبو علي الثقفي
رضي الله عنه لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال
إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ به من أمر له ونهاه يريه
عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات وقال سيدي
أبو مدين رضي الله عنه من لم يأخذ الأدب من المتأدبين أفسد من يتبعه قال المؤلف
رحمه الله في لطائف المنن إنما يكون الاقتداء بولي دلك الله عليه وأطلعك على ما أو
دعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته
فألقيت إليه القياد فسلك بك طريق الرشاد يعرفك برعونات نفسك وكمائنها
ودفائنها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ويسايرك في طريقك حتى
تصل إلى الله يوقفك على إساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون إليها ويعرفك
العلم بإحسان الله إليك الإقبال عليه والقيام بالشكر إليه والدوام على مر الساعات
بين يديه قال فإن قلت فأين من هذا وصفه لقد دللتني على أعز من عنقاء مغرب فاعلم
أنه لا يعوزك وجدان الدالين وإنما قد يعوزك وجود الصدق في طلبهم جد صدقا تجد
مرشدا وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى قال الله سبحانه أمن يجيب المضطر
إذا دعاه وقال سبحانه فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت إلى من يوصلك

انظر

إلى الله

إلى الله اضطرار الظمآن إلى الماء والخائف للأمن لوجدت ذلك أقرب إليك من وجود
طلبك ولو اضطررت إلى الله اضطرار الأم لولدها إذا فقدته لوجدت الحق منك
قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير
ذلك عليك انتهى وفي كلامه رحمه الله تنبيه على أن الشيخ من منح الله وعطاياه
للعبد المريد إذا صدق في إرادته ونازع في مناصحة مولاه [illegible] استطاعته
لأعلى ما قربتموه من العلم عنده وعند ذلك يوفقه الله تعالى [illegible] استعمال الآداب
معه لما اشتهر من علو مرتبته ورفيع درجته قال سيدي أبو مدين رضي
الله عنه الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ
من هذبك بأخلاقه وأدبك بإطراقه وأنار باطنك بإشراقه الشيخ من [illegible]
في حضوره وحفظك في مغيبك وقال المؤلف رحمه الله في لطائف المنن وليس
شيخك من دعاك إلى الباب إنما شيخك الذي رفع بينك وبينه الحجاب
وليس شيخك من واجهك مقاله إنما شيخك الذي نهض بك حاله
شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك
هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك نهض بك
إلى الله فنهضت إليه وسار بك حتى وصلت إليه ولا زال محاذيا لك حتى
ألقاك بين يديه فزج بك في نور الحضرة وقال ها أنت وربك انتهى ووقائع
المريد مع الشيخ والشيخ مع المريد كثيرة مذكورة في كتاب أئمة التصوف
رضي الله عنهم ومن أبلغ ذلك وأوجزه ما ذكره الإمام أبو القاسم القشيري
رضي الله عنه قال من شرط المريد ألا يتنفس بنفسه إلا بإذن شيخه ومن
خالف شيخه في نفس سرا أو جهرا فسيرى غبه من غير ما يحبه شرعا
ومخالفة الشيوخ فيما يستقصرونه منهم أشد مما يكابرونه بالجهر وأكثر
لأن هذا يلتحق بالخيانة ومن خالف شيخه لا يشم رائحة الصدق فإن بدر منه شيء
من ذلك فعليه بسرعة الاعتراف والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة
ليهديه شيخه إلى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه
فإذا رجع المريد إلى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته
فإن المريدين عيال شيوخهم فرض عليهم أن ينفقوا من قوة أحوالهم ما يكون

جيرانا التقصير هم انتهى وقال الشيخ العارف محيي الدين ابو العباس البوني رحمه
الله واياك ان تعقد فعلا يخطر لك الا ان تلقيه للشيخ طاعة كان او معصية على
اي نوع برز لك ولو اختلف عليك الف مرة في الساعة اختلف اليه الف ساعة
في الخاطر ليعلمك الدواء الذي تزيله به او يجلو عنك همته قال ولقد رايت تلميذا من
اصحاب شيخنا الامام تاج العارفين ابي محمد عبد العزيز بن ابي بكر القرشي المهدوي رحمه الله
تعالى وكنت ... عنده فدخل عليه وفي يده باقلاة فقال يا سيدي اني وجدت هذه
الباقلاة فما اصنع بها فقال له اتركها حتى تحكم عليها يا ولدي لو خالفتني في لحظة
من لحظاتك لم تفلح ابدا فاذا جوهدت النفس بهذه المجاهدات وقوتلت بهذه
المقاتلات رجعت عن جميع مالوفاتها الدنية وعاداتها الرديئة وزال عنها
النفور والاستكبار ودانت لمولاها بالعبودية والافتقار وتركت اعمالها وصفت
احوالها وهذه هي خاصيتها التي خلقت لاجلها ومزيتها التي شرفت من قبلها
وانما الفت سوى هذا المرض الذي اصابها من الركون الى هذا العالم الادنى والانس بالشهوات
التي تزول وتفنى حتى امتنع عليها ما خلقت لاجله من وجوب سعادتها وغاية
شرفها وسيادتها فلما تعالجت بما ذكرناه عادت الى الصحة والى طبعها
الاصلي فالتفتت العبودية والتزمتها وصارت بذلك مطمئنة صالحة لان يقال
لها يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي
وادخلي جنتي قال الشيخ العارف ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه
النفس المطمئنة هي التي تخلصت من الهوى ولم يبق بينها وبينه نسبة وكانت
مباديها في الاكتساب للايماني والرضا المكتسب فلما صفت وتطهرت تامر جهة
المخلوقات وزال الحجاب الذي هو صفة الخلق سمعت النداء من مكان قريب فاجابت
لقدم الحجاب فخرجت للمواهب والرضى الوصفي الموهبي الذي قال الله فيه رضي
الله عنهم ورضوا عنه فدخلت في رضى الله المطلوب الموجود وفي عبادته وجنته
لا في جنتها بوصف كسبها واعمالها انتهى وعلامة وصول المريد الى المقام
الحميد ان تستوي عنده الاحوال ولا يتاثر باطنه بما يواجهه به من قبيح الافعال
والاقوال لاستغراق قلبه في مطالعة حضرة الكمال قال ابو عثمان الحيري رضي الله
عنه لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في اربعة اشياء في المنع والعطاء والعز

والذل

والذل قال محمد بن حنيف رضي الله عنه وقدم علينا بعض اصحابنا فاعتل وكان
به علة البطن فكنت اخدمه واخذ منه الطست فضجر مرة فقال لي تبا لعنك
الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله قال كقوله لي رحمك الله وحكي
عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه قال ما سررت في الاسلام الا مرارا معدودة انا
كنت في مركب يوما وكان به رجل يحكي الحكايات المضحكة فيضحك منه الناس وكان
يقول رايت وقتا في معركة الترك علجا فقلت هكذا وكان يا ... وعبر بيده
على حلقي هكذا والناس يضحكون منه ولم يكن في ذلك المركب عنده احقر مني والحق
فسررت بذلك ويوما اخر كنت جالسا فجاء انسان فصفعني من غير سبب ويوما اخر
كنت جالسا فجاء انسان فبال علي وكان في وقت حاتم الاصم رضي الله عنه رجل
يسيء القول فيه وفي اصحابه ويواجههم كل يوم بالقبيح فوقع عليه جرع من السقف
في بعض الايام في حال مواجهة القوم بالسب والشتم فمات فقال الحمد لله فقيل له هذا
خلاف ما تامرنا به ما حمدت شماتة بموته بل حمدت الله اذ لم اسر بنكبته هذا
واشباهه معلومة من احوالهم اللهم ضرورة وابلغ من هذا كله محبة الموت
وكراهية البقاء في الدنيا شوقا الى لقاء المولى قال بعضهم حقيقة زوال الهوى من
القلب حب لقاء الله تعالى في كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها فاذا
وجد المريد هذه العلامات في نفسه فقد خرج من العالم جنسه ووصل الى حضرة
قدسه وكان كما قال الشاعر لدا الزهر موع والافلام عيد ... فعش كل يوم في زمانك عيده
وكما قال سيدي ابو العباس بن العريف رضي الله عنه في هذا المعنى

بدا لك سر طال عنك اكتتامه ... ولاح صباح كنت انت ظلامه
فانت حجاب القلب عن سر غيبه ... ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فان غبت عنه حل فيه وطنبا ... على موكب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه ... شهي الينا نثره ونظامه
اذا سمعته النفس طاب نعيمها ... وزال عن القلب المعنى غرامه

وانشد بعضهم

فولي لاما لي الا فابعي ... فمن بعد الاحباب لي موعد ... فمن كنت قبل اليوم مغتنما فخذ
منك بخل مشفق مسعد ... وان نسيم الوصل من نحوهم ... هب فلي عندك كل ندى
وحيث لا حظني اعلامهم ... فليس لي فقر الى مرشد ... وان لم يجد هالي نفسه

فليستمر على سلوكه ومجاهداته ولا يغتر بما يتراءى له من [illegible] جلاله فانه
لم يصل بعد ولم يحصل له من هوى نفسه فقد وليس [illegible] بموت النفس بقطع جميع الارفاق
عنها وردها الى الاجتزاء بالحشيش [illegible] المخالفة والمبالغة في التقشف والتقلل مع قطع
النظر عن احوال القلب وهممه وقصوده وارادته وترك الالتفات الى ما يحجز منها وما يلزم
فذلك كله غلو وبدعة وقد غلط في هذا طوائف من الناس عملوا عليه في رياضتهم ومجاهدتهم
ولم يقصدوا [illegible] احكام العبودية لربهم فادى بهم ذلك الى اختلال عقولهم
وانحلال قوى ابدانهم ولم يحصلوا من امرهم على فائدة وذلك لجهلهم بالسنة وما
كان عليه سلف هذه الامة **وقال** رضي الله عنه جعلك في العالم المتوسط
بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته
وانك جوهرة تنطوي عليك اصداف مكوناته
خلق الله تعالى الانسان في احسن تقويم واتم تسوية وتعديل وجعل بنيته
متضمنة اسرار جميع الموجودات علويها وسفليها لطيفها وكثيفها
فصار لذلك روحانيا جسمانيا ارضيا سماويا ولذلك يقال له العالم الاصغر
وهذا هو الذي يظهر لي في معنى جعله في العالم المتوسط بين عالم الملك وعالم
الملكوت وعالم الملك هو عالم الشهادة وعالم الملكوت هو عالم الغيب فلا جرم لما كان
الانسان بهذه المثابة من كونه تجمع جميع الموجودات الجسمانية كانت الاكوان
كلها له باعتبار احاطتها به وحفظه له بمنزلة القشر والصوان الذي يحفظ الشيء ويصونه
وكان بمنزلة الجوهرة النفيسة التي تحويها الصدفة والمقصود من هذا ان يعرف
الانسان جلالة قدره وفخامة امره فيعلو بهمته عن المراتب الساقطة اللائقة
به وذلك باخلاص العبودية لربه عز وجل وقطع النظر عن كل ما سواه وبنحو
المعنى الى قول الشاعر اذا كنت كرسيا وعرشا وجنة :: ونارا وافلاكا تدور واملاكا
وكنت من السر المصون سريرة :: وادركت هذا بالحقيقة ادراكا
فهيم التواني في الحضيض تثبطا :: مقيم مع الاسرى اما حان اشراكا
كان الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه يقول الاكوان كلها عبيد مسخرة
وانت عبد الحضرة وقد ورد في بعض الكتب المنزلة يا ابن ادم انا بدك اللازم فالزم
بدك وفي بعض الاثار المروية عن الله عز وجل يا ابن ادم خلقت الاشياء كلها

من اجلك

١٢٩

من اجلك وخلقتك من اجلي فلا تشتغل بما هو لك عما انت له وقال الواسطي
رضي الله عنه في معنى قوله ولقد كرمنا بني ادم قال بان سخرنا لهم الكون وما فيه
لئلا يكون لهم في تسخير شيء وينقطعوا الى عبادة ربهم **وقال** رضي الله عنه وسعك
الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك
انما وسعك الكون حيث جسمانيتك لوجود المناسبة والمجانسة ووسعه
لك باعتبار ما ذكرناه انما هو باكتفائك به وقضاء اوطارك منه ووقوف
املك في منال حاجتك عليه ولا اختصاصك في هذا ايها الانسان لا من ثبتك
اجل من ذلك وانما لم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لعدم المناسبة
فلا يسعك حينئذ ولا يناسبك الا التعلق بالمكون وهذه هي خاصيتك
التي فيها سموك وعلوك ورفعة قدرك فلم تهملها وتنحط منها الى
اسفل سافلين قال ابو عبد الله بن الجلاء رضي الله عنه من علت همته على
الاكوان وصل الى مكونها ومن وقف بهمته على شيء سوى الحق فاته الحق
لانه اعز من ان يرضى معه بشريك وسئل احمد بن خضرويه رضي الله عنه
اي الاعمال افضل فقال رعاية السر عن الالتفات الى شيء سوى الله **وقال** رضي الله
عنه **الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون**
بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته من لازم الكون ووقف معه
وقصر همته عليه ولم تفتح له ميادين الغيوب الملكوتية ولا خلص
بسره الى فضاء مشاهدة الوحدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور
في هيكل ذاته وهذه هي صفة اصحاب النار كما قال تعالى احاط بهم
سرادقها وليس في جهنم عذاب اعظم من السجن والحصر والضيق والقهر
كما قال تعالى واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا
وما ذكرناه هو حال من بقي مع نفسه وعمل على نيل حظه كائنا
ما كان روي في بعض الاثار المروية عن الله عز وجل عبدي اجعلني مكان همك اكفك
كل همك ما كنت بك فانت في محل البعد وما كنت بي فانت في محل القرب
فاختر لنفسك **وقال** رضي الله عنه انت مع الاكوان ما لم تشهد المكون
فاذا شهدته كانت الاكوان معك فرق ما بين كونك مع الاكوان وكون

الاكوان معك فان كونك مع الاكوان يقتضي تقييدك بها وحاجتك اليها
فانت بذلك عبد لها ثم هي خادمة لك ومسلمتك احوج ما تكون اليها
وهذه حالة خسيسة يقتضيها عدم شهودك للمكون وكون الاكوان
معك تقتضي ملكك لها واستغناءك عنها فانت حينئذ حر
عنها وهي محتاجة اليك وخادمة لك ومتبركة بك حتى
الجمادات والحيوانات قال الشبلي رضي الله عنه ليس يخفى الكون
بان من عرف المكون انتهى وهذه حالة نفيسة يقتضيها شهودك
للمكون قال بعض المشايخ رضي الله عنه قال كنا مع ابراهيم الخواص
في بعض اسفاره فاذا عقرب تسعى على فخذه فقمت لاقتلها فمنعني وقال
دعها كل شيء مفتقر الينا ولسنا مفتقرين لشيء وقال محمد بن المبارك
الصوري رحمه الله كنت مع ابراهيم بن ادهم في طريق بيت المقدس فنزلنا
وقت القايلة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتا من اصل
الرمان يا ابا اسحاق اكرمنا بان تاكل منا شيئا فطاطا ابراهيم راسه فقال
ذلك ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعا اليه ليتناول منا شيئا فقلت يا ابا اسحق
لقد سمعت فقام واخذ منها رمانتين فاكل واحدة وناولني الاخرى فاكلتها
وفي هذه الحكاية ان الشجرة كانت قصيرة ورمانها حامض وانها تطعم
في كل عام مرتين وكان السباع تجيء الى سهل بن عبد الله رضي الله
عنه فيدخلهم بيتا عنده ويضيفهم ويطعمهم اللحم وقال ابراهيم الخواص
رضي الله عنه كنت في البادية مرة فسرت في وسط النهار فوصلت
الى شجرة وبالقرب ماء فنزلت فاذا انا بسبع عظيم فاقبل فلما قرب مني
اذ هو يعرج فحمحم وبرك بين يدي ووضع يده في حجري فنظرت فاذا يده
منتفخة فيها قيح ودم فاخذت خشبة وشققت الموضع الذي فيه
القيح وشددته على يده بخرقة فمضى فاذا انا به بعد ساعة معه شبلان
يبصبصان لي وحمل الي رغيفا وقال بعضهم اشرفت على ابراهيم بن ادهم
وهو في بستان يحفظه وقد اخذه النوم واذا حية في فيها طاقة نرجس
تروحه بها وحكي عن ابي اسحاق الصعلوكي رحمه الله قال خرجت مرة

الحاج

الى الحج فبينما انا في البادية اذ تهت فلما جن علي الليل وكانت ليلة
قمراء سمعت صوتا شخص ضعيف يقول يا ابا اسحاق قد انتظرتك من الغداة
قال فدنوت منه واذا هو شاب نحيف اشرف على الموت وحوله رياحين
كثيرة منها ما عرفته ومنها ما لم اعرفه فقلت من اين انت فقال من مدينة
شمشاط كنت في عز وثروة فطالبتني نفسي بالعزلة فخرجت وقد اشرفت
على الموت فسالت الله تعالى ان يقيض لي وليا من اوليائه فارجو انك
هو فقلت الك والدان قال نعم واخوة واخوات فقلت اشتقت اليهم
والى ذكرهم فقال لا الا اليوم اردت ان اشم ريحهم فاحتوشتني السباع
والبهايم وبكين معي وحملن الي هذه الرياحين قال فبينما انا في تلك الحالة
يرق له قلبي اذ حية اقبلت في فيها طاقة نرجس فقالت دع شرك عنه
فان الله تعالى يغار على اوليائه قال فغشي علي قال فما افقت حتى خرجت
نفسه رحمة الله عليه ورضوانه ثم وقع علي سبات فانتبهت وانا على
الجادة قال فدخلت مدينة شمشاط بعد ما حججت فاستقبلتني امراة
بيدها كوز فما رايت اشبه بالشاب منها قالت يا ابا اسحاق كيف رايت
الشاب فاني انتظرتك منذ ثلاث فذكرت لها القصة الى ان قلت قال اردت
ان اشمهم فصاحت وقالت اه بلغ الشم الشم وخرجت نفسها فخرج اتراب
لها عليهن المرقعات والمرط فكفلن امرها وتولين شانها رضي الله عنهم
اجمعين فهكذا حال من يكون عظيم الهمة شريف الارادة والنية لا يساكن
احدا من المخلوقات ولا يوطن نفسه على شيء من المصنوعات فيكفل الله
تعالى بامره ويجعل الكون خادما له باسره رزقنا الله مما رزقهم ووفقنا لما وفقهم
بجوده وكرمه وقال رضي الله عنه لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم
وصف البشرية انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار ظهرت
في الافق وليست منه تارة تشرق شموس اوصافه على
ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى
حدودك فالنهار ليس منك اليك ولكنه وارد عليك
ثبوت الخصوصية للعبد لا يلزم منه عدم وصف البشرية لان الوصف

البشرية امر ذاتي لازم للعبد والامور الذاتية يستحيل عدمها وانقلابها
وانما اللازم من ذلك غلبة احكام ذلك الوصف على العبد فقط لاجل الوارد
الغالب فان فقد هذا الوارد الغالب بقي وصف البشرية غالبا فاذا
كان العبد في بدايته اسيرا ومثال ذلك القمر المحسوس اذا اشرق شمس النهار على الـ
ان الظلمة لتزول اثار ظلمتها فتستغني بذلك وتشرق فاذا غابت
الشمس رجعت الى حالها من الظلمة لان النور ليس بذاتي لها وهو معنى قوله
وليست منه ومعنى الخصوصية المذكورة هي ما يخص الحق تعالى به اوليائه
من ظهور اوصافه العلية ونعوته القدسية عليهم ليغطي بذلك اوصافهم
الدنية الردية عنهم لئلا يظهر اثر كدوراتها في صفاء اوقاتهم كما تقدم من قوله
اذا اراد ان يوصلك اليه ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك بنعته
فاذا اشرقت انوار ذلك على ليل وجودهم ذهبت ظلمات نفوسهم وبقوا في نهار
الوصلة والقربة من غير حول منهم ولا قوة وهو معنى قوله فالنهار ليس منك
اليك وان غابت عنهم تلك الانوار المشرقة رجعوا الى اصلهم ولزموا الوقوف
على حدهم وكانوا في ليل القطعة والحجبة كما كانوا قبل ذلك والغرض من هذا
الرد على طوايف غلطت في هذا الامر وتعالت وزعمت ان القرب من الله تعالى والوصل
اليه انما يكون بعدم اوصاف البشرية وزوالها بالكلية واتصافه بصفات
الربوبية بدلا منها وفسرت بهذا ما عبر به المشايخ من الفناء والبقاء فوقعوا
من ذلك في ضلال وزندقة نعوذ بالله من ذلك ما ذكره المؤلف رحمه الله هاهنا

وقال رضي الله عنه دل بوجود اثاره على وجود اسمائه وبوجود اسمائه
على ثبوت صفاته وبوجود اوصافه على وجود ذاته اذ محال ان يقوم
الوصف بنفسه **فارباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته
ثم يردهم الى شهود صفاته ثم يرجعهم الى التعلق باسمائه
ثم يرجعهم الى** شهود اثاره والسالكون على عكس هذا
فنهاية السالكين بداية المجذوبين وبداية السالكين نهاية المجذوبين
لكن لا بمعنى **واحد فربما التقيا في الطريق هذا في ترقيه وهذا
في تدليه** ن عباد الله المخصوصون بالقرب منه والوصول اليه ينقسمون

الى

١٣١

الى قسمين سالكين ومجذوبين فشان السالكين الاستدلال بالاشياء عليه
وهم الذين يقولون ما راينا شيئا الا راينا الله بعده ولا شك ان الدليل ابدا
اظهر من المدلول فاول ما ظهر للسالكين الاثار وهي الافعال فاستدلوا بها
على الاسماء وبالاسماء على الصفات وبالصفات على وجود الذات فكان
حالهم الترقي والصعود من اسفل الى اعلا واول ما ظهر للمجذوبين حقيقة
كمال الذات المقدسة ثم ردوا منها الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق
بالاسماء ثم انزلوا الى شهود الاثار فكان حالهم التدلي والتنزل من اعلا
الى اسفل فما بداية السالكين من شهود الاثار اليه انتهى المجذوبين
وبداية المجذوبين من كشف حقيقة الذات اليه انتهى السالكين لكن بمعنى
واحد فان مراد السالكين شهود الاشياء بالله فالسالكون عاملون على تحقيق
الفناء والمحو والمجذوبون مسلوك بهم طريق البقاء والصحو ولما كان شان الفريقين
النزول في تلك المنازل المذكورة لزم التقاؤهما في طريق سفرهما السالك مترق
والمجذوب متدل **وقال** رضي الله عنه لا يعلم قدر انوار القلوب والاسرار
الا في غيب الملكوت كما لا تظهر **انوار السماء الا في
شهادة الملك** انوار القلوب والاسرار المشرقة عليها من سماء
التوحيد والمعرفة لا يعرف قدرها الا في غيب الملكوت وهو عالم الاخرة وهنالك
يحصل تمام هذه الانوار بما هو امر بالغيب كان له من ذلك الحظ الاوفر كما ان
انوار السماء المشرقة على ظواهر الاجرام لا تظهر الا في شهادة الملك وهو
عالم الدنيا وذلك لحصول المناسبة بين هذه الاشياء **وجدان** ثمرات الطا
عات عاجلا بشاير للعاملين بوجود الجزاء عليها اجلا
ما يجده العاملون بطاعة الله تعالى في اعمالهم عاجلا من مزيد الايمان
واليقين وتنسم روح الانس ولذيذ القرب ولطيف الوصل بشاير من الله تعالى
عاجلة بوجود الجزاء عليها في الدار الاخرة بانها مقبولة عند الله تعالى
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على
وجود القبول **وقال** رضي الله عنه **كيف تطلب العوض على عمل
هو متصدق به عليك** ام كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليك

العمل الذي يصح طلب العوض والجزاء عليه هو ما عملته لينتفع به غيرك
ولم تحصل لك بذلك منفعة ولم يندفع عنك بسببه مضرة والاعمال الدينية
المطلوبة منك كالظاهرة والباطنة هي مسلوبة عنك منسوبة الى ربك خلقها
خلقها واختراعها غاير ثمرة ذلك ومنفعته عليك في ظاهرك وباطنك
وهو غني عنك وعنها ولذلك عبر عنها بالتصرف والاهداء تنبيها على ان ذلك
لم يكن الا لمنفعتك بطلب العوض والجزاء اذا على عمل هذا صفته في غاية
القبح ولذلك صدر المؤلف كلامه بكيف ليعجبك من ذلك قال الواسطي
رضي الله عنه مطالعة الاعواض على الطاعات من نسيان الفضل وسيل
ابو العباس بن عطاء رضي الله عنه عن اقرب شيء الى مقت الله فقال رؤية
النفس وافعالها واشد من ذلك مطالعة الاعواض على افعالها واستعمال
المؤلف رحمه الله لفظ الصرفة في الاعمال الظاهرة ولفظ المرونة في الصدق عليه
من ان الاعمال الباطنة اشعارا اتيانها في الشرف كتباين الصرفة والهداية
وقال رضي الله عنه **قوم تسبق انوارهم اذكارهم وقوم
تسبق اذكارهم انوارهم ذاكر ذكر ليستنير قلبه
وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا** فسبقية الاذكار للانوار
هو حال المهتدين السالكين وذلك لان شانهم المجاهدة والمكابدة
فهم ياتون بالاذكار في حال تكلف منهم ولعل الله يصلح لهم بذلك
زوايد الانوار والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وسبقية الانوار للاذكار هو حال المراد من
المجذوبين لانهم مقامون في السهولة والخفة فهم لما وجهوا بالانوار
حصلت منهم الاذكار بلا تكلف ولا تعمل قال في لطائف المنن حاكيا عن شيخه
ابي العباس المرسي **وقال** رضي الله عنه الناس على قسمين قوم وصلوا
بكرامة الله الى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله
قال سبحانه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب
قال ومعنى كلام الشيخ ان من الناس من حرك الله همته لطلب
الوصول اليه فصار يطوي مهامه نفسه وغياهب ... الى ان وصل

حضرة ربه يصدق على هذا قوله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا ومن الناس من فاجاته عناية الله تعالى من غير طلب ولا استعداد
ويشهد لذلك قوله تعالى يختص برحمته من يشاء فالاول حال
السالكين والثاني حال المجذوبين فمن كان مبداه المعاملة فنهايته المواصلة
ومن كان مبداه المواصلة رد الى وجود المعاملة ولا تنكر ان المجذوب
لا طريق له بل له طريق طوتها عناية الله تعالى له فسلكها مسرعا عاجلا
وكثيرا ما تسمع عن مراجعات المتعصبين للطريق ان السالك اتم من المجذوب
لان السالك عرف طريقا توصل اليه والمجذوب ليس كذلك وهذا بناء على ان المجذوب
لا طريق له وليس الامر كما زعموا فان المجذوب طويت الطريق له ولم تطو عنه
ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه وانما فاته متاعبها وطول
امدها والمجذوب كمن طويت له الطريق الى مكة والسالك كالسائر اليها على
اكوار المطايا انتهى انتهى ما ذكر في حال الجذب والسلوك وهو حسن
فلا يوجد لغيره فلذلك اوردته هاهنا بكلامه **وقال** رضي الله عنه
ما كان ظاهر ذكر الا عن باطن شهود وفكر اعمال
الظاهر تبع لما يكون في الباطن وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما استودع
في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر فالذكر الظاهر لا محالة ثمرة باطن
الشهود والفكر ثم بين هذا المعنى بقوله اشهدك من قبل ان استشهدك
فنطقت بالالهيته الظواهر وتحققت باحديته القلوب والسرائر
كاشف الله تعالى القلوب والاسرار في غيب الغيب بحقائق وحدانيته
واحاطت قيوميته فلما اشهدها ذلك اطمانت وتحققت وتلاشت
فتحققت بذلك الاحدية فلما اظهرها في عالم الشهادة منها لما بالاجسام
والهياكل طلب منها الشهادة له بالالهية فشهدت بلسان نطقها ومقالها
فكانت الشهادة منها لما استشهدت تبعا للشهود لها لما اشهدت بالعز
من حيث سره وقلبه بوصف الجمع ومن حيث ظاهره وجسمه بنعت الفرق
ولابد في هذا الطريق من وجود الجمع والفرق وقد قالوا كل جمع بلا تفرقة زندقة
وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وقال الجنيد رضي الله عنه في معنى الجمع

والتعرف ... وتحققتك في سر فناجاك لساني فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان
ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني فلقد صيرك الوجد من الاحشاء دان
ذهب الجنيد رضي الله عنه الى ان قربه بالوجد جمع وغيبته في البشرية تفرقة
وقال رضي الله عنه **أكرمك بكرامات ثلاث جعلك ذاكرا له**
ولولا فضله لم تكن اهلا لجريان ذكره عليك وجعلك
مذكورا به اذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكورا عنده فتمم
نعمته عليك اكرم الله تعالى عبده المؤمن بثلاث كرامات جمع له
فيها كل المفاخر والمحامد اولها كونه ذاكرا له بان اجرى ذكره على قلبه ولسانه
ويسر له ذلك وباب وسيلة ناله لولا فضل الله تعالى وكرمه وثانيها كونه
مذكورا به فيقال هذا عبد الله ووليه وصفيه ومختاره وذلك مما اكرمه به
من تحقيق النسبة لديه وهي اثبات الخصوصية له وقد تقدم معنى الخصوصية
وثالثها كونه مذكورا عنده وهذه غاية الاكرام ومنتهى الفضل والانعام قال
الله تعالى ولذكر الله اكبر من ذكر العبد لله وفي حديث ابي بن كعب رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقرا عليك القرآن
قال قلت يا رسول الله سماني لك ربك قال نعم فقرا علي قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفي حديث ابي حبة البدري
رضي الله عنه قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الى آخرها قال جبريل
عليه السلام ان ربك امرك ان تقرئها ابيا فقال النبي عليه السلام لابي ان
جبريل امرني ان اقرئك هذه السورة قال ابي او ذكرت ثم يا رسول الله قال نعم
فبكى ابي وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله وسلم
يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وان تقرب مني شبرا
تقربت منه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته
هرولة وعن ابي هريرة وابي سعيد يشهدان به على النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله فيه الا حفتهم الملائكة وغشيتهم
الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده قال يحيى بن معاذ

رضي

رضي الله عنه يا غفول يا جهول لو سمعت صرير القلم يجري في اللوح المحفوظ بذكرك
لمت طربا **وقال** رضي الله عنه **رب عمر اتسعت آماده وقلت امداده ورب**
عمر قليلة آماده كثيرة امداده الامداد الالهية التي يمد الحق تعالى
بها عباده المؤمنين زيادة في ايمانهم وتقوية لايقانهم لا تاثير فيها لطول العمر ولا قصره
فلا تنقص بذلك ولا تزيد به ولا تقل ولا تكثر وانما ترد عليهم من خزائن الفضل والكرم
بحسب قوة استعدادهم وكمال قابليتهم وتختلف هذا باختلاف تركيب خلقهم
وجبول فطرهم ولا مدخل للزمان في هذا الا بالعرض وبهذا فضلت هذه الامة سائر
الامم على قصر اعمارها وطول اعمارهم قال احمد بن ابي الحواري رضي الله عنه قلت
لابي سليمان الداراني رضي الله عنه قد غبطت بني اسرائيل قال باي شيء قلت
بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا وكالاوتار قال
ما ظننت الا وقد جئت بشيء والله ما يريد الله منا ان تيبس جلودنا على عظامنا
ولا يريد منا الا صدق ما عنده هذا اذا صدق في عشرة ايام نال ما ناله ذلك في عمره
وقال رضي الله عنه **من بورك له في عمره ادرك في يسير من الزمان**
من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه
الاشارة البركة في العمر ان يرزق العبد من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام
اوقاته وانتهاز فرصته امكانه خشية فواته فيبادر الى الاعمال القلبية
والبدنية ويشرق عليه من الانوار الربانية ما تعجز العبارة عنه ولا تنتهي الاشارة
اليه وكل ذلك في زمن يسير وعمر قصير فيرتفع له في شهر مثلا ما يرتفع لغيره
في الف شهر بمنزلة القدر العمل فيها لمن صادفها خير من العمل في الف شهر قال
بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر وكان شيخنا ابو العباس المرسي
رضي الله عنه يقول اوقاتنا والحمد لله كلها ليلة القدر فهذا هو البركة في العمر
لا بطوله وزيادة مدته وقيل هذا المعنى في تاويل ما روي في الخبر البر يزيد
في العمر **الخذلان كل الخذلان ان تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه**
اليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل اليه من الخذلان
ان تصرفك العوائق والشواغل عن التوجه الى الله تعالى والرحيل
اليه بل الواجب عليك ان تبادر الى ذلك وترى بالعوائق والشواغل

خلف ظهرك كما قيل سيروا الى الله عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة
فان انتظار الصحة بطالة قال الله عز وجل انفروا خفافا وثقالا وقد تقدم
هذا المعنى عند قوله احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات
النفس فان زالت شواغلك وقلت عوايقك ثم قعدت عن التوجه والرحيل
فهو الخذلان كل الخذلان اعاذنا الله منه قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله
فراغ القلب عن الاشغال نعمة عظيمة فاذا كفر عبد هذه النعمة بان فتح
على نفسه باب الهوى وانجر في قياد الشهوات شوش الله عليه نعم قلبه
وسلبه ما كان يجد من صفاء قلبه الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار
الفكرة التي امر بها العبد وحض عليها هو سير القلب في ميادين الاغيار فقط
وهي مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته واما الفكرة في ذات الله تعالى
فلا سبيل اليها فيعتبر المتفكرون في آياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته
روى ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصر قوما
فقال ما لكم فقالوا نتفكر في الخالق فقال تفكروا في خلقه ولا تتفكروا في الخالق
فانكم لا تقدرون قدره قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه التفكر نعت كل
طالب وثمرته الوصول بشرط العلم فاذا سلم الفكر عن الشوايب ورد صاحبه
على مناهل التحقيق ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها للطالبين فيزدا
دون بالفكر زهدا فيها وفكر العابدين في جميل الثواب فيزدادون نشاطا عليه
ورغبة فيه وفكر العارفين في الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للحق سبحانه
وقال الجنيد رضي الله عنه اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة
في ميادين التوحيد وفي بعض النسخ الفكرة سير القلب في ميادين الاعتبار
ومعناه ظاهر **الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة
له** لان القلب الخالي من الفكرة خال من النور مظلم بوجود الجهل والغرور
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل
بها ميدان فكرة **وقال** رضي الله عنه الفكرة فكرتان فكرة تصديق
وايمان وفكرة شهود وعيان **فالاولى لارباب الاعتبار والثانية
لارباب الشهود والاستبصار** تقدم ان الفكرة سير القلب في

ميادين

ميادين الاغيار وسيره على وجهين صعود ونزول فالصعود لارباب الاعتبار
وهي فكرة ناشئة عن التصديق والايمان وهذا للسالكين وهو حال ترقيهم
وهو نعت المستدلين بالآثار على المؤثر والنزول لارباب الشهود والاستبصار وفكرتهم
فكرة ناشئة عن الشهود والعيان وهذا للمجذوبين وهو حال تدليهم وهو وصف
المستدلين بالمؤثر على الآثار وقد تقدم هذا المعنى عند ذكر المجذوب والسالك
وقال رضي الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه هذا كتاب تضمن ذكر حال
السالكين اول ابتداء سيره الى نهايته وحصوله في مستقره وذكر آداب السلوك
والوصول وقد اتى رحمه الله في ذلك بعبارات صحيحة فصيحة واستعارات
حسنة مليحة على طريقة وعظية اذا سمعها السامع طرب لها قلبه وهام
فيها عقله ولبه وما ذلك الا لما علق بها من انوار المتكلم وقد قال فيما تقدم كل كلام
يبرز وعليه كسوة القلب الذي برز منه **اما بعد فان البدايات مجلات
النهايات** المجلات محل التجلي والظهور فالسالك في ابتداء سلوكه يتجلى
له امر نهايته **وان من كانت بالله بدايته كانت اليه نهايته**
هذا بيان ما ذكره ومعنى كون بدايته بالله ان تكون مجاهدته ومكابدته
وانواع رياضته مصحوبة بالاستعانة بالله تعالى والاعتماد عليه والانقطاع
اليه فبذلك تصح له وينجح في سلوكه وتوجهه كما تقدم عند قوله ما
توقف مطلب انت طالبه بربك ومعنى كون انتهائه اليه ان ينكشف له
انفراد الله تعالى بالقيومية وتوحده بالربوبية وانه هو الاول والآخر
والظاهر والباطن انكشافا يظهر له به عن ميته ذاته وتلاشيه وتدكدكه
واضمحلاله **قال** الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو
زاهق فاذا صحت للمريد تلك البداية بما ذكرناه وصل الى هذه النهاية
وقد تقدم هذا المعنى في قوله من علامة النجح في النهايات الرجوع
الى الله في البدايات **وقال** رضي الله عنه والمشتغل به هو الذي
احببته وسارعت اليه والمشتغل عنه هو المؤثر عليه
المشتغل به لك ايها المريد السالك انما هو عملك على التقرب من ربك
والتوسل اليه بالطاعة والعبودية له وهو الذي احببته وسارعت

إلى إجابة دعوته فيمحو عليك الاشتغال بذلك الشغل بأن تكون به فرحا غير
والمشتغل عنه إنما هو متابعة حظوظك ومراداتك الزائلة وهو الذي يستحق
الإيثار عليه إذ هو فان مضمحل لا حقيقة له فلا تطلب عنه نفسا ولا تهمل فيه عقلا
ولا حسا وهذا الكلام تهييج للسالك وانتعاش لقوته وإنهاض لهمته
قال الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن الصقلي رضي الله عنه سمعت عبد الله
بن إسحاق الغافقي يقول ما انتفعت إلا بدعاء رجل بمكة مررت إلى المسجد
الحرام بالسحر فإذا رجل يسف التراب فقلت مجهود أو مجنون ثم قلت له يا هذا
تسف التراب قال فقال لي أو تراب هو ثم ناولني قال فما شككنا أنه سويق أو قند فأنا
أشك أيهما قال قال فقلت ولي الله وجثوت على ركبتي وقلت ادع الله لي عرفك
الله قدر ما تطلب حتى يهون عليك ما تترك وقال رضي الله عنه ٥
وإن من أيقن أن الله يطلبه صدق الطلب إليه ومن علم
أن الأمور بيد الله انجمع بالتوكل عليه
العبد مطلوبا لربه عز وجل بإقامة وظائف العبودية له وذلك مما اختصه
به من العقل والفهم وما رزقه من المعرفة والعلم وثمرة ذلك الطلب عائدة إلى العبد
فلم يصدق العبد في طلبه واجتهاده إذا يقن بذلك والأمور كلها بيد الله تعالى ومن
ذلك سعيه وكدحه فلم لا يتوكل عليه في ذلك فيجتمع همه ويتيسر أمره
إذا علم ذلك فالقسم الأول قيام بمقتضى الشريعة والقسم الثاني وفاء بحق الحقيقة
وقال رضي الله عنه وإنه لا بد لبناء هذا الوجود أن تنهدم
دعائمه وأن تسلب كرائمه ٥ ذكر هذا المعنى تسلية للعبد عما يفوته
في حال سلوكه من حظوظه وشهواته لأنه إذا علم أن هذه الأشياء لا بد أن تزال
عنه أو يزال عنها ولو بعد حين وكل ما هو آت قريب ولم يغتبط بما يكون
مآل أمره إلى ذلك ويكون طيب النفس بتركه وتهوين الرغائب وسلب
الكرائم من الاستعارات البديعة وقال رضي الله عنه فالعاقل
من كان بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى قد أشرق نوره
وظهرت تباشيره ٥ فرح العبد بالأشياء الفانية هو موجب
للزيادة في همه وغمه إذا فقدها قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه

من فرح بغير مفروح به استجلب حزنا لا انقضاء له وقد تقدم هذا المعنى عند
قوله ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه فالعاقل لا يفرح بذلك ولا يعجبه بل يزهد
ويبغضه وإنما يكون فرحه بالأمور الباقية التي لا تفنى فقد أشرق نور ذلك في
قلبه وظهرت تباشيره على وجهه وإشراق النور وظهور التباشير نتائج تحققه
في مقام الزهد وقال رضي الله عنه فصرف عن هذه الدار مغضيا
وأعرض عنها موليا فلم يتخذها وطنا ولا جعلها سكنا
فلما كان العبد على هذا الوصف صرف عن هذه الدار الدنيا وفيه أي مال عنها
مغضيا جفنه عن أقذارها من غير مبالاة بذلك معرضا عنها بوجه قلبه
فولاها دبره من غير التفات إليها وهذا مبالغة في نبذها واطراحها فلم يتخذها
وطنا على سبيل التمتع بها والاستقرار ولم يساكنها بباطنه على جهة
المحبة لها والإيثار بل أنزلها منزلة السجن والمضيق ووطن نفسه فيها
على تحمل ما يطيق وما لا يطيق وهذه علامات على تحققه بالزهد في الأمور الفانية
التي هي بغيضة له فلما وصل إلى ذلك حصل له من طهارة قلبه وصفاء
لبه ما حمله على التعلق بمولاه الباقي الدائم فجعل دنياه معبرا يعبر إليه
كما سيقوله المؤلف الآن بل أنهض الهمة فيها إلى الله وسار فيها
مستعينا به في القدوم عليه هذا ابتداء سفره بقلبه
إلى الحضرة العلية وبدايته إنهاض الهمة إليه والاستعانة به في
القدوم عليه وهو أساس أمره كما تقدم قال الشاعر ٥

إذا الله لم ينهضك فيما تريده ... فليس لمخلوق إليه سبيل ٥
وإن هو لم يرشدك في كل مسلك ... ضللت ولو أن السماك دليل ٥

قال أبو محمد الجريري رضي الله عنه من توهم أن عملا من أعماله يوصله إلى
مأموله الأعلى والأدنى فقد ضل عن طريقه لأن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لن ينجي أحدا منكم عمله فما لا ينجي من الخوف كيف يوصل إلى
المأمول ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذي يرجى له الوصول
وقال رضي الله عنه فما زالت مطية عزمه لا يقر قرارها دائما
تسيارها إلى أن أناخت بحضرة القدس وبساط الأنس

[هامش: عن أقذارها]
[هامش: لم يعنك الله]

محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة
والملاطفة فصارت الحضرة معششا قلوبهم اليها ياوون وفيها
يسكنون وهذه استعارات مليحة استعملها في سفر القلب الى
حضرة الرب وقد تقدم معنى ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق
سير السايرين وبساط الانس فهما موضع حط الرحال وبلوغ الاوكار والآمال
من قبل ان السالك تمحى عنه رسوم بشريته وتبطل احكام انيته
وتنكشف له اذ ذاك اوصاف معروفه كرائي العين ويكون سره مع الله تعالى
بلا اين فلما وصل الى هذه الحضرة العلية ونال هذه المنقبة السنية قوبل بانواع
الكرامات والالطاف وتنور من تحف السادات والاشراف وهي معاني هذه
الالفاظ المستعة التي ذكرها المؤلف ولا تعرف الا بالذوق وكذلك التعرف فيه
بين معانيها بحيث يميز الفهم السايرين وعطاشيرهم وحمدوا عاقبة امرهم وطارت
حضرتا تحجبهم معششا قلوبهم ومستوطنهم في ذهابهم وايابهم اليها
ياوون اذا اصطلى غيرهم بنيران هواه وفي دار المقامات منها يسكنون حين يزعج
سواهم عن منعة دنياه وها هنا حصل لهم التحقق بمقام البقاء والمحو وهذا
هو انتهاء سفرهم بمعنى الصعود والترقي وقال رضي الله عنه فان نزلوا
الى سماء الحقوق وارض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ
في اليقين فلم ينزلوا الى سماء الحقوق بسوء الادب
والغفلة ولا الى الحظوظ بالشهوة والمنعة بل
دخلوا في ذلك بالله ولله ومن الله والى الله هذا هو
سفر التدلي والنزول وبه يتحققون في مقام البقاء والصحو فاذا نزلوا من
مدرك منتهاهم الى سماء الحقوق وهي حقوق الله عليهم مما امرهم به
او نهاهم عنه ليقوموا بذلك فعلا وتركا او الى ارض الحظوظ وهي حظوظ
نفوسهم التي تلائم نفسهم ويحصل لهم الارتفاق بها فانما يكون نزولهم الى ذلك
بالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين ومعنى ذلك ان يدخلوا في الاشياء
بمراد الله تعالى لا بمراد انفسهم ويجرون الاذن من الله تعالى بما يشرق
في قلوبهم من النور الذي جعله علما على ذلك وقد ذكر سيدي ابو الحسن في

كلامه

كلامه قال رضي الله عنه ومعنى الاذن في حق الولي نور ينبسط
على القلب يخلقه الله تعالى فيه وعلامة ذلك النور على الشيء الذي
تريده او تتركه نور او ظلمة تحت ذلك النور ينبسط
ان تاخذ ان شئت او تترك او تختار او تدبر او تعصي او تمنع او تقوم او تجلس
او تسافر او تقيم هذا باب المباح الماذون فيه بالتخيير فاذا قارنه القوانكر
الفعل المباح بمراد الله تعالى فان قارنته نية صحيحة لفعل برز عنه حكم
المباح وصار مندوبا وان ظهرت الظلمة تحت النور المنتشر على القلب فلا يخلو
ان يلوح عليه لايح للغضب بانقباض القلب فاحذر ذلك وتجنبه فانه
المحظور او يكاد ولا تنقطع ذلك الا ببينة من كتاب الله او سنة او اجماع
او خلاف لقول قدوة كمالك والشافعي او غيرهما من العلماء والراسخين فاحكم
اذا على امر صحيح وان تكن الظلمة شبه غيم لا ينصدع معه القلب ولا
يتفرغ به الذهن فتنبا عنه فانه يكاد ان يكون مكروها ولا تحكم
بعقلك ورأيك بفرض من ها هنا خلق كثير ولا تفت احدا وان استفتاك
واعط الورع حقه ولا تقف ما ليس لك به علم وان تادبت ها هنا فعن قريب
تاتيك البينة من ربك يتلوها منه انتهى كلام سيدي ابي الحسن وهو
مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله الا ان ما فيه من التفصيل لم يتعرض له
المؤلف بل انما قصد الامر في ذلك مجملا كما تراه وتقريره فاذا نزلوا الى الحقوق
واستقلوا فيها لم ينزلوا اليها بسوء ادب ولا غفلة وهو ان يشهدوا
قيامهم بها من انفسهم او يطلبوا ثوابا عليها من ربهم وان نزلوا الى الحظوظ
لم ينزلوا اليها بشهوة غالبة قاهرة لهم ولا منعة يقصدون الى نيلها
في دنياهم بل دخلوا في ذلك بالله مستعينين ولله عابدين ومن الله اخذين
والى الله متوسلين قد تولى الله تعالى ادخالهم في الاشياء واخراجهم منها
وواجرهم ذلك وعزل عنهم ملكة نفوسهم وصاروا احرارا كراما
وقال رضي الله عنه وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني
مخرج صدق وليكون نظري الى حولك وقوتك اذا
ادخلتني واستسلامي وانقيادي اليك اذا اخرجتني

اصل صحيح

والمدخل والمخرج الادخال والاخراج وقد عبر هنا بين العبارتين عن السفرين المذكورين
فالمدخل هو سفر الترقي لانه دخول على الله عز وجل في حال فنائه عن رؤية غيره
والمخرج هو سفر التدلي لانه خروج الى الخليقة لفائدة الارشاد في حال بقائه
بربه وتحققه في هذين المقامين راجع الى مقام البقاء والفناء وهو معنى صدقية
مدخله ومخرجه وانما طلبه هذا ليحصل به ذهابه عن رؤية نفسه في النسبة
والوقوع مع الحظ ففي المدخل يشاهد حول الله وقوته فينتفي عنه بذلك
النسبة الى نفسه وفي المخرج يستسلم لربه ويتبرأ اليه فينتفي عنه
بذلك مراعاة حظه وقال رضي الله عنه واجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا ينصرني وينصر بي ولا ينصر علي ينصرني
عن شهود نفسي ويفنيني عن دائرة حسي
طلب من الله تعالى النصرة له ليستقيم امره وطلب منه النصرة به
ليكمل حاله فالنصرة له هي ملاك ارباب البدايات من السالكين
اذ بذلك يتيسر عليهم قطع عقبات النفس ومحو دواعي الهوى
والحس والنصرة به هي مقتضى حال ارباب النهايات من المحققين
اذ بذلك تحصل لهم مرتبة الامامة ومقام الارشاد والهداية وكل
واحد من القسمين نصرة على شهود النفس وفناء عن دائرة الحس
واخرج النصرة عليهم من السؤال والطلب لان ذلك من الخذلان وعدم
التوفيق وهو غلبة احكام نفسه وبقاؤه مع دائرة حسه
وقال رضي الله عنه مما كتب لبعض اخوانه ان كانت عين
القلب تنظر الى ان الله واحد في منته فالشريعة
تقتضي انه لا بد من شكر خليقته اذا اوصل الخير
تعالى اليك نعمه على يد انسان سواء كانت دينية او دنيوية
فعليك في ذلك صيغتان احداهما ان تشهد ان قد اراد الله تعالى بذلك
فلا ترى النعمة الا منه وحده وترى من سواه ممن اجراها على يده
مقهورا مجبورا على ذلك غلبته الدواعي والبواعث حتى لم يجد
انفكاكا عنه وهذا هو حال التوحيد والثانية ان تشكر من وصلت

اليك

ج ابقاء

اجعل

ج تعلى

اليك على يده بان تدعو له وتثني عليه امتثالا لامر الله تعالى وعملا
بما جاءت به الشريعة قال الله تعالى ان اشكر لي ولوالديك وفي حديث النعمان
بن بشير رضي الله عنه من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر
الناس لم يشكر الله وفي حديث اسامة بن زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشكر الناس لله اشكرهم للناس ولان الله تعالى اختصه بان اقامه
في ذلك واهله له ومن اسمائه تعالى الشكور فليتخلق العبد بذلك وهذا هو حق
الشرع وقال رضي الله عنه وان الناس في ذلك على اقسام ثلاثة
غافل منهمك في غفلته قويت دائرة حسه وانطمست
حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده
من رب العالمين اما اعتقادا فشركه جلي واما استنادا
فشركه خفي هذا بيان احوال الناس بالنسبة الى مشاهدة التوحيد
ورؤية الوسائط والعبيد فمن ذكر عامة الناس وهم الغافلون المنهمكون
في غفلتهم اصحاب الظواهر والرسوم الذين قويت دائرة حسهم فقيدتهم
ووقفوا معها وانطمست حضرة قدسهم فابعدتهم ولم يحلوا بها فنظروا
الاحسان من المخلوقين فتعبدوا لهم وطمعوا فيهم ولم يشهدوه من رب العالمين
فكفروا نعمته واستوجبوا سخطه ونقمته ثم هم في ذلك على قسمين
احدهما ان يعتقدوا ذلك اعتقادا بقلوبهم انه منهم ومن قبلهم وهذا هو الشرك
الجلي الذي يخرج صاحبه عن دائرة الاسلام ويوقعه في الكفر والعياذ
بالله والثاني ان يحصل ذلك منه استنادا اي اعتمادا على غير الله وسكونا الى
سواه مع سلامة عقدهم وهذا هو الشرك الخفي الذي يخرج صاحبه من
حقائق الايمان ويدخله في ابواب النفاق ونعوذ بالله من الشرك جليه وخفيه
وقال رضي الله عنه وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود
الملك الحق وفني عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب
فهذا عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك
للطريقة قد استولى على مداها غير انه غريق الانوار مطموس
الآثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناؤه على

بقايه وغيبته على حضوره هذا هو حال الخاصة من اهل
الحقايق وهم الذين غابوا عن الخلق بشهود الملك الحق فلم يقع لهم شعور
بهم ولا التفات اليهم وفنوا عن الاسباب برؤية مسبب الاسباب فلم يروا لها
فعلا ولا جعلا لهم بل هم مواجهون بحقيقة الحق قد هام عليهم سناء هذا
نورها وضياءها نسا الكون بحقيقة الحق فقد استولوا على من اهل ... وصلوا الى
غاية ونهايتها الا انهم غرقوا في بحار التوحيد مطموس عليهم اثار الوسايط
والتغييرات مغلق عليهم رؤية ذلك والشعور به فقد غلب سكرهم وهو عدم
احساسهم بها وجمعهم وهو ثبوت وجود الحق فردا على فرقهم وهو ثبوت
وجود الخلق وفناءهم وهو استهلاكهم في شهود الحق على بقايهم وهو شعورهم
بالخلق وغيبتهم وهو ذهاب احوال الخلق عن نظرهم على حضورهم مع
الخلق ومعاني هذه الالفاظ كما تراها متقاربة وهي الفاظ تداولها اهل
الصوفية المحققون بينهم وعبروا بها في كتوبهم ووضعوا على معان
اختصوا بها وهي اليقين في بعضهم من بعض ما ينتحاه كبير به ولهم الفاظ
كثيرة غير هذا وكان المؤلف رحمه الله اراد ان لا يخلو كتابه عن ذكر شيء
منها وقال رضي الله عنه واكمل منه عبد شرب فازداد
صحوا وغاب فازداد حضورا فلا جمعه يحجبه
عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناءه
عن بقايه ولا بقاءه يصده عن فنايه يعطي كل
ذي قسط قسطه ويوفي كل ذي حق حقه هذا
هو حال الخاصة الذين حازوا رتبة الكمال وهم قوم شربوا
كؤس التوحيد فازداد صحوهم وغابوا عن الاغيار فازداد حضورهم
فقد ملكوا الاحوال وتمتعوا في مقامات الرجال فلم يغلبهم محو
ولا صحو ولم يحجبهم شيء عن شيء بل هم واحقوا جمعهم المراتب
واعطوها ما لها من قسط واجب وذلك لاتساع نظرهم ونفوذ
بصرهم وهذه هي صفة الصديق رضي الله عنه في القصة التي
يذكرها الان وقد قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لعايشة

رضي الله

رضي الله عنها لما نزلت براءتها من الافك على لسان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا عايشة اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت والله لا اشكر الا الله دلها ابو بكر رضي الله
عنه على المقام الاكمل مقام البقاء المقتضي لاثبات
الاثار وقد قال الله تعالى ان اشكر لي ولوالديك وقال
صلوات الله عليه وسلامه لا يشكر الله من لا يشكر الناس
وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها غايبة
عن الاثار فلم تشهد الا الواحد القهار هذا مثال لهذين
القسمين وقد اشبع المؤلف رحمه الله الكلام فيه والمعنى في ذلك بين لا حاجة
بنا الى مزيد تنبيه الى قوله وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها
اي منقطعة عن شاهدها وهو حكم بشريتها مستوفاة عن احساسها
بالكلية والاصطلام نعت الحيرة ومحل الفهم وصفة الدهشة وفي قوله
وكانت هي في ذلك الوقت اشعار بان ذلك لم يكن حالا لازما لها في جميع
اوقاتها بل كان ذلك في وقت مخصوص وواقعة مخصوصة وذلك صحيح
اذ حالها رضي الله عنها هو حال الكمال في حياة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبعد وفاته كنحو حال ابيها رضي الله عنه وذلك معلوم من اخبارها
وسيرها رضي الله تعالى عنها وقال رضي الله عنه لما سيل عن قوله صلوات
الله عليه وسلامه وجعلت قرة عيني في الصلاة هل ذلك خاص به ام
لغيره منه شرب ونصيب فاجاب ان قرة العين بالشهود على قدر المعرفة
بالمشهود فالرسول صلوات الله عليه وسلامه ليس معرفته
كمعرفته وليس قرة عين كقرة عينه وانما قلنا ان قرة
عينه في صلاته بشهوده جلال مشهوده لانه قد اشار
الى ذلك بقوله في الصلاة ولم يقل بالصلاة اذ هو
صلى الله عليه وسلم لا تقر عينه بغير ربه وكيف
وهو يدل على هذا المقام ويامر به من سواه لقوله صلوات
الله عليه وسلامه اعبد الله كانك تراه ومحال

ان يراه ويفهم معه سواه قال الله القاهر فتكون قرة العين
بالصلاة لانها فضل من الله وبادرة من منة الله فكيف
لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال سبحانه
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال علماء الاية
قد اومات الى الجواب لمن ترتب بين الخطاب اذ قال فبذلك
فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد كما قال في الاية
الاخرى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون الصلاة هي اجل
ما يتحف الله تعالى به عباده ويهديه اليهم وفي الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ما اذن عبد في الدنيا خير من ان يوذن له في ركعتين
يصليهما وفيهما يحصل لهم الخلوة معه والانفراد به والمجالسة له والا
نقطاع اليه وفيها ترتفع عن قلوبهم الحجب والاستار وتتجلى فيها حقايق
الاسرار وتشرق فيها انوار الانوار وفيها تكون المناجاة والمصافاة
ما تقدم وهي صلة من العبد بين ربه عز وجل قال محمد بن علي الترمذي
رضي الله عنه الصلاة عماد الدين واول شيء فرضه الله على المسلمين
والصلاة اقبال الله على العبد ليقبلوا اليه في صورة العبيد تذللا وتسليما
وتبتلا وتخضعا وتخشعا وترغبا وتملقا فالوقوف تذلل والتكبير تسليم
والثناء والتلاوة تبتل والركوع تخضع والسجود تخشع والجلوس ترغب
والتشهد تملق فاقبل العبيد الى الله بهذه الصلاة ليقبل الله عليه بالترحم
والتعطف والتقبل والتكرم والتقرب فليس شيء من امور الدين اعظم من هذا
ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وقال في
حديث اخر الصلاة نور وقال لا يزال الله مقبلا على العبد بوجهه ما دام
في صلاته وان الله لينصب اليه اخركم وجهه ما دام مقبلا عليه انتهى ولاجل
هذه الفوايد كانت الصلاة مفزع ذوي الفاقات والضرورات من ارباب القلوب
فيفقدونه وجودها عن كل مرغوب ويتسلون بها عن كل محبوب قال الله تعالى
وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك الاية
فواجب اذا ان تكون قرة اعين عباد الله فيها وبها وقرة العين عبارة عن الروح

والراحة

… وقال الملك بن دينار
… طيبات الاشياء كثيرا وماهو
… وبهجة وسرور وعلى
… وعليهم من الحب لا تكون الا بمشاهدة المحبوب …
وقد روي انه ريئ صورتا حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد في ايديهما
رقعة فيها مكتوب اذا احسنت كل شيء فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى
تعرف الله عز وجل وفي بن الاثم كنت قبل ان اعرف الله عز وجل اشرب واكل حتى اذا عرفته
رويت ولا اشرب قال في التنوير بعد كلام ذكره وانما قلنا ان الحالة زايلة عنك لا محالة
ان مراده كان ينقلك في الاطوار ويحاول عليك الاثار ليتعرف اليك في كل حالة
خاصة يتعرف بها فان اردت ان يديمك على حالة واحدة فقد اردت ان يسلك
بك غير الكمال وكانه يقول لك لا تطلب مني ان نقيمك في حالة واحدة فاني
لا افعل ذلك معك اتريد ان تنفرد بوبيتي معطلة الاثار والكرم يلقي ان
اشعرك لعجي حيثما اردتك وحيثما اقمتك حتى تي ولي قال الله
سبحانه يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شان اي يمنع ويعطي
ويضع ويعلي ويقبض ويبسط ويعز ويذل الى غير ذلك من مختلفات اثاره
وكانه سبحانه وتعالى يقول لك يا عبدي لا تأسى على شيء ما دامت لك
ولا تفرح بشيء وانا امسكت فانا العوض مما سواي وما سواي لا يغنيك
عني ولا تكن ممن يعبرني بالعلل فتكون من عبيد الحروف بل اعبدني لاني بكمال
الغنا موصوف وبدوام الافضال معروف قال الله عز وجل ومن الناس من
يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب
على وجهه خسر الدنيا والاخرة لان الطالب عز نالة عنه فما دام له وهو
ما طلبت الله حتى تكون له ومن عبده لما سواه فهو عبد ما سواه ومن عبده
لاجل جوده ونعماه فهو عبد جوده ونعماه لان من احب شيئا فهو عبد ما
احبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار
تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك
فلا انتقش ولكن عبد الله في كل شيء عطاء ومنعا وعزا وذلا وغنا وفقرا

قبضا وبسطا ومحو سوابق ... قال الله ...
الآثار وتنقلات الأغيار انتهى كلامه رحمه الله ... نادرة من
الله ... إلهي كلما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك وكلما آيستني
أوصافي أطمعتني مننك ٥ لؤم العبد مخالفته وعصيانه
قد خرس لسانه عن السؤال والطلب وكرم المولى وفضله وإحسانه ينطقه
بذلك وأوصاف العبد الذميمة التي اقتضتها طبيعته وجبلته تؤيسه
من حصول الاستقامة على طريق الحق ومنن الله تعالى التي شملتا البر
والفاجر وتطمعه في ذلك إلهي من كانت محاسنه مساوي
فكيف لا تكون مساويه مساوي ومن كانت حقائقه
دعاوي فكيف لا تكون دعاويه دعاوي ٥ هذا مثل
ما تقدم من أن الكمال المنسوب إلى العبد نقصان على التحقيق فما ظنك
بما ظنك بنقصانه إلهي حكمك النافذ ومشيئتك
القاهرة لم يتركا لذي مقال مقالا ولا لذي حال حالا
شهود هذا المعنى يوجب للعبد مقام المحو والتحقيق فيه فإن
كان ذا قول من بر وحال حميد لم يطمع ببقاء ذلك ولم يغتر بها هنالك
لنفوذ حكم الحق تعالى وقهر مشيئته إلهي كم من طاعة
بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها
عدلك بل أقالني منها فضلك ٥ الطاعة صفة
ظاهر العبد والحالة صفة باطنه وبناء الطاعة هو إقامتها على الوجه
المأمور به من الوفاء بجميع أركانها وشرائطها وما يتعلق بها من حقوق
وآداب وتشييد الحالة هو تزيينها وتطهيرها وصيانتها عما يكدر صفاءها
ويكسف ضياءها وكأنه لما فعل هذين الأمرين أنه تحصن بحصن حصين وأوى
إلى ركن متين لكن لما شهد من الله تعالى هدم عليه ذلك لأن مقتضاه أن يفعل
ما يشاء ولا يبالي بأعمال العاملين ولما شاهد فضله وكرمه أقاله من ذلك
بأن جعل له من التعلق به والاعتماد عليه بدلا منه وعوضا عنه ونعم
البدل والعوض فسبحان المتفضل المنان إلهي إنك تعلم وإن لم تدم

الطاعة

١٤٠
١٤١

... صواتا ونحلا عن ...
... الفرج ومن ...
... قلب للنظر في حال الصحة إلا بذكر الله تعالى ومعرفته ولطائفه وإنما يلتذ
إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض
المرضى الأشياء الحلوة ويستحلي الأشياء المرة حتى قيل
ومن يك ذا فم مريض ... يجد مرا به الماء الزلالا ٥ فإذا هذا شرط الفرح بنعمة الله عز وجل
... تكون ... وإن لم يكن هذا فالدرجة الثانية أما الأولى فخارجة عن كل
حساب ... بين من يريد الملك وبين من يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله
عز وجل لينعم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها إليه انتهى كلام الإمام أبي حامد
وهو في غاية البيان والوضوح وهو كالتقسيم لما ذكره المؤلف ...
... ها هنا بحمد الله وقال رضي الله عنه وقد أوحى
... العلم يا داود فقال الصديقين ...
... إن تحققنا بصديقيتهم وعلم ارتفاع رتبتهم على من دونهم قيل إن عتبة الغلام
خرج في بعض الأيام على رابعة العدوية رضي الله عنها وعليه قميص جديد وهو
يتبختر في مشيته بخلاف ما سبق من عادته فقالت له يا عتبة ما هذا التيه
والعجب الذي لم أره في شمائلك قبل اليوم فقال يا رابعة ومن أولى بهذا التيه مني
وقد أصبح لي مولى وأصبحت له عبدا وقال بعضهم كنت مسافرا في البر فبينما
أنا أمشي إذ رأيت شيخا بيده مصحف وهو ينظر فيه ويرقص فتقدمت إليه
فقلت يا شيخ ما هذا الرقص فقال دعني عنك فقلت في نفسي عبد من أنا وكلام
من أتلو وبقيت من أنا فأصر فاستغرقني الوجد فرقصنا وأنشد في هذا المعنى
قوم تخالجهم زهو بسيدهم ... والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له ... يا حسن رؤيتهم في حسن ما تاهوا
ويجوز ... المراد بقوله وبذكره فليتمتعوا أي بذكري إياهم في الأزل حين لا ...
... المخصوصة بهم من الآيات والعلم وهم أجل رتبة من أن يكون ...
... وقال رضي الله عنه

... وهو بين لا يحتاج ...

بفضله وقال رضي الله عنه إلهي أنا [...]

فكيف لا أكون فقيرا في فقري إلهي أنا الجاهل في

علمي فكيف لا أكون جهولا في جهلي لأن العبد موصوف

بصفات النقص وهي ذاتية له والكمال العارض له والمنسوب إليه

[...] على التحقيق ومن ثم كان ما ذكره المؤلف رحمه الله من كونه فقيرا

في غناه وجاهلا في علمه صحيحا مستقيما فقصد رضي الله عنه بهذا

الى الاعتراف بدوام الاضطرار ولزوم الفاقة والافتقار وانه لا استغناء له

[...] لا ينفك من الاحتياج إليه والتعلق به والسؤال والطلب

[...] أحواله كما قال بعضهم أنا إليك مع الطاعة محتاج [...]

[...] وهذا [...] دليل على تحققه [...]

التي اقتضتها عظمة الربوبية وتقديمه لهذه المعاني بين يدي دعائه

ومناجاته في غاية الحسن قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه ما طلبت

من الله شيئا إلا وقدمت إساءتي أمامي يريد رضي الله عنه حتى لا يطلب

من الله تعالى شيئا بوصف يستحق به العطاء بل لا يكون طلبه وجود فضله

إلا بفضله وقال أبو عثمان رضي الله عنه في قوله تعالى ادعوا ربكم

تضرعا وخفية قال التضرع في الدعاء أن لا تقدم إليه أفعالك وصلواتك

وصيامك وقراءتك ثم تدعو على أثره إنما التضرع أن تقدم إليه افتقارك وعجزك وذلتك

وفاقتك وقلة حيلتك ثم تدعو بلسان الفاقة ولا سبب بين يدي دعائك

وقال الواسطي رضي الله عنه التضرع بذل العبودية وخلع الأسباب التي

وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ما أظهر عبد فقره إلى الله تعالى

في شيء يحل به إلا قال الله تعالى لملائكته لولا أنه لا يحتمل [...] لا أجبته

[...] إلهي إن اختلاف تدبيرك وسرعة حلول [...]

[...] السكون [...]